مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الفكرية

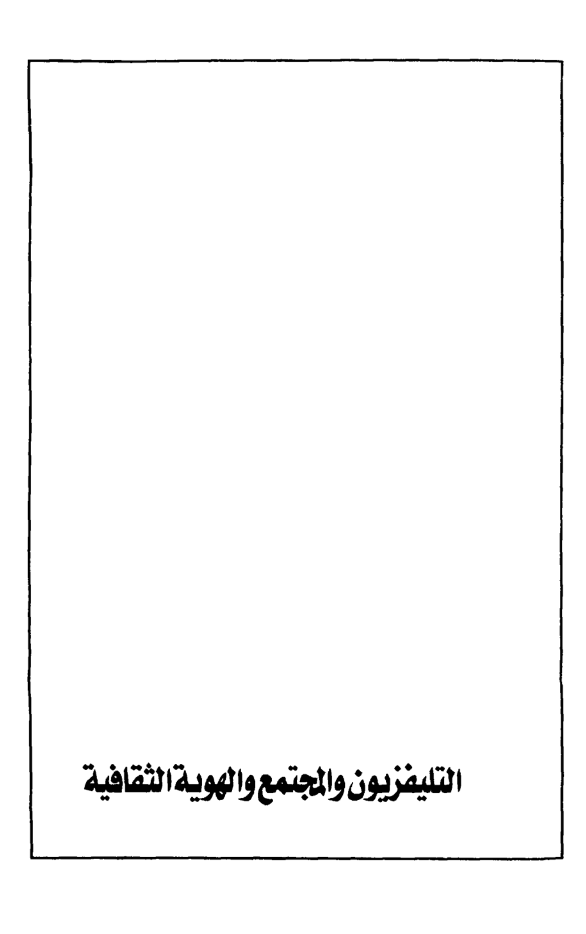
التليفزيون والمجتمع والهوية الثقافية

دراسات نقدية

د. نسمة أحمد البطريق



الهيئة المصرية
العامة للكتاب


التليفزيون والمجتمع والهوية الثقافية

التليفزيون والمجتمع والهوية الثقافية



د. نسمة أحمد البطريق



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الفكرية)

التليفزيون والمجتمع والهوية الثقافية

د. نسمة أحمد البطريق

الجهات المشاركة:

جميعة الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : **محمود الهندى**

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

التليفزيون والمجتمع والهوية الثقافية

دراسات نقدية

د. نسمة أحمد البطريق



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

اهداء

الى/ جيهان وشريف....

والى كل الشباب العربى....

حاملى الامال لغد افضل باذن الله

نسمه احمد البطريق

١٩٩٩

المقدمة

المنهج الاجتماعي وقضايا المجتمع الحديث

فرض التقدم التكنولوجي والعلمي حضارة قوامها الثورة الإلكترونية، كان لها تأثيرا عميقا في تغيير الخصائص العامة للمجتمع ببنائه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .... ومهدت طريقا لمزيد من تطلعات الفرد وضاعفت من قدراته المهارية والمعرفة ....وكما أن لتلك الثورة إيجابياتها فلها العديد من السلبيات خاصة في الدول النامية، وترتبط تلك السلبيات أساسا بقضايا التأقلم على هذه الحياة السريعة وكيفية التالف والالتقاء بين الفكر الحديث والتراث في جميع مناحي الحياة التربوية والعلمية والاقتصادية.

تلك الموضوعات وغيرها المرتبطة خاصة بمشكلات البيئة والتلوث والصحة أصبحت محورا للفكر الاجتماعي الحديث.

واذاء تلك الظروف المتجددة أصبحت الحاجه ماسة إلى الدراسات والبحوث المستقبلية والاستشرافية التي على أساسها يمكن توجيه السياسة الحالية وتخطيط العمل داخل النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

والإعلام هو من أهم تلك النظم الاجتماعية التصاقا وتفاعلا مع الحياة والأنماط الاجتماعية المتعددة. فهو يؤثر ويتأثر بالإطار الاجتماعي والثقافي والمعرفي للمجتمع، وتقاس فاعلية العملية الإعلامية في أي مجتمع من خلال كيفية تعامله وتفاعله مع الفرد والبناء الاجتماعي والثقافة.

ومن هنا كانت الحاجة في تلك الظروف الاجتماعية إلى مزيد من الدراسات التي تحلل البناء الاجتماعي والثقافي والفكري لتحديد وتفسير العلاقات الاجتماعية المتجددة التي أحدثها ويحدثها هذا التطور التكنولوجي والعلمي وعواقب هذا التغير في العلاقات الإنسانية على المجتمع.

هذا المنهج هو وحده القادر على تقديم تفسيرات علمية لأهم القضايا والمشكلات خاصة المرتبطة بتأثير وسائل الإعلام التكنولوجية الدولية التي سوف تمارسها قريبا من خلال برامج التليفزيون الدولي على المجتمعات في دول العالم النامي. هذا إلى جانب تحديد موقف الإعلام القومي والسياسة الإعلامية في كل دولة، من تلك المشكلات لوضع تصور جديد لدور الإعلام الوظيفي في المجتمع الحديث.

هذا المنظور يعنى التأكيد على دراسة النظم الإعلامية دراسة شاملة شكلا ومضمونا من حيث دراسة الإطار الاجتماعي ومقومات البيئة الاجتماعية

وفاعليتها وإمكانياتها في تحديد إيجابية تلك العلاقة الجدلية بين الفــرد المتلقــي للمضمون الإعلامي، وبين المنتج الإعلامي.

فالأعلام لا يمكن أن يحقق الأدوار المتعددة إلا من خلال شروط معرفية مسبقة قوامها الدراسات الاجتماعية التي تعمل على حصر مقومات هــذا البنــاء الاجتماعي والثقافي والفكري للمجتمع موضع البحث، دراسة موضوعية تســتند إلى مناهج البحث العلمي الموضوعي. فلم يتضح إذا أهمية المدخل الاجظتماعي للعلوم بصفة عامة إلا عند اتضاح أهمية وقيمــة "الطبيعــة الاجتماعيــة للعلــم" وخاصة بعد تفاقم المشكلات الاجتماعية والتغير في علاقات الإنتاج المباشر على تغير البناء الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي، وخاصــة منــذ بدايــات القرن التاسع عشر.

وبصفة عامة يمكن القول أن تطور العلوم الاجتماعية وازديــاد الحاجــة إلــى فروضها لم تتضح أهميتها إلا على أعقاب الثورة الفرنسية، والثورة الصناعيــة الأولى، والأزمات الاقتصادية والسياسية، والحروب العالمية، والتطور الهائل في العلم والتكنولوجيا الحديثة وما أنتجته من وسائل وأدوات خاصة وسائل الإعــلام والثقافة كان لتلك القضايا دخل كبير في تزايد الحاجة إلى علم الاجتماع وفروضه المتعددة لدراسة وتحليل وتفسير البنية الاجتماعية الحديثة لحصــر مــا يســمى بمقومات البيئة الاجتماعية للإعلام والاتصال التكنولوجي.

إذا أن ازدياد الحاجة إلى البحث الاجتماعي لم يتضح أهميتــه لمواجهــة تلك القضايا والمشكلات المجتمعية فحسب، ولكن لتطور النظرية العلمية للبحوث الاجتماعية فلم تعد تلك النظرة كما كانت في الماضي، نظرة الشــك لمصداقتهــا ونظرة الخوف من نتائجها، فالبحوث الاجتماعية كانت من المحظــورات علــى المستويين، مستوى الممارسة السياسية والاجتماعية، ومستوى البحــث العلمــي الموضوعي.

فظلت العلوم الاجتماعية وفروضها المتعددة تتعارض مع القوى السياسية والاجتماعية السائدة في الماضي، فشكلت أهم العوائق التي اعــترضت انطلاقــة البحث الاجتماعي وتطوره، كما أن المصداقية العلمية كادت أن تنعــدم لعلاقــة الباحث بموضوع بحثه كما سنشير فيما بعد.

ولم يتطور الطلب الاجتماعي والحاجة إلــى فروضــه العلميــة لتفــاقم المشكلات الاجتماعية المختلفة كما سبق إن ذكرنا؛ بل وأيضــا لتطــور العلــوم الإنسانية الأخرى كعلم اجتماع المعرفة - والإحصاء - واللســانيات واللغــة - ولعل أهم ما يوضح تلك النقطة إنجازات وإضافات "دوركــايم" البحثيــة علــى ظاهرتي المدرسة والتنشئة الاجتماعية اللتين شكلتا قاعدة فكرية ومنهجيــة لعلــم

الاجتماع التربوي، والذي شكل بدورة قاعدة وأساس منهجي وفكري لعلوم اجتماعية أخري كعلوم اللسانيات واللغة وعلم اجتماع المعرفة ... الخ.

ويمكن القول إذا أن المدخل الاجتماعي للعلم بصفة عامة والمدخل الاجتماعي للأعلام بصفة خاصة، اصبح ضرورة تفرضها الظروف المجتمعية الحديثة ذلك لان المدخل الاجتماعي للإعلام اصبح لا ينظر إلى العلمية الإعلامية من منطلقها القومي الإقليمي فحسب ولكن من منطلقها العالمي الدولي.

فلم يعد الإعلام الإقليمي القطري نظرا للتطور في تكنولوجيا الإعلام والثقافة وتطور وسائل الإعلام والاتصال وتعدد أشكاله، هو المرجع في تكوين فكر الفرد وثقافته في المجتمع بل أصبحت هناك اعتبارات أخري تدخل في تكوينه الفكري، الثقافي والإعلامي، اعتبارات خارجه عن النطاق القطري القومي.

فالمجتمعات الإنسانية أصبحت اكثر تقاربا وتأثيرا في لم بعضها البعض من خلال وسائل المواصلات والتقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال والثقافة فلذلك يعد المضمون الإعلامي والثقافي القومي والقطري هو المؤثر والمسيطر على فكر المجتمعات بل أصبحت هناك قوى أخرى خارجية قد تلعب دورا كبيرا في تشكيل فكر الفرد في المجتمع وتؤثر على اتجاهاته الثقافية والسياسية والاقتصادية.

فأصبحت نتاجات الدول الصناعية المتقدمة خاصة الغربية؛ الفكرية الثقافية والإعلامية تشكل جزءا وافرا من المضمون الإعلامي والثقافي والفكري في دول العالم النامي ليس فقط لاعتبارات سياسية وتكنولوجية واقتصادية ولكن أيضا لاعتبارات ترتبط بخصائص تلك الوسائل الإعلامية الثقافية. هذه الاعتبارات ماهى إلا انعكاس لاعتبار اقتصادي بحت فتلك الوسائل لها طبيعة اقتصادية خاصة فهي وسائل تستهدف الانتشار الأقصى بين فئات الجمهور الغير متجانسة، ويطرح هذا الجانب الاقتصادي بعض القضايا والإشكاليات التي قد تؤدى إلى تحجيم أدوارها الوظيفية خاصة التنموية الثقافية، ولعل الإعلام هو أحد عناصر تلك الإشكاليات.

ولقد تناول مفكرى دول العالم النامي والمتقدم على السواء تلك النقاط بالبحث والتحليل الفلسفي منه والعلمي الموضوعي أدرجت إلى جانب البحوث التي تهتم بالبنية الثقافية والإعلامية أي تأثير نتاجات هذه الدول المسيطرة للعلم والتكنولوجيا وفى الإنتاج الصناعي وفى مجالات الإعلام والثقافة على الهوية الثقافية والاجتماعية في دول العالم النامي.

وإذا كنا ندعو إلى ضرورة وضع استراتيجية عربية للعمـــل الإعلامـــي الحالي منه والمستقبلي على ضوء الظروف الحالية، القطرية منها والدولية على السواء، فلا يمكن إغفال أهمية انطلاقه الدراسات من خلال مدخل اجتماعي فـــي دراسة العملية الإعلامية، دراسة قائمة على الدقة القاطعة والوضوح التـــام فـــي تفسير واقع العلاقات الاجتماعية والقضايا المصيرية.

تلك الأدوات العلمية قد تساهم مساهمة فعالة في طرح الحلول للقضايـــا والإشكاليات الملحة، وحصر مسبباتها وعواقبها على الفرد والبنـــاء الاجتمـــاعي والثقافي، فنحن في تلك المجتمعات النامية في اشد الحاجة إلـــى تلـــك البحـــوث التفسيرية حتى يمكن إقامة نظام إعلامي وثقافي قومي متوازن قادر على مواجهة الإعلام والثقافة البديلة والتي تنافس إعلامنا وثقفتنا العربية من خـــلال وســـائل تكنولوجيا الإعلام والثقافة المتطورة.

حول أهمية التليفزيون ودوره في توجيه وإرشاد الرأي العام للقضايا الملحة

فإذا قمنا بتعريف لأهم أدوار الأعلام في العصر الحديث تعريفا علميـــا وفقا لمدارس الفكر الاجتماعي، لوجدنا انه ظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالإطار الاجتماعي والثقافي والمعرفي. بمعنى إن الإعلام هو نظام متكامل يرتبط ارتباطا وثيقا بأهداف المجتمع ومشكلاته وقضاياه. فيمكنه تحجيم تلك القضايا والمشكلات عن طريق إرشاد وتوجيه الرأي العام لأنسب الحلول لمواجهتها. كمـــا أن تلـــك القضايا والمشكلات يمكنها إذا أهملت أن تؤثر على فاعليـــة الأعـــلام والثقافـــة ووظائف كل منهما الاجتماعية المختلفة، ولعل أهم تلك الأدوار الوظيفية للأعلام وفقا لهذا التعريف خاصة في دول العالم النامي، هي المشاركة والتفاعل والتأثير الاجتماعي والتثقيف والترفيه الواعي وإنارة الرأي العام للمشكلات المختلفة هـــذا إلى جانب أدوار التعويض النفسي الواعي، وتأكيد القيم والمفـــاهيم الاجتماعيـــة المختلفة وتأكيد وتثبيت الهوية القومية، والتحديث الاجتماعي.

ولايجب الاعتقاد في أن وظيفة التثقيف أهم من وظيفـــة ودور الترفيـــه. فالترفيه له مهمة اجتماعية كبيرة، إذا كان ترفيها واعيا وموجها توجيها صحيحا فهو يلعب دورا موازيا لأهمية التثقيف.

فمثلا إذا نظرنا إلى الدور الاجتماعي للدراما في التليفزيون نجدها تقـــدم قالبا ثقافيا في شكل من الأشكال الترفيهية الأكثر تعقيدا. وتلعب تلـــك الأشـــكال دورا هاما في توجيه وإرشاد الرأي العام لأهم المشكلات.

فمهمة الأعلام الأساسية خاصة في دول العالم النامي تتحصر أولا في طرح المشكلات والقضايا الأساسية على الرأي العام لتوجيهه وإرشاده لخطورتها وقد تقدم أهم الحلول المقترحة فيما بعد لحلها أو لحصرها. ولكن أهم الأدوار في رأينا هي طرح المشكلة وتحديد جوانبها. وتعتبر تلك الخطوة من أهم الخطوات الإيجابية للدور التنموي للإعلام.

وتتفاوت أدوار ووظائف الرسائل الإعلامية المختلفة في تحقيق هذا الدور الرائد وهو طرح المشكلات والقضايا من خلال مخاطبة الرأي العام بكل فئاته، أي تتحدد مقدرة كل وسيلة وفاعليتها على تحقيق هذا الانتشار الأقصى أي وصول الخبر والمعلومة الثقافية أو الفنية أو الإخبارية من خلال وسائل الأعلام الأكثر شعبية وكفاءة، بصورة موضوعية وصادقة.

ويمكن على ضوء هذه النظرة تحديد أهمية الصحيفة والإذاعة والتليفزيون كأدوات افرزها التطور الثقافي والحضاري في المجتمع ومن خلال قدرة كل وسيلة على إرشاد وتوجيه الرأي العام للقضايا الملحة.

أهمية الصحيفة في تكوين الرأي العام:

وتنفرد الصحيفة كوسيلة إعلامية بأهمية متميزة نظرا لمقوماتها وتاريخها المتأصل في المجتمع المصري، فالكلمة المكتوبة هي من أهم وسائل التعبير التي لا تزال تلعب دورا خطيرا في ممارسة الديمقراطية الفكرية والثقافية في مصر، ذلك للدور القيادي في تاريخ الفكر والثقافة المصرية. فكانت ولا تزال الأداة في يد الطبقة المثقفة المفكرة للتعبير وإبداء الرأي في العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي – ولكن هناك هوة كبيرة تفصل ما بين دور الصحيفة كملتقى لطرح الأفكار المثقفة وصانعي القرار، وبين الجمهور العريض من المواطنين، ذلك للعديد من الاعتبارات التي لاتخفى علينا جميعا وهى، معدلات الأمية المرتفعة وانخفاض معدلات القراءة حتى بالنسبة للمتعلم، والظواهر الاجتماعية الأخرى المعاكسة لإقامة جمهور الصحيفة والكتاب – تلك الاعتبارات تقف أذن دون تحقيق أهم أهداف العمل الصحفي وهو الديمقراطية الإعلامية وتصبح الصحافة وجميع الوسائل الثقافة المقروءة والموجهة أصلا لتوجيه وإرشاد وتنمية الجمهور العريض، لاتصل سوى لفئة منتقاة، ولا تمثل عدد أفرادها المجتمع بجميع فئاته، أي تصبح الصحيفة وسيلة إعلامية محدودة الانتشار.

وهذا يعنى أن دائرة الاتصال – أو العمل الإعلامي – من خلال تلك الوسيلة بالرغم من أهميتها وكفاءتها في تحليل الأخبار والأحداث المحلية والعالمية، دائرة محدودة ومغلقة وتنحصر في نطاق الفئة الواحدة وقد تشير

إحصائيات التوزيع بالنسبة لجريدتي مثلا الأهرام والأخبار اليومية معدلات مرتفعة ولكن هذه النسبة المرتفعة من التوزيع اليومي لاتشير إلى نوعية وكيفية القراءة.

وكان يجب في تلك الحالة أن تتبنى برامج الإذاعة وخاصة برامج التليفزيون المختلفة التي أصبحت الوسيلة الأكثر شعبية وانتشارا تلك القضايا والمشكلات خاصة القضايا الاجتماعية الأكثر إلحاحا والتي قامت الصحيفة بتناولها حتى يمكن توجيه وإرشاد الرأي العام لها ولأهميتها في المجتمع، وبصفة خاصة تقوم تلك البرامج بتفسيرها وتأكيد أهميتها وذلك من خلال البرامج المختلفة (وليس من خلال برنامج واحد) الدرامية والإخبارية والتسجيلية لفئات الجمهور التي لاتقرأ.

فلا يجب أن يكون هناك انفصالا في الرؤية والتخطيط بين الأجهزة الإعلامية المختلفة خاصة في دول العالم النامي، وذلك لخطورة هذا الوضع على إمكانية تشويش الحقائق والقضايا الملحة في المجتمع. فتلك الموضوعات المكتوبة قد تفسر إلى الجمهور الغير قارئ من خلال وسطاء، قد يقومون بتشويه الحقائق والمعاني بقصد أو بدون قصد.

التليفزيون أداة تثقيف وترفيه ولكن ....

ألقت الدراسات التطبيقية الميدانية - الحديثة الخاصة بالتليفزيون المصري وتأثيره الاجتماعي- الضوء على أمر بالغ الأهمية وهو الانخفاض ليس فقط في معدلات القراءة المتأنية والواعية وهذا شئ نعرفه جميعا - ولكن أيضا انخفاض نسبه الاستماع إلى الإذاعة مقارنة بتلك النسبة العالية المرتفعة للتعرض إلى برامج التليفزيون، وخاصة الدرامية منها.

هذه النتيجة تشير إلى أمر بالغ الخطورة، وهو انفراد التليفزيون - كأهم أداة ووسيلة إعلامية جماهيرية - للقيام بدور التثقيف والترفيه في حياة الأفراد في مصر وخارج النطاق القطري المصري هذا إلى جانب الأخبار والإرشاد والتوعية.

أن سوء التخطيط والأعداد لتلك البرامج يعتبر من أهم الأسباب التي عن طريقها يتوجه الجمهور إلى البرامج الأجنبية - عن طريق وسائل الإعلام والثقافة الأخرى - في المنزل كانت أم في المقهى ... والتي قد لا تتفق فقط مع عادات المجتمع وقيمه وثقافته بل أن خطورة هذا الوضع تنحصر في أن تعرضه لهذه الأشكال لا يخضع لرقابة المجتمع ... التي تمارس من خلال برامج التليفزيون القومي.

فالتليفزيون يجب أن يكون أداة جيدة للتثقيف والتوعية وليس أداة لتفاقم مشكلات الثقافة والفكر في المجتمع. وبصفة خاصة في ظل اتصالات الفضاء.

فإذا كانت تلك المشكلات ناتجة على مستوى البرامج التي نتحكم في تقديمها فما موقف السياسة الإعلامية المصرية تجاه برامج التليفزيون الدولي المتنوعة. التي تخفى تحت ستار الإبهار والتشويق معان وأفكار يكون لها في بعض الأحيان عواقبها السلبية على الهوية الثقافية والأمن الفكري في المجتمع.

لقد أصبحت ظاهرة القنوات الفضائية ظاهرة تندرج تحت موضوع اشمل واعم، وهو ظاهرة نظام المعلومات التي تتحكم في آلياته ظواهر علمية ومعرفية ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية فهي ظاهرة لا يمكن أن تحقق أهدافها دون تجهيزات آلية وصناعية وتكنولوجية معقدة هذا إلى جانب توافر جهاز معقد من القائمين على التشغيل والإدارة توافر المادة أو المضمون الثقافي والفكري والإخباري.

وإذا ألقيت نظرة على الوضع الراهن لآليات النظام الفضائي العربي عبر القنوات التليفزيونية سنجد أن اغلب هذه القنوات تقوم بعرض ثقافات الشعوب غير العربية اكثر من عرضها للثقافة العربية، بمكوناتها المختلفة وكما تعيشه الشعوب العربية في العصر الحديث أما عن طريق نقله من وكالات الأنباء العالمية خاصة المضمون الإخباري - أو عرض درامي أو ثقافي من مسلسلات وبرامج متنوعة، وهو غالبا من إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول في أوروبا الغربية مثل فرنسا أو بريطانيا كما سنعرضه فيما بعد.

وقد تقوم القنوات العربية بتقديم بعض المواد العربية الغير كافية في بعض الأحيان لعرض وتحليل وتفسير لواقع الأحداث العربية.

فبرامج المرأة والشباب والأسرة العربية تنعدم تماما في بعض القنوات وان وجدت فهي استعراض لفقرات من برامج لا تمثل الواقع. وكل ذلك في مقابل نقل أحداث فنية أو رياضية وغالبا مباريات لكرة القدم.

ويمكن الكشف بالحقائق والأرقام كما تكشفه الدراسات العلمية الحديثة في مجالات الإعلام والاتصال الجماهيري، مدى القصور الذي يسيطر على قنواتنا العربية الفضائية. فالعالم العربي لا ينتج سوى ٣٠٪ من احتياجاته في حين نحتاج إلى ٤٣٠ ألف ساعة إنتاج سنويا، لملأ سعة تلك القنوات الفضائية العربية من مواد إخبارية وثقافية.. ودرامية.. (*) لمقابلة حاجة المتفرج العربي ولتحقيق

(*) امين سعيد عبد الغنى. دور القنوات الفضائية العربية فى نشر الثقافة العربية - رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الاداب - جامعة الزقازيق ١٩٩٨

نوع من التوازن الفكري والثقافي والمعرفي وحتى لا يلجأ الجمهور للقنوات الفضائية وللإعلام الغربي بكل وسائله لمعرفة واقعة الاجتماعي الثقافي والفني والإخباري.. والذي قد لا يتقابل مع وجهات نظر ومصلحة الشعوب العربية.

وعلى الرغم من أن الدول العربية تمتلك حتى الآن ٥١ قناة فضائية بالإضافة إلى قنوات مصر المتخصصة السبع، أي يمتلك الوطن العربي ٨٪ من عدد القنوات الفضائية العالمية، كما إنها تمتلك قمرين صناعين هما "عربسات" و"نايل سات" هذا وبالإضافة إلى أن دولة الإمارات العربية تخطط لإطلاق قمر صناعي خاص بها مع مطلع القرن المقبل. إلا أن هذا العدد الهائل من القنوات لا يعمل بالكفاءة المطلوبة وذلك كما سنوضحه فيما بعد.

وإذا كانت اتصالات أنظمة الفضاء تعمل في إطار منظومة محكمة لها جوانبها العلمية والسياسية والاقتصادية والصناعية والاجتماعية والمعرفية الثقافية، إلا إنها تعمل في ظل اعتبارات عديدة يمكن إيجازها في النقاط التالية:-

أ- المنافسة القوية التي تتعرض لها تلك البرامج الفضائية - منافسة في ظل نظام إعلامي عالمي يعمل من خلال تطور علمي وتقني وفكري، كما يعمل من خلال الإتقان والعمل و الإنتاج الفكري المتصل اليومي، والذي يواكب الأحداث والتطور في المجالات المتعددة العلمية والتكنولوجية والفكرية الثقافية والاجتماعية.

ب- يعمل من خلال اقتصاديات السوق أو في ظل القطاع الخاص، والذي ينمو في تلك الدول الرأسمالية الغربية التي تطورت تطورا تدريجيا ومتوازنا، بين الفكر والمعرفة الإنسانية، وبين التطور العلمي والتكنولوجي والصناعي الاقتصادي.

هذا التطور انصهر في بوتقة اجتماعية مواتية إلى حد بعيد، ويسوده مناخ من الديمقراطية الفكرية ويعمل في ظل من الاستقرار السياسي والاقتصادي..

ج- يعمل من خلال تنظيم أدارى ومؤسسي مرتفع المستوى. وفى مقابل إعداد هائلة من القنوات الفضائية التي تصل إلى ٥٢٥ قناة تقريبا، تمتلك الدول العربية مجتمعة ٥١ قناة فضائية لا تعمل بكفاءة إنتاجية وتنظيمية وذلك لعدم القدرة على التنسيق فيما بينها هذا إلى جانب عدم قدرتها على تكثيف الإنتاج الثقافي والدرامي والإخباري وتجويده وقربه من واقع الحياة التي يعيشها المواطن

العربي ولعل هناك بعض السلبيات المصاحبة لعملية التنسيق والتنظيم والإدارة وذلك لأسباب ترتبط بظاهرة البث خارج الوطن العربي فمعظم هذه القنوات العربية تبث معظمها من خارج الوطن العربي.

وتستخدم القنوات العربية الفضائية اللغة العربية كلغة أساسية. وتغطي المنطقة العربية.

وانطلاقا مما سبق يمكن التأكيد على أهمية العامل الثقافي والفكري والمعرفي القومي كعنصر مرجح يستطيع بكل فاعلية تحجيم قضايا تكنولوجيا الاتصال وخاصة المرتبطة بالتليفزيون الدولي وبرامجه المختلفة وما يقدمه من ثقافة بديلة. كما سنوضحه فيما بعد.

ويمكن استعراض بعض الملاحظات المبدئية التي توضح خطورة وضع النظام الإعلامي العربي:

١- غياب الواقع العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا فهناك العديد من القضايا المحورية التي لا تلقى الاهتمام الكافي مثل القضايا البيئية - وقضايا المرأة العربية وقضايا التعليم والتربية وقضايا الشباب... وقصور هذا الواقع على الأخبار السياسية التي يخصص لها حيزا كبيرا يصل إلى ٣٠٪ من زمن الإرسال موزعا بين أقوال المسؤولين في دولة البث، والأخبار الوافدة من وكالات الأنباء العالمية.

٢- غياب الثقافة العربية الأصيلة وعدم تناولها وتفسيرها في المضمون الثقافي والإعلامي مثل الصحافة - الكتاب - لايحكم المادة الإذاعة - التليفزيون والسينما العربية الجادة والمسرح والفنون الشعبية المتقنة، في مقابل التركيز على بعض البرامج السهلة مثل الفيديو كليب .. والمسلسلات التي تصل إلى مجموع ٤٠٪ من مجموع عدد ساعات الإرسال. (*)

٣- غياب الدراسات المستقبلية - لغياب المعلومات المرتبطة بواقع المجتمع ولعدم القدرة على استخدام المنهج العلمي الذي يحلل الواقع ويفسره تفسيرا موضوعيا.

(*) انظر نفس المرجع السابق

هذه الأبعاد مختلفة سنتناولها في الدراسات النقدية التـــي يضمهـــا هـــذا الكتاب التي تدور حول موضوعات يجمعها خيط واحد متصـــل، أي ارتباطهـــا بالقضايا الاجتماعية والإعلامية والثقافية المتصلة بمجتمعنا العربي بصفة عامـــة ومصر بصفة خاصة.. والتي يجب أن تؤخذ في الاعتبار ونحن نخطط لسياستنا الإعلامية المستقبلية في الألفية الثانية.

فهي إذا محاولة متواضعة لحصر أهم المناهج الأكثر صلاحية للتطبيـــق في مجالات الإعلام والاتصال التليفزيوني - كما يقدم محاور للـــدور الوظيفـــي للتليفزيون المصري كشكل ومضمون إعلامي وثقافي في مواجهة جمهور ينتمي إلى دولة عربية نامية. في عصر القنوات الفضائية الدولية.

فهي إذا محاولة علمية متواضعة أقدمها للقارئ والباحث والمتخصـــص العربي عامة والمصري خاصة.

والله الموفق،،،

نسمه احمد البطريق
يناير ١٩٩٩

فصل تمهيدي

حول أهمية المنهج الاجتماعي في دراسات الإعلام التليفزيوني من منظور نقدي: (*)

تجتاز النظرية العامة للاتصال الجماهيري مرحلة هامة وحاسمة من مراحل النمو والتطور فرضتها ظروف المجتمع الإنساني الحديث. فاصبح الفصل بين علم الاتصال الجماهيري والنظرية الاجتماعية من الأمور الصعبة بل المستبعدة في المجالات البحثية التي تمس اكثر المجالات التصاقا بالمجتمع وتعاملا مع الحياة والأنماط الاجتماعية المتعددة. ويمكن إرجاع أهمية العناية بالمدخل الاجتماعي للإعلام بصفة عامة والإعلام التليفزيوني في الدول العربية إلى عوامل عديدة نحصرها في النقاط التالية:

١- أصبحت البحوث والدراسات تؤكد على ضرورة الربط بين علم الاتصال والنظرية الاجتماعية، وذلك لإمكان تحديد المشكلات التي تواجه الإعلام بوسائله. لقد اصبح المدخل الاجتماعي للإعلام والاتصال الجماهيري، خاصة في مجالات الوسائل المسموعة المرئية يضم العديد من وجهات النظر التي قد تصل في كثير من الأحيان إلى مستوى النظريات العلمية، والتي تبلور جميعها أهمية الصورة المتحركة كشكل من أشكال الإبداع الفكري والفني الأكثر تعاملا مع الفئات المختلفة من الجماهير، إلا انه لا يحقق هذا التعامل الأدوار الوظيفية المتعددة من تأثير وإقناع وإرشاد وتوجيه وتعليم. هذا لقصور يمكن إرجاعه في اغلب الأحيان إلى طبيعة المجتمع الذي يتعامل معه الصورة المتحركة كشكل من أشكال الإبداع الفكري والفني الأكثر تعاملا مع الفئات المختلفة من الجماهير، وقد يكون من المناسب إذن حصر المقومات الرئيسية للمجتمع الإعلامي حتى يكون إيضاح ما قد يعترض الإعلام المرئي المسموع في الدول العربية من عوائق وسلبيات.

٢- أن دراسة هذه الجوانب من الناحية النظرية والعلمية تعتبر أحد المجالات الجديدة التي يطرقها الفكر الإعلامي، ويعبر هذا الاهتمام عن أحد الاتجاهات في

(*) انظر للمؤلف - "المدخل الاجتماعي للاعلام العربي - دراسة فى اشكاليات التواصل الفكرى.. من خلال الاعلام التليفزيوني". - المجلة التونسية لعلوم الاتصال - العدد ٢٢ يناير - تونس - يوليو ١٩٨٧.

علم الاتصال وهو معرفة أسباب اللاتوازن الإعلامي والثقافي وخاصة الوقوف على المعوقات التي تعترض العملية الإعلامية والثقافية والإبداعية من خلال الإعلام المرئي المسموع خاصة بعد هذه الثورة الهائلة في مجال اتصالات الفضاء التي أتاحت للقنوات المرئية ازدهارا وانتشارا قد يفوق قنوات البث المسموع هذا من ناحية ومن ناحية أخري دخول المجتمع الحديث عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال بكل أبعاده وثقله في الوقت الذي تزايدت فيه وتفاقمت المشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية خاصة في دول العالم النامي فالتفكك الإقليمي والسياسي ومشكلات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وطرح قضايا عديدة تدور معظمها حول الهوية الثقافية وإمكانيات تهديد هذا المكون، وازدياد نمو المخاوف، وازدياد التبعية السياسية للدول المصدرة للتكنولوجيا وما يترتب عليه من تعميق الأزمات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بين أقطار العالم العربي من جانب وبين تلك الأزمات ومظاهرها ونتائجها البعيدة والقريبة على مستقبل السياسات الإعلامية العربية.

وما يهمنا ايضاحة هنا خطورة عملية نقل التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال في بيئة لم تتوافر بها بعد المقومات الرئيسية لإقامة مجتمع إعلامي حديث.

٣- أن الثورة التكنولوجية الهائلة في مجالات الاتصال والإعلام وتدفق المعلومات وما صاحب هذه الثورة العلمية من تطوير في الآلات الإلكترونية، الأمر الذي أدى إلى منافسة الإعلام المرئي المسموع عن طريق التليفزيون والفيديو كاسيت النظم الإعلامية الأخرى خاصة الخطية. هذا الوضع يزداد خطورة إذا علمنا أن هناك ظواهر اجتماعية أخرى معاكسة لإقامة بنية إعلامية فعالة خاصة في مجتمعات العالم النامي أهمها: تفشى الأمية والبطالة بأنواعها الظاهرة والمقنعة، والتضخم السكاني في المدن والاختلال الطبقي والثقافي ... فرض هذا الوضع العديد من المشكلات الاجتماعية والثقافية والإعلامية التي يجب دراستها بمنظور اجتماعي جديد.

٤- أن الصورة بصفة عامة كوسيلة للإبداع الفنى وكأساس منهجي في دراسة لغة التليفزيون لم تتناولها البحوث الإعلامية العربية بالتحليل والدراسة العلمية لبيان مقوماتها الاجتماعية والفكرية. فالصورة كشكل من أشكال الإبداع الفكري والثقافي والفني، نظر لها على الأقل في فترات الظلام الثقافي قبل عصر النهضة العربية الحديثة في بداية القرن التاسع عشر على أنها شكل من الأشكال الفنية

المحرمة التي لا يجب التعامل معها، ومع النهضة الثقافية والاجتماعية في مصر، قام رواد الفكر العربي الحديث بتقديم العديد من الحجج والقرائن، أباحت دخول هذا الشكل الفنى الحياة الثقافية والفكرية مع بداية القرن العشرين مستندين في ذلك إلى قواعد وتعاليم الشريعة الإسلامية.[٢] ولكن دخول الصورة المتحركة كمفردة من مفردات لغة المرئيات لم يتناولها الفكر الإعلامي العربي بالدراسة والتحليل بشكل كاف.

تلك الملاحظات النظرية وغيرها تشير إلى أهمية دراسة المدخل الاجتماعي للإعلام وبصفة خاصة الإعلام المرئي المسموع خاصة وان الدول العربية تتعامل مع وسائل تكنولوجية غريبة عن بيئتها الصناعية، وتحاول جاهدة أقلمة ظروفها وبيئتها الفكرية حتى تتلاءم وتكنيك تلك الوسائل، وهذا على عكس الدول الغربية الصناعية المتقدمة التي مرت بمراحل صناعية وحضارية، حققت للمجتمع تطورا فكريا وثقافيا واجتماعيا يتناسب وحضارة الآلة بل فرضت تلك المجتمعات ثقافة متميزة قوامها الصورة المتحركة كمرحلة متقدمة من الإبداع الفكري والثقافي.

أن المقولة التي تؤكد على سهولة الصورة المتحركة في التأثير وتلخيص الفكر والمعلومات، هي مقولة صحيحة ولكن غير كافية لتأكيد صلاحيتها، وذلك لان لغة المرئيات لن تحقق القدر الكافي من التأثير على الفئات المختلفة من الجماهير إلا بتوافر شرط المرور بحضارة الكلمة المكتوبة، ومما لاشك فيه أن النظرة الاجتماعية التي ميزت المجتمعات على أساس الشكل التكنولوجي والصناعي الناقل للفكر والمعرفة والثقافة أصابت التعبير والتحليل كما سنوضح فيما بعد.

وتقودنا هذه المقدمة إلى إلقاء بعض الضوء على أهمية المنهج الاجتماعي في دراسة قضايا الإعلام والاتصال الجماهيري وبصفة خاصة الإعلام التليفزيوني في الدول النامية وبصفة خاصة الدول العربية ومصر.

أن التحليل المنهجي لمفهوم المدخل الاجتماعي الذي تطور منذ النصف الأخير لهذا القرن. لم يعد قاصرا على دراسة النظم الإعلامية بمعزل عن بيئتها الاجتماعية بمقوماتها الفكرية والثقافية والفنية والاقتصادية والانثروبولوجية ...

---

[٢] انظر فتوة للشيخ محمد عبده – الوقائع المصرية ١٨٩١، حول هذه النقطة انظر، محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ محمد عبده مطبعة المنار – القاهرة ١٩٣١ – ايضا راجع، نسمه احمد البطريق – المداخل الاجتماعية والثقافية للسينما المصرية، رسالة دكتوراه الدولة – غير منشورة – بالفرنسية – كلية الاداب – قسم الصحافة والاتصال الاجتماعي – جامعة بروكسيل بلجيكا – ١٩٧٩.
ايضا راجع انورعبد الملك،
- Anouar Abdel-Malek - Ideologie et Renaissance Natıonale - Ed. anthropos Paris - 1961.

بل امتد هذا المنظور ليحلل جزئيات مضمون النظم الإعلامية ويفسر البعد البنائى والتركيبي، كما يدرس الخصائص العامة لفئات الجمهور المختلفة، وذلك لتحديد نوع العلاقات الجدلية القائمة بين القوة الفكرية المنتجة والفئات الاجتماعية المتقبلة لهذا المضمون الفكري للأعلام ولذلك اصبح من الضروري وضع فروض علمية جديدة لتحليل التكوين البنائى للوحدات الإعلامية الخطية من ناحية والنظم المسموعة المرئية وحصر الأهمية النسبية لمكانة الكلمة المكتوبة كمقومة من المقومات الأساسية الداخلة في التركيب البنائى للمضمون الإعلامي لتلك الوسائل.

وإذا كانت الدول العربية تنتظر العديد من الأدوار الوظيفية من تلك الوسائل لمواجهة تحديات العصر الحديث خاصة فيما يتعلق بالتنمية الاجتماعية والثقافية، فهناك قضية أخرى تفرض نفسها، يجب تحليل جوانبها وهي كيفية إنجاح عملية الاتصال الجماهيري خاصة في المجتمع العربي من خلال حضارة الصورة المتحركة، وتحديد الشروط الواجب توافرها في الوسط الاجتماعي المتلقي لها لتحقيق علاقات إيجابية متبادلة. فمن المعروف أن من بين الأسس الهامة الداخلة في إنجاح عملية الاتصال والتواصل الفكري من خلال الأنظمة الإلكترونية الحديثة المرئية المسموعة الناقلة للفكر توافر معاني مشتركة مقبولة بين القوة الفكرية المنتجة للرسائل الإعلامية وبين القوة المتقبلة لهذه الأفكار. فقد تكون المعاني المطروحة مشتركة في المحيط الاجتماعي من خلال أنظمة التواصل التقليدية ولكن معالجتها بهذه الوسائل المسموعة المرئية قد تفقدها التوازن القائم مما يؤدى إلى تدفق الرسالة الإعلامية في اتجاه واحد وتفقدها مفهومها الحقيقي وتغير من مسارها وهدفها النهائي.

فهناك فيصل منهجي بين الفكر والثقافة المكتوبة أي الرسائل الخطية كالمقال في الصحف وبين الفكر والثقافة التي يتدخل التليفزيون والتكنولوجيا المرئية الحديثة في نقلها خاصة عن طريق الصورة المتحركة كما في المسلسل أو البرنامج الثقافي أو الإخباري في التليفزيون. ولذلك كان من الضروري إعادة دراسة الفروض النظرية التي توصل إليها العلماء في المجالات الاجتماعية والإنسانية المختلفة منفردة وإعادة توظيفها لمعالجة هذه القضية الهامة•والملحة بعد هذه الثورة التكنولوجية والإلكترونية التي ساهمت وأدت إلى زيادة تعميق الهوة بين الجمهور المتلقي بخصائصه الاداراكية والتربوية والاجتماعية التقليدية الثابتة. وبين متطلبات المجتمع الإعلامي الحديث المتطور، وعلى وجه الخصوص القضايا المرتبطة بإشكالية التداخل الحضاري بين النظم الإعلامية المختلفة وأصبحت من القضايا الملحة للكشف عن متطلبات وخصائص تلك البيئة

الإعلامية التي فرضها التقدم العلمي والصناعي لمقابلة تلك الرسائل المركبة والتي تتدخل اكثر من حضارة في تكوينها. لقد أصبحت البحوث النظرية التي ترتكز على المنهج التحليلي للمحتوى الفكري والإعلامي لوسائل الإعلام والثقافة خاصة النظم المسموعة المرئية من الفروع المتطورة للمدخل الاجتماعي للاتصال الجماهيري، من حيث إبراز أهمية دراسة مضمون هذه الوسائل، ليس فقط كوحدة فكر تعكس فكرة وثقافة المجتمع في مرحلة من مراحل تطوره التاريخي، بل لتحديد نوع العلاقة المتداخلة والداخلة في تكوين محتواها الفكري والفني.

وبدون تفسير نظري وعلمي لهذا الجانب يصعب تحديد إبعاد محور من المحاور الأساسية للمشكلات التي تعترض الإعلام الإذاعي المرئي في الوطن العربي.

وإذا كان هذا المنطلق يتناول – من خلال منظور نقدي – بعض القضايا المحورية التي تثار حول الدور الخاص للتليفزيون في المجتمع النامي وتأثيره كوسيلة من وسائل الاتصال الفعالة في المجتمع. فإننا سنحاول قبل تناول تلك القضايا الاجتماعية بالدراسة، تحديد لبعض المحاور التي نراها لازمة لحصر منهجنا في الدراسة ويمكن تحديد أهمية هذا الاتجاه المنهجي من خلال استعراض بعض النقاط الأساسية:

أولا: بعض الصعوبات النظرية التي اعترضت مسار هذا الاتجاه الاجتماعي في دراسة الإعلام العربي.

ثانيا: الاتجاه الجديد في مجال مناهج البحث لدراسة الاتصال الجماهيري وقضاياه المنهجية.

ثالثا: خصوصيات ومقومات المجتمع الإعلامي الحديث وتصور لوضع استراتيجية عربية
لبحث المدخل الاجتماعي للإعلام المرئي المسموع في الوطن العربي.

أولا: بعض الصعوبات المنهجية التي اعترضت مسار هذا الاتجاه الاجتماعي في دراسة الإعلام الجماهيري. ويمكن إيضاح هذا المدخل النظري من خلال وجهتين.

أ- ارتباط مناهج البحث في مجال العلوم الإنسانية خاصة في دول العالم الصناعي منذ اتضاح أهميتها في أواخر القرن التاسع عشر بمناهج البحث

الخاصة بالعلوم الطبيعية. ويرجع الافتقار إلى أسس نظرية تحكم وتفسر الخلفية الاجتماعية القادرة على توضيح نوع العلاقات المتعددة بين الأنماط الاجتماعية وحصر درجات تفاوتها ومدى قدرتها على تقبل الرسائل الثقافية والفنية إلى سبب جوهري وهو غياب التفسير السوسيولوجي في البحوث والدراسات الاجتماعية خاصة بعد التطور التكنولوجي والصناعي وسيادة الآله في الحياة الاجتماعية، فزيادة تلك النزعة الامبيريقية الوضعية التي كانت تحظى وحدها بالمصداقية الأكاديمية أدي إلى عدم الاهتمام بتطبيق المنهج الكيفي على الظواهر الاجتماعية.

واصبح تعميم الظواهر وتطبيق أسلوب التحليل الإحصائي في اختيار العينات هدفا في حد ذاته. ويرجع سيطرة هذا الاتجاه الكمي في تلك الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى رغبة علماء الاجتماع منح العلوم الاجتماعية معايير العلم الدقيق وأدوات منهجية دقيقة وصارمة وفروض توجه الباحث، وقوانين تشبع الحاجة إلى نسق نظري متجانس ومترابط من جهة وبين التفسير الاجتماعي من جهة أجزي. كل ذلك تحت الدقة المنهجية والموضوعية، وتبنى فكرة النموذج الواحد الذي يمكن تطبيقه على الظواهر المماثلة مهما كان او لاختلاف في البيئة الاجتماعية.[3]

ورغم سلبيات هذه النزعة التحليلية الوضعية التي اتصفت بها الدراسات الغربية، ألا أننا لا ننكر أهميتها في مجالات الدراسات الإعلامية، خاصة مناهج البحث التي أمدت نظريات الاتصال منطلقات علمية عديدة ونماذج وأدوات نظرية ساعدت إلى حد بعيد على تفسير آليات العملية الاتصالية. ولعل نموذج العالم الأمريكي "لاسويل"، LASSWELL من تلك النماذج الهامة التي وجهت البحوث والدراسات إلى منطلقات متعددة فارتكازها على العناصر المكونة لعملية الاتصال الجماهيري ودراسة كل عنصر على حدة فتح مجالا علميا واسعا ساعد على إضافة العديد من المفاهيم والأبعاد في تكوين تصورات ومنطلقات تبنتها المدارس الأوروبية الغربية فيما بعد، خاصة المدرسة الفرنسية والبلجيكية التي ارتكزتا على دراسة المدخل الاجتماعي للأعلام والاتصال الجماهيري من منظور حديث وبصفة خاصة فيما يتعلق بدراسة جمهور الإذاعة والتليفزيون والسينما من منطلقات اجتماعية وثقافية معرفية.[4]

---

[3] السيد محمد الحسيني – نحو فهم جديد لقضايا علم الاجتماع، دار المعارف القاهرة ١٩٨١– ايضا محمد على محمد. مقدمة فى البحث الاجتماعى – دار النهضة – بيروت ١٩٨٢.

[4] حول هذه النقطة راجع جيهان احمد رشتى. الاسس العلمية لنظريات الاعلام – دار الفكر العربي، القاهرة – ١٩٧١.

ب- سبب خاص بالدول العربية ويرتكز أساسا على نقطتين:
أولا: انشغال الباحثين والعلماء العرب بقضايا التحرر السياسي والاقتصادي.
وثانيا: صعوبة تتبع أسباب التفتت الاجتماعي والسياسي في العالم العربي.

النقطة الأولي: أدي التركيز على ربط الدراسات العربية في المجالات العلمية المختلفة بالنظريات السائدة في دول العالم الغربي الصناعي المتقدم من ناحية وانشغال الباحثين والعلماء العرب بقضايا التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي من ناحية أخري إلى صعوبة إعطاء مدلول واضح وموحد لمفهوم التخلف الاجتماعي والثقافي الذي يواجهه العالم العربي. للانشغال بإيجاد مفهوم موحد للتخلف الاقتصادي والسياسي ومحاولة العثور على حلول علمية للتغلب على الإشكاليات المطروحة والمفاضله بين الأيديولوجيات ومدارس الفكر الاقتصادي من اشتراكية ورأسمالية بهدف رسم فلسفة للتنمية الاقتصادية. [5]

وكان من الطبيعي أن تتأثر النظم الإعلامية وتخطيط برامجها الشامل في ظل هذه الخلفية الاقتصادية والسياسية. ورغم جدية البحوث والدراسات المرتبطة بالتنمية الاجتماعية ومحاولة تحديد مفهوم التبعية الاقتصادية والسياسية والفكرية، لم تساهم تلك التصورات في وضع منهج تطبيقي لتطوير البنية الأساسية والهياكل الاجتماعية التي يرتكز عليها المجتمع الإعلامي الحديث ورسم سياسة شاملة لمواجهة الإعلام العربي إخطار الاختراق الثقافي والفكري عن طريق الوسائل الإعلامية المسموعة المرئية، وتقديم مفهوم واضح ومكتمل للمدخل الاجتماعي للإعلام العربي، كمدخل يحلل ويفسر الظواهر الإعلامية كظواهر افرزها المجتمع وفقا لتطور تاريخي تنصهر بداخله مقومات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية محددة وأيضا يحلل تلك الظواهر والنظم الإعلامية من داخلها أي تأثير التتابع الحضاري وما هيأه من مقومات إيجابية على التكوين المنهجي والبنائى للوحدة الفكرية والكشف عن مقومات هذه اللغة الحديثة ومدى تمثيلها للأنماط الاجتماعية المختلفة.

النقطة الثانية: لعل هناك أسبابا اعمق توضح غياب نظريات حديثة تتناول هذا المنظور الحديث للإعلام العربي الذي ينطلق من واقع الظواهر والأنماط

---

[5] حول الدراسات الاعلامية الخاصة بمشكلات التبعية، راجع، عواطف عبد الرحمن قضايا التنمية الاعلامية والثقافية في العالم الثالث.

الاجتماعية وعلاقاتها بالفكر السياسي والثقافي وتفسيرها من واقع خلفية تاريخية تتبع مسار المجتمع وحركته. وترجع هذه الأسباب جميعا إلى صعوبة تتبع أسباب التفتت الاجتماعي والسياسي في تلك الدول وذلـك للميـل المتعمـد لاختصـار المشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية في صورة لا تتناسب والواقع المريـر الذي يعيشه المجتمع العربي وطبقاته المختلفة، نتيجة للتقنيات المتعبة مـن قبـل الحكومات في تلك الدول وتنوعها وفقا للنزعات السياسية وتحقيقا لمبدأ سـلطوية الدولة، وانفرادها في تطبيق أيديولوجية واحدة لا تمثل الوعي الفكري والثقـافي للطبقات والأنماط الاجتماعية الأخرى.[٦]

ويمكن القول بصفة عامة أن الصعوبات التي اعترضت مسـار الاتجـاه الاجتماعي للإعلام الجماهيري في الوطن العربي ترجع إلى أن ممارسة العمـل الإعلامي العربي يتبع القرارات السياسية ويرتبط بها وهـذا يعنـى أن العمـل الإعلامي ترجمة لواقع السياسة ولواقع صناعة القرار في صورته الاجتماعيـة الشاملة.[٧]

وكل دولة من دول العالم العربي تعيش تلك التناقضات والظروف، قـد تختلف بعضها في السمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية العامـة إلا أنهـا تعيش جميعا التبعية الفكرية والثقافية والاقتصاديـة والسياسـية بكـل أبعادهـا ومظاهرها. فإذا اختلفت بعض الظواهر من حيث الشكل فالعوامل والأسباب التي أدت إلى تلك التبعية تكمن في أعماق المجتمع ولاتزال أثارها تحكم وتوجه بعض الأنماط الاجتماعية وتتخذها سندا لها لتحقيق أهداف معاكسة للمصلحة العامة.[٨]

ثانيا: أهمية الاتجاه الاجتماعي في دراسة الاتصال والأعـلام الجماهيري من منظور نقدي:[٩]

أصبحت البحوث النظرية التي ترتكز على التحليل الاجتماعي والمنهجي التركيبي والبنائى للمحتوى الفكري لوسائل الإعلام والثقافة المسـموعة المرئيـة

---

[٦] نادية رمسيس "التنمية وازمة التحول السياسي"، المنار عدد يونيو ١٩٨٥، ص ٤٢، ص ٦٩.

ايضا، راجع دراسة عمر ابراهيم الخطيب، "الجوانب الايديولوجية والسياسية والادبية الفكر التكنولوجي العربي" – مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٤ شتاء ١٩٨٤ ص ٢١.

ايضا ، راجع انور عبد الملك: الفكر العربي ومعركة النهضة – دار الاداب بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٧.

[٧] غسان العطية، "دور الجامعة العربية فى الاعلام" – ندوة جامعة الدول العربية "الواقع العربية – ابريل ١٩٨٢ ص ٤١١ وما تبعها.

[٨] مصدر سابق – نادية رمسيس "التنمية وازمة التحول السياسي".

[٩] انظر، نسمه احمد البطريق – نظرية الاعلام المولى المسموع – دراسة فى المدخل الاجتماعى – الاهرام – ١٩٨٩.

خاصة في (السينما والتليفزيون) من الفـــروع المتطـــورة لنظريـــة اجتماعيـــات الاتصال والإعلام الجماهيري. واصبح هذا النوع من الدراسات وجهه يتجه إليها العلماء والباحثون في دول العالم الصنـــاعي فـــي الغـــرب خاصـــة المرتبطـــة بالتليفزيون كفرع حديث لنظرية الاتصال الجماهيري. فالتقدم العلمي في مجـــال مناهج البحث قدم وسائل وأدوات لتحليل ودراسة المضمـــون الإعلامـــي لتلـــك الوسائل واستكشاف العلاقات اللغوية والبنائية لتحديد العلاقات المتداخلـــة بيـــن الأشكال التعبيرية والثقافية المختلفة من جانب وتحديد موقف المتلقي مـــن هـــذه الوحدة الفكرية والثقافية، وكيفية تعامله معها من جانب أخر.

ذلك المنظور الاجتماعي الحديث مر بمراحل عديدة، ولعل مـــن المفيـــد الإشارة في هذا المجال إلى نموذج العالم الأمريكي (LASSWEL) الذي كـــان لـــه الفضل في تطوير النظريات الاجتماعية التي خصت بالتحليل والدراسة العناصر المختلفة لهذا النموذج. إلا أن اغلب هذه الدراسات نظرت إلى مضمون الرسائل الإعلامية نظرة منفصلة كل الانفصال عن المضمون الثقافي والفكري واعتبرت وسائل الإعلام الجماهيري مجرد وسيط بين منتج ومتلقي الرسالة يمكن الاستغناء عنها. [٩]

وتبنت المدرسة الأوروبية خاصة الفرنسية منها التيار الفكري الذي يرى ضرورة انطلاق الدراسات الاجتماعية الخاصة بالوسائل السمعية المرئيـــة مـــن منظور تفسيري لخصوصية النظم السمعية المرئية كنظم هيأت لظهورها مقومات اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية... ومدى تأثير التتابع الحضاري وما هيأه من مقومات إيجابية على التكوين التركيبي والبنائى للغتها، أي دراســـة الطبيعـــة الاجتماعية لعلم الاتصال أو لنظرية الإعلام الإذاعي المسموع المرئي، لاستنتاج قوانين تلك الظاهرة وتحديد خصائصها وأبعادها والتطبيقية. [١٠]

فالدراسات التقليدية الخاصة بتحليل المضمون أو المحتـــوى الإعلامـــي تناولت هذا النتاج من الناحية الكيفية والكمية، ورغـــم أهميـــة تلـــك الدراســـات

---

[٩] (مكرر) مصدر سابق – جيهان احمد رشتي، الاسس العلمية لنظريات الاعلام. ايضا

- Lyman Boyson The Vommunication of Harper New-York 1949 Harod D. Lasswell Whogets what How? Nwe York. Mc Graw. Hill 1934.

[١٠]

R Barthes l'Emprire des Signes, Geneve Skira 1970

لنفس المؤلف

Le Plaisır du Texte Paris Seuil 1972.

ايضا راجع

- N Chomsky. Dup Stucture. Surfac stucture and Semantic Interpertation . Cambrige mas, 1968.

القصوى في حصر اهتمامات المجتمع المتنوعة في فترة زمنية محددة واستخدام هذه النتائج لتحديد الأنماط المختلفة للإنتاج الإعلامي وموقفه من الفكر والثقافة وتحديد الأسلوب المتبع، إلا أن هذا النوع من الدراسات لا يمكن الاعتماد عليه بمفرده كعنصر وكأداة للتحليل والنقد الاجتماعي لمضمون وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري خاصة الإعلام السمعي المرئي، وتحديد موقف الثقافة والإعلام من القضايا الهامة المرتبطة بالمجتمع وكيفية معالجة هذه لموضوعات من خلال تلك الوسائل الإعلامية المتطورة التي فرضت طرقا ومناهج قد لا تتقابل وتتلاقى بمستوى معرفة بعض الأنماط الاجتماعية المختلفة في المجتمع.

أن دخول هذه الوسائل الحديثة بمختلف وتعدد أشكالها وخصوصيتها حياة الأفراد والشعوب أصبحت تشكل ليس فقط السلوك الاجتماعي والتربوي بل تتدخل في التكوين الفكري والثقافي والسياسي.

وأصبحت من الاهمية المنهجية إعادة دراسة الفروض النظرية التي توصل إليها العلماء في مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة وتوظيفها لمعالجة هذه القضية الهامة، والكشف عن مقومات هذه اللغة الحديثة - أي لغة التليفزيون والسينما وبعض الأسس النظرية التي ترتكز عليها وكيفية تعاملها مع الفكر والثقافة وموقفها من القضايا الهامة والملحة التي يجب إخضاعها للبحث والتحليل العلمي المتعمق.

اختلاف المناهج الإعلامية في تناول المنظور الاجتماعي:

واختلفت المناهج الإعلامية في الدراسة والتحليل باختلاف الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يرتكز عليها المجتمع في مسيرته التاريخية ولقد انطلقت الدراسات الإعلامية في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تفسير اقتصادي وسياسي وأهمل الجانب الثقافي والفكري وأصبحت الدراسات الإعلامية تتعامل مع المضمون الإعلامي باعتباره مضمونا منفصلا عن المضمون الثقافي. فالمضمون الإعلامي لا يعكس بالضرورة ثقافة المجتمع لانه يقدم المواد الثقافية في صورة مبسطة وسطحية تفقد في كثير من الأحيان الثقافة جديتها وانعكاساتها الفكرية في الوسط الاجتماعي. وفقا لهذا المنظور من الدراسات الإعلامية اعتبر المضمون سلعة تعرض في سوق الثقافة والفكر ووفقا لقانون العرض والطلب يحدد ملامحه وخصائصه المستهلك الإعلامي. [١١]

١١

- O. Burgelin "Les Communiction de masse dans la Socite industrielle, le marche des messages", dans systemes partıels de communicatıon.

وكان من نتيجة هذه النظرية اهتمام الباحثين والعلماء بالمنهج العلمي المتبع في دراسة المضمون الإعلامي وعنصر التأثير. كما أهملت الجوانب التحليلية والتركيبية للغات المرئيات أي (السينما والتليفزيون)، كعامل من العوامل القادرة على توضيح العلاقات المتبادلة بين المستهلك والمنتج الإعلامي أي بين المستقبل والمضمون الثقافي والاجتماعي.

وتطورت مناهج البحث الخاصة بالتحليل المنهجي لعنصر التأثير الإعلامي لوسائل الاتصال الجماهيري وعنصر الانتشار (audiences) خاصة بعد أن قدم (LAZARSFELD) "لازارسيفلد" منهجا جديدا في التخليل والدراسة يؤكد فيه على دور قادة الرأي والجماعات الأساسية في الإقناع والتأثير خاصة في مجال الدعاية السياسية والتجارية. ورغم أهمية تلك النظريات في تطوير البحوث الإعلامية إلا أنها أكدت اتجاها كان سائدا وهو غياب الدراسات الخاصة بتحليل خصائص الوسيلة وقدرتها على التأثير كشكل ناقل للفكر والثقافة وكظاهرة إعلامية وثقافية واجتماعية وتكنولوجية استمدت قدرتها في التأثير والإقناع من خلال التطور الاجتماعي والثقافي.[١٢]

ضرورة الأنطلاق من دراسة الوسيلة الإعلامية:

فكما أشرنا من قبل أصبحت ضرورة الكشف عن المقومات التركيبية والبنائية للمضمون الإعلامي وتتبع الأدوار السلوكية المختلفة والكشف عن التأثير الاجتماعي لتلك الوسائل الإعلامية والثقافية من الأهداف الأساسية للدراسات الحديثة في الإعلام والاتصال الجماهيري.

ويختلف الأساس النظري الذي ترتكز عليه الدراسات في الدول النامية والدول الصناعية المتقدمة وذلك لطبيعة البيئة الاجتماعية والسياسية والوسط الذي يتحرك بداخله الحدث الإعلامي والثقافي وأيضا لطبيعة التكوين الفكري، وقدرات الجمهور المتلقي. فلقد انطلقت في الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدراسات وكما أشرنا من قبل، من منظور اقتصادي فوظفت فروض النظرية الإعلامية لتحليل الظواهر الاقتصادية وحصر الدلالات المؤثرة في فئات الجمهور المختلفة لقياس درجة تفضيله لأنواع معينة من المحتوى الثقافي أو الفكري أو السياسي أو الترفيهي للوسيلة الإعلامية. فالعامل المسيطر والموجه

---

[١٢] حول هذا الموضوع راجع، مرجع سابق.

جيهان احمد رشتي. الاسس العلمية ص ١٨٢ ٦٢١

– انظر ايضا، السينما المصرية والمداخل الاجتماعية والثقافية، دكتوراه الدولة – مرجع سابق.

لعملية الإنتاج الفكري والثقافي هو مبدأ الربح المادي، هـــذا الوضـــع يتناســب وطبيعة المجتمعات الصناعية المتقدمة التي تختلـــف فـــي بيئتهـــا الاجتماعيـــة والسياسية مع الدول الآخذة في النمو. فالبيئة الاجتماعية وخاصة البيئة الإعلامية في الدول الصناعية المتقدمة محصنة لمثل هذه الحرية في الاختيار بين المـــواد الثقافية والإعلامية المتنوعة، لان المقومات الحضارية والاقتصادية.والاجتماعية والسياسية المواتية قد لا تتوافر بصورة متكاملة في الدول النامية أو دول العـــالم الثالث بصفة عامة، لافتقار بيئتها الإعلامية إلى المقومات الأساسية لاقامة مجتمع إعلامي بصورة فعالة.

ومن هنا كانت ضرورة تدخل الدولة لتوجيه مثل هذا الإنتـــاج الفكـــري والثقافي بدرجات متفاوتة حتى في الديمقراطيات الحديثة في أوروبا مثل فرنســـا وإنجلترا... لحماية الأفراد من هذا الاختراق الفكري المتعدد الأنماط والذي قد لا يتقابل والمصلحة العامة للقاعدة العريضة من الجمهور فوسائل الإعلام والثقافـــة خاصة الإعلام الإذاعي السمعي المرئي (السينما والتليفزيون) ينتظر منه العديـــد من الأدوار التنموية إذا ما احسن التعامل معه ووجه الوجهة الصحيحة.

بعض الاتجاهات الحديثة فـــي دراســة مضمـــون الوســيلة الإعلامية:

قدم العالم الفرنسي (Edgard Morin) "ادجار موران" تحليلا نظريا لدراسة جانب من جوانب هذا المنظور الاجتماعي اعتبر إسهاما وإضافة جديدة في مجال الدراسات الاجتماعية الخاصة بوسائل الإعلام الجماهيري. فقدم تعريفـــا جديـــدا للثقافة الجماهيرية أو ثقافة الاتصال الجماهيري على اعتبار أن الثقافة بمفهومهـــا التقليدي الجاد، أصبحت مادة أساسية لتلك الوسائل لتغذية المضمـــون الإعلامـــي الحديث، وانطلاقا من هذا التعريف أمكن تحديد ودراسة المضمون الإعلامي من منطلق جديد يساعد على إظهار ما قدمـــه التطـــور التكنولوجـــي مـــن وســـائل وإمكانيات تزيد من قدرات الوسيلة الإعلاميـــة علـــى نقـــل الملامـــح الثقافيـــة والاجتماعية.[١٣]

١٣

- E Morion. L'Esprit du Temps - grasset - Paris 1962.

انظر ايضا – نسمة البطريق:

– نصوص السينما والتليفزيون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٥.

"Nouveaux courants dans l'Etude des communications de mass Rapport U.N.E.S.C.O. publie dàns Revue anthropologi que - Montreal.

فانطلاقا من دراسة الظواهر الاجتماعية يمكننـــا الوقــوف علـــى أهــم الاختلافات في المضمون الإعلامي على أساس ما هيأه المجتمـــع المعيـــن مـــن مقومات اجتماعية وفكرية وتطور تكنولوجي.

وتتشكل ثقافة الاتصال أو الثقافة الجماهيرية في النهاية وتتحدد ملامحها وفقا للعلاقات الجدلية بين تلك الطبقة المنتجة للفكر والطبقات المستقبلة لــــه، أي بين المنتج والمستهلك لتلك الوحدات الفكرية والثقافية. ومحصلة تلـــك العلاقـــات التي تطورت على مر العصور هي التي حددت مفهوم المَثقف، ينتج مضمونـــــه الثقافي والاجتماعي بالوسائل والأدوات الثقافية المتاحة، ليعبر عن سياسة وفكـــر وملامح العصر الحديث وبفجر الأفكار الكامنة التـــي تــراود إفــراد الطبقـــات الاجتماعية المختلفة. فالرسالة الإعلامية تجمع في إطار وحقـــل واحـــد المنتـــج والمستهلك. ويبدو أن هذا هو الشرط الأساسي لتفهم الجمهور المستقبل لها علـــى واقعة الاجتماعي والسياسي والثقافي من خلال المضمون الفكري والثقافي الـــذي افرزه كل من المنتج والمستهلك. ومن هنا يتفق "موران" من خلال ذلك التعريف ومقولتي "كارل ماركس" الشهيرة أن "المنتج يخلق المستهلك" و "وجيمس جويس" "المنتج هو المستهلك".

ولقد رسم "ابراهام مولز" "A-MOLES" إطارا منهجيـــا جديـــدا لتعريـــف الوسيلة الإعلامية من منظورها الاجتماعي قد يتفق مع منهج "موران" ويتلاقـــى في أهمية دراسة الخصائص الاجتماعية والثقافية كنظم تمخضت وتشـــكلت مـــن خلال التطور الحضاري للمجتمع، لتحديد مفهوم الثقافـــة الإعلاميـــة "أو ثقافـــة الفسيفساء" إلا أن "مولز" يعرف الثقافة بمفهومهـــا الواســـع الشـــامل كمحصلـــة حضارية افرزها المجتمع من خلال التتابع الحضاري، وبين الثقافة الجماهيرية أو ثقافة الاتصال التي افرزها التطور التكنولوجي الحديث.

أن الثقافة التقليدية وفقا "لمولز" لا تتغير ولكن الوسيلة التكنولوجية كشكل ناقل لها هي التي تغير من تلك الثقافة ومحتواها الفكري. ولقد أضاف بعدًا جديدا في هذا التحليل وهو الفرد. فالفرد الاجتماعي الذي يعيش في مجتمع محدد يؤثر ويضيف وحدات إلي تلك الثقافة، كما يتأثر بمحصلة هذه الثقافة النهائية. فـــالتقدم الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي والاقتصادي ينطلق دائما من الفرد والى الفرد.

ولا يفهم من هذا التحليل الذي نقدمه أن جميع الأفـــراد فـــي المجتمـــع يعيشون الواقع الاجتماعي والثقافي بنمط واحد مـــن الإدراك، فهنـــاك عوامـــل ومقومات فكرية تميز بين درجات الإدراك والقدرة الإنتاجية للفكر والثقافة.

فهو يخص الطبقة المفكرة والمنتجة للثقافة والفكر باهتمام بالغ كقوة دافعة ومحركة للثقافة والحضارة.

أن الفرد المنتج كالنظام المفتوح يكتسب مهارات وقدرات جديدة وفقا لسمات الإطار الاجتماعي والسياسي والفكري... الذي يتحرك بداخله. أن الوسائل الإعلامية تتعامل مع هذا الإطار العام للمجتمع فهي تستمد قوتها في التعبير عن تلك السمات المكونة للأنظمة الاجتماعية الجزئية بخصائصها المختلفة والمكونة للمجتمع ككل... أي وفقا لموقف النظم والمؤسسات الاجتماعية من تلك الطبقة المنتجة للثقافة والفكر.

ومن هنا يتضح لنا أهمية الفرد المنتج كعامل مؤثر في الثقافة الحديثة أو ثقافة الاتصال "ثقافة الفسيفساء" ويمكن قياس فاعلية وإيجابية الأدوار الوظيفية لتلك الوسائل من خلال ما يضيفه الأفراد من فكر وثقافة لمحصلة الإنتاج الثقافي في المجتمع.

ووفقا لهذا التعريف وهذا التحليل الذي يعتبر مدخلا لعلم اجتماع معرفة علم الاتصال لانه يجمع بين الطبيعة الاجتماعية والثقافية للعلم ويربطها بظروف المجتمع ومشكلاته المتعددة لتحديد موقف الأعلام والاتصال الجماهيري من تلك السياقات الاجتماعية والفكرية والثقافية.

فالمجتمع هو الإطار العام الذي يجمع القدرات المتعددة ويهيئ المقومات الثقافية وأدوات الفكر ووسائل التعبير عن الأنماط الاجتماعية المختلفة. [١٤]

ولقد أضاف العالم الكندي "ماك لوهان" (MCLUHAN) أبعادا هامة في التحليل ودراسة ذلك المنظور الاجتماعي. فقد حصر اهتمامه في أهمية الشكل الناقل للمحتوى والمضمون وأهمية الوسيلة التكنولوجية والإلكترونية في تشكيل الفكر والثقافة وأيضا في تشكيل مهارات الإنسان وقدراته الاداراكية. ولقد اعتمد في تحليله على معادلة (Lassewel) "لاسوويل" الشهيرة، لقد جمع بين القائم بالاتصال والجمهور المتلقي في إطار واحد هذا الإطار يحدد بالشكل التكنولوجي للوسيلة الإعلامية - إي أن التطور التكنولوجي والصناعي الذي هيا لظهور تلك الوسائل اكسب أيضا الإنسان العصري خصائص وقدرات عديدة ساعدته على مواجهة تلك الوسائل بشكل متطور. وبالرغم من الانتقادات التي وجهت إلى تلك النظرية والتعارض في وجهات النظر في تقييمها، إلا أن هناك شبه إجماع على

١٤

- Abraham Moles. Sociodynamique de la Culture-Editions Mouton-Paris 1967.

فاعليتها في توجيه البحوث الإعلامية إلى وجهة جديدة في الدراسة وتحليل الشكل الناقل لمحتوى الفكر والثقافة.[١٥]

أن أهمية تلك النظرية في رأينا تنطلق من تعريفه للشكل الناقل للمعرفة فكل شكل جديد أو أداة جديدة للمعرفة تحتوى الأشكال السابقة لها، فالتليفزيون مثلا كشكل حديث، أو (حضارة التليفزيون) أو الإعلام السمعي المرئي، يحتوى الأشكال والحضارات السابقة له. فكيفية التعامل مع الأشكال السابقة هي التي تحدد فاعلية تعرضنا للأشكال الحديثة. أن الوسيلة الحديثة امتداد للقدرات الذهنية والفكرية التي تكونت من خلال طريقة تعاملنا مع الوسائل السابقة.

أن الحضارة السمعية المرئية أو حضارة الصورة المتحركة تحتوى على حضارات ثقافية سابقة عليها وهى حضارة الطباعة وحضارة الإذاعة وحضارة الصورة.

وانطلاقا مما سبق يمكن حصر تصورنا لمنهجية دراسة القضايا التي يثيرها التليفزيون في المجتمع وبصفة خاصة في المجتمع العربي من خلال دعامتين أساسيتين:

الأولى: وحدة الظاهرة الإعلامية والاجتماعية والثقافية والحضارية وتكاملها.
والثانية: خصائص البيئة الإعلامية.

الدعامة الأولى: وحدة الظاهرة الإعلامية والاجتماعية والثقافية والحضارية وتكاملها.

وانطلاقا مما سبق، يمكن تلخيص منطلقاتنا المرتبطة بدراسة الظاهرة الإعلامية. حيث نحصر العناصر المختلفة لتلك الظاهرة من حيث إنها وحدة اجتماعية وثقافية وحضارية ولغوية متكاملة. تلك النظرة ترتكز على أهمية الربط بين الجوانب الثقافية والفكرية من طرف والديناميكية السوسيولوجية من طرف أخر، كعملية تتفاعل في إطار تاريخي محدد، واعتبار التطور التكنولوجي والصناعي والعلمي عاملا من العوامل المحدده والمطورة للعقلية الاجتماعية القادرة على تقبل النتاجات الثقافية والفكرية من ناحية، ومن ناحية أخري اعتبار هذا التطور عاملا من العوامل المحددة لقدرات ومهارات الجمهور المستقبل

١٥

- M Mc Luhan, la Galaxie Gutenberg, Editions mame/Seuil 1972

لنفس المؤلف

Pour compemdre les medias, Editions mame. du Seuil. Paris 1968

للصورة المتحركة كعنصر ووحدة لغوية للإعلام المرئي المسموع. أن دراسة هذه العناصر مجتمعة تقدم للباحث الإعلامي أدوات تساعده على استكشاف كيفية تعامل الطبقات الفوقية بمعطيات الواقع الاجتماعي وتحديد درجة الابتعاد أو الاقتراب منه، والكشف عن دوافع الإبداع الفكري والثقافي والفنى كما توضح الأسباب المعاكسة لهذا الازدهار.

هذا يعنى أن دراسة المدخل الاجتماعي للإعلام المرئي المسموع تقوم على تحليل الظاهرة الإعلامية من حيث التمييز بين شكل المعرفة ومضمون المعرفة، بمعنى أن دراسة تلك الظاهرة هي دراسة مزدوجة، تقوم على دراسة الوسيلة ليس فقط كشكل ناقل للمعرفة، بل تدرس الظاهرة من الداخل، أي تنطلق من خصائص مضمون الوسيلة الإعلامية ويتفحص نسقها الداخلي والقوانين التي تتحكم فيه من لغوية وفكرية واجتماعية بهدف تحديد علاقة تلك الأفكار والأيديولوجيات التي تبثها تلك الوسائل.بالواقع الاجتماعي أي يدرس أيضا العلاقة بين عالم الفكر والمعرفة والواقع الاجتماعي الذي تعيشه الطبقات الاجتماعية المختلفة. ومتى تحققت تلك الدراسة أمكن السيطرة على المضمون الفكري للوسيلة الإعلامية وأمكن الحكم في مدى صلاحيته وأهليته للمشاركة في العمل الإنمائي والثقافي والتربوي في المجتمع.

لقد اصبح التمييز بين الشكل والمضمون من الأدوات المنهجية التي تساعد الباحث الإعلامي على حصر المقومات الاجتماعية والفكرية والتكنولوجية، وكعوامل مساندة ومساعدة للإنتاج الثقافي والفكري. لقد اتضحت هذه الأهمية البحثية المزدوجة بعد عملية حصر للنظريات المتعددة لعلوم اللسانيات خاصة المرتبطة بنظرية الصورة المرئية التي أظهرت أن مضمون الإعلام المرئي المسموع هو مزيج مركب من الرموز الإنسانية والتكنولوجية [١٧] . حيث يرتكز الجانب الأول لهذا المنهج على دراسة القضايا الفنية المرتبطة بتطوير الوسيلة كشكل تكنولوجي يعمل في إطار اجتماعي محدد، له أدواته ورموزه اللغوية في الإبداع والتعبير. والجزء الثاني من هذا المزيج يقوم بدراسة اللغة من جانبها المعرفي والثقافي والفكري يقوم على حصر العوامل الثقافية

---

[١٧] انظر نسمه البطريق – لغة السينما والتليفزيون – مرجع سابق.

١٧– ايضا نصوص السينما والتليفزيون – مرجع سابق

- Abraham A Moles L'image Communicatıon fontıonelle. Casterman 1981.

انظر ايضا – نسمه احمد البطريق – المفهوم الحديث للاعلام المرئى المسموع "دراسة فى نظرية الصورة المتحركة" بحث غير منشور – معهد الصحافة وعلوم الاخبار – الجامعة التونسية – (تونس).

والاجتماعية والسياسية التي يمكن أن تساند هذا المضمون كقوة معبرة عن الواقع الاجتماعي الذي تعيشه طبقات المجتمع.

أن أهمية هذا المنهج النقدي هو حصر المعطيات الفكرية للعملية الإبداعية قبل معالجتها بالوسائل المركبة المرئية المسموعة. وبعد العمليات الفنية والتكنولوجية المرتبطة بالوسيلة ذاتها من خلال حصر مقومات الإبداع الفكري والثقافي من خلال تلك الوسائل وذلك للوقوف على أسباب الثغرات الفكرية والإبداعية كما تساعد هذه النقطة الباحث والمتخصص الإعلامي كمنهج لدراسة الثغرات الثقافية والاجتماعية التي تعانى منها بعض المجتمعات الناقلة للتكنولوجيا الحديثة دون المرور بمراحل التطور الاجتماعي والثقافي المصاحبة لعمليات التقدم العلمي والصناعي والاقتصادي من ناحية ومن ناحية أخري الوقوف على سلبيات البيئة الإعلامية من حيث تحديد أهمية وسائل الاتصال الخطية كأساس ومقومة فعالة في تحديد القدرات الاداركية والمهارية للجمهور المستقبل لتلك الرسائل الإعلامية المركبة.

تلك النظرة القائمة على وحدة الظاهرة الإعلامية والاجتماعية والثقافية والعلمية والحضارية... وتكاملها تقدم لنا الأدوات العلمية التي تحكم منهج دراسة الوسائل الإعلامية المرئية المسموعة في الوطن العربي والتي ترتكز على اعتبار الظاهرة الإعلامية: أولا: ظاهرة اجتماعية وجدت مسبباتها ومقوماتها في سياج هذا المجتمع واستمدت كيانها من هذا الإطار العام للمجتمع العربي. بمعنى اعتبار نشأة هذه الوسيلة سمة من السمات العامة للتطور الثقافي والفكري والعلمي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع.

وثانيا: اعتبار مضمون تلك الوسائل نتاج فكر وثقافة وتاريخ وفن مجتمع له مواصفات بعينها. فلكل أسلوب للتعبير والمعالجة الفنية حتميات تستمد خيوطها من التطور الثقافي والاجتماعي. أن المضمون الثقافي المرئي المسموع هو مضمون غاية في التعقيد لانه ناتج من وسيلة للتعبير المباشرة وغير المباشرة في نفس الوقت، حيث أن الأديب عندما يؤلف قصة يكتبها بأسلوب يتفق ورؤيته الأدبية. تلك القصة إذا ما عولجت تليفزيونيا أي من خلال ذلك الشكل التكنولوجي المعقد فأنها تخضع لحتميات ومتطلبات الآلة المركبة التي تفرض على الموضوع رؤية خاصة. هذه الرؤية الخاصة تخضع لعدة عوامل أهمها عامل التطور التكنولوجي. وكما أشرنا من قبل يجب النظر إلى الظاهرة الإعلامية والثقافية المرئية المسموعة نظرة شاملة من حيث وحدة مقوماتها الثقافية والتكنولوجية والاجتماعية.

الدعامة الثانية: خصائص البيئة الإعلامية

ويرتكز اهتمامنا في هذه النقطة علـــى أهميـــة دراســـة ملامـــح البيئـــة الإعلامية وتحديد المقومات التي تقوم عليها. ولقد أمكن من خلال عملية حصـــر بعض فروع علوم الاجتماع تقديم منهج لدراسة تلك البيئة. والذي يهمنا من إثارة تلك النقطة هو التأكيد على أهمية الانطلاق أولا من دراسة المضمون الإعلامي والثقافي والفني لتلك الوسائل بغرض استخلاص وحصر النظريات المتعددة التي تحكم لغة المرئيات.

هذا من ناحية ومن ناحية أخري استخلاص المقومات اللازمة لانجـــاح العملية الاتصالية التي تؤهل لهذا المحتوى الدخول في علاقة جدلية بين المصدر والمستقبل لمضمون الإعلام المرئي المسموع.

ولقد أمكن من خلال هذه المنهجية النقدية الوقوف على ســـلبيات البيئـــة الإعلامية بصورة أدق واشمل.

أن هدفنا ينحصر إذا في هذه المرحلة في وضع إطار نظري لإمكانيـــة دراسة لغة التليفزيون دراسة نقدية وبصفة خاصة منطلق لدراسة وتحديد مفهـــوم البيئة الإعلامية الحديثة من منطلق عربي.

لكن ما أن يطرح موضوع اللغة على صعيد الفكر النظري حتى تـــبرز وتتضح مجموعة من القضايا والإشكاليات بعضهـــا يتعلـــق بالأســـاس البينـــوى والبعض الأخر يتعرض لإشكاليات التعرض لها. فليس من مهام تلـــك النقطـــة حصر كل ما يتعلق بمفهوم اللغة المركبة. فالإشـــكالية المحوريـــة التـــي نهتـــم بإشارتها هو الكشف عن بعض القضايا التي تعترض عملية الاتصال الجماهيري من خلال النظم الإعلامية المرئية المســـموعة وبصفـــة خاصـــة التليفزيـــون. والأسباب التي تعرقل أدوارها الوظيفية خاصة المرتبطة بالتنميـــة الاجتماعيـــة والثقافية في دول العالم النامي خاصة العربي ونحن على مشارف القرن الواحـــد والعشرين. وحتى نحصر هذا الإطار المترامي الأبعاد نشير إلى نقطتين كأساس في دراسة هذا الجانب.

(أ) – المفهوم العام للغة المرئيات.

(ب)– أهمية الفكر المكتوب كأساس لتحديد قدرات ومهارات المتلقي للإعلام المرئي المسموع.

(أ) – المفهوم العام للغة المرئيات.

أن المعنى العام الواسع للغة المرئيات يتعرض إلـــى نظريـــات علـــوم اللسانيات الحديثة ونظريات البنائية والتركيبية، هذا التعرض إلى مدارس الفكـــر النظري المرتبط بالمناهج الوضعية والتفسيرية فـــي مجـــالات الآداب والشـــعر وفروع التعبير والإبداع الثقافي والفني حتى نصل إلى حصر منهج يقتصر على لغة المرئيات أو لغة الصورة المتحركة كمفردة ووحدة أساسية ترتكز عليها تلـــك اللغة الحديثة. ورغم أهمية هذا الحصر في إثراء منهج البحث إلا أن هذا المجال لا يتسع في تلك المقدمة غير انه يمكننا وضع مفهوم الصورة المتحركة والإشارة إلى خصوصيتها وبعض التيارات الفكرية التي تعرضت لهـــذا المفهـــوم. (*) أن بلورة هذا المفهوم ومنهجية دراسة هذه اللغة يرجع إلى المدرسة الأوروبية وعلى وجه التحديد المدرسة السويسرية الحديثة الخاصة بالمناهج الوصفيـــة. ويمكـــن الإشارة في هذا الصدد إلى أن الفضل الأول في وضع هـــذا الإطـــار المنهجـــي يرجع إلى رائد العلوم اللغوية الحديثة "أدى سوسيور" التي تبنتها فيما بعد نظريات كل من ليفيـــس ســـتراوس Levis Straus و "شومســـكى" و "رولانـــد بـــارث" و "جاكوبسون"... ويقوم هذا المنهج الحديث في دراسة الأدب والنقـــد واللســـانيات الحديثة على مبدأين الأول: تحليل الظاهرة اللغوية لاكتشاف أجزائها والوقـــوف على نوع وخصوصية العلاقات التي تحكم ذلك النسق اللغوي بهدف التوصل إلى المعاني الكامنة. وذلك بمعنى أن هذا المنهج يقوم على مبدأ هـــام وهـــو تحليـــل الظاهرة اللغوية كنظام اجتماعي ونسق للقيم ويتتبع حركـــة المجتمـــع الفكريـــة والثقافية والاجتماعية. ومن ثم يعتبر النظام اللغوي نتاج فكر وثقافة وتاريخ وفن مجتمع له مواصفات بعينها. على اعتبار أن لكل أسلوب للتعبير والمعالجة الفنية حتميات تستمد خيوطها من التطور الثقافي والاجتماعي والسياسي.

إن تطبيق هذا المبدأ كأداة بحثية في الدراسات المرتبطة بالإعلام المرئي المسموع في الوطن العربي يساهم إلى حد بعيد في إدراك العلاقات التي تربـــط بين التطور الاجتماعي والثقافي والحضاري من جانب ونشاة أنماط حديثة مـــن التعبير الفكري والثقافي والفنى من جانب أخر. فالتطور الاجتماعي والثقافي الذي شهده الوطن العربي منذ بداية القرن التاسع عشر وبالرغم من عدم تعميـــم هـــذه الظاهرة الحضارية في أنحاء الوطن العربي إلا أنها ساهمت بالرغم مـــن ذلـــك والي حد بعيد في نشاط الحركات الفكرية والثقافية والفنية وكان لها عظيم الأثـــر في إثراء اللغة العربية بألفاظ جديدة تتناسب وأحداث العصر الحديث وكأداة هامة

(*) انظر في هذا الصدد صلاح فضل – النظرية البنائية في النقد العربي – مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٠.

للتعبير عن قضايا التحرر. أفادت هذه الحركات الفكرية والوطنية في نهضة الصحافة العربية. وتطور الأشكال المختلفة للأدب من زاوية حديثة أدت إلى نشاة المسرح العربي الحديث. هذه الدفعات والطفرات الفنية والثقافية الهائلة مثلت الدعامة والأساس الذي يرتكز عليه الإعلام الإذاعي وأيضا الوسائل المرئية المسموعة المختلفة من سينما وتليفزيون. (*)

أما المبدأ الثاني الذي يقوم عليه هذا المنهج الحديث فهو مبدأ الرؤية الثانية للظواهر، بمعنى أن عملية التعبير الفكري والفنى من خلال الصورة المتحركة هي عملية مزج بين مستويين من المفاهيم، المستوى الأول يرتبط بالواقع المادي والمستوى الثاني وهو عملية مزج المفهوم الحسي والتعبيري للشيء نفسه من خلال وضعه في العمل الفنى والفكري ويتوقف المعنى المادي على اعتبار أن الصورة هي أداة الفكر وأداة التعبير عن هذا الواقع المادي والحسي. وان الصورة المتحركة تتعامل مع الفكر والثقافة من خلال رموز تكنولوجية مرتبطة بالوسيلة التكنولوجية نفسها ورموز أخرى تستمد قواعدها من الفكر الثقافي والمعرفي وتسمى رموزا إنسانية. (*)

ولقد أمكن من خلال حصر نتائج نظريات علوم اللسانيات الحديثة التوصل إلى أهمية الرموز الإنسانية في تحقيق التوازن اللازم بين القوانين الداخلية للنسق الفنى للمضمون، والقوانين الخارجية الخاصة بالمهارات الإنسانية المتعددة التي يجب توافرها في المتلقي لهذا المضمون أي ذلك النوع من الرسائل المرئية المسموعة أو مضمون البرامج التليفزيونية المتنوعة.

كما أمكن التأكيد على أهمية التقدم العلمي والتكنولوجي والاجتماعي والثقافي في زيادة مفردات العملية الإبداعية وزيادة فاعلية الصورة المتحركة في التعبير عن الأحداث بصورة صادقة عن الواقع الحسي والمادي.

هذا يعنى إن قارئ الصورة المتحركة يقف أمام مضمون فكرى وفنى يختلف مدى تأثيره عليه كرسالة مركبة في الإقناع على حجم وكثافة التجارب الإنسانية والقدرات والمهارات المكتسبة، وأيضا على حجم الرموز المتنوعة التي تحتويها الصورة المتحركة وإشكالية تعامل المبدع والمفكر بها للتعبير عن الظواهر الاجتماعية والفكرية المختلفة.

(*) مرجع سابق – نسمه احمد البطريق – المدخل الاجتماعية والثقافية.

– ايضا الطوان الصباح – "تطور مفهوم البنيان فى الالسنة الحديثة" الفكر العربي المعاصر – العدد ٢٥ – لبنان – اذار ١٩٨٣.

(*) مراجع سابقة

- A. Moles L'image

- R. Barthes. L'empire des signes.

ب- أهمية النظم الخطية كأساس في تحديد قدرات ومهارات الجمهور المستقبل:

ويمثل هذا العنصر أحد الجوانب الداخلة في إطار الدراسات الاجتماعية الخاصة بدراسة جمهور الإعلام المرئي المسموع من حيث حصر وتحليل خصائص الجمهور المستقبل للمضمون. وتحديد سلوكه تجاه الوسائل المختلفة للاتصال الجماهيري. ويطرح هذا النوع من الدراسات عدة تساؤلات، أهمها هل يمكن لهذا الجمهور التأثير على مضمون هذه الوسيلة بحيث يصبح قوة لتطوير هذا المضمون. أم هو مجرد عامل سلبي لا يساعد على تطوير هذه الأدوات الإعلامية والثقافية الخطيرة والتي يمكنها الإسهام في تنمية المجتمع؟

لقد أثبتت الدراسات الاجتماعية بمناهجها المختلفة من ميدانية ووصفية... في مجال تحليل سلوكيات المتلقي وقدراته المهارية اللازمة في مواجهة الإعلام المركب أن الفرد عند تعرضه للثقافة والإعلام المرئي المسموع يقوم بنشاط ذهني وفكري متعدد الأنماط فالتعرض للغة المرئيات تفترض نوعا من الإدراك الفكري القادر على التحليل الفوري والإجمالي أي يفترض قدرة على الاستنتاج والمنطقية في الترتيب وذلك لخصوصية لغة الصورة المتحركة المرتبطة بمبدأ البنائية، القائم على ارتباط كل جزء من أجزاء التركيب أو البناء اللغوي بما يسبقه أو يلحقه من أجزاء وهذا يفسر صعوبة أدراك المعنى الكلى والحقيقي للوحدة الفكرية إذا تعذر تحديد أو فهم العلاقات التي تربط كل جزء من أجزاء هذا الكيان المترابط والمتكامل. (*)

وهذا يعنى أن المعاني الفكرية تتضح معالمها من خلال عملية تتابع اللقطات. وتفترض نظاما من الممارسات المنطقية التي تفرض على المستقبل القيام بها أثناء تعرضه للمضمون.

والمبدأ الثاني الذي تقوم عليه لغة الصورة المتحركة هي ارتكازها على قاعدة فكرية وثقافية أساسها الكلمة المكتوبة القادرة على عملية الإيضاح والتفسير للظواهر الاجتماعية والإنسانية المختلفة. فبدون فهم مسبق للأحداث بتفاصيلها عن طريق الفكر المكتوب من خلال الصحيفة والكتاب لا يمكن فهم عمليات الإبداع والتعبير من خلال الصورة المتحركة التي تقوم بالتجريد والتكثيف -

---

(*) مرجع سابق - نسمه احمد البطريق - المفهوم الحديث للاعلام المرئى المسموع.

تجريد الكلمة إلى لقطات وصفية وحسية للواقع والأحداث وفقا للمستوى الثقافي والفكري والاجتماعي لعدد من المثقفين والمفكرين الذين يقومون بتلك العمليات الفكرية والثقافية في المجتمع.

تلك الخصوصية تفترض حدا من الممارسات المنطقية لدى المستقبل الإعلامي ولا يمكن توافرها بدون التعليم، تعليم القراءة والكتابة، أي المرور بحضارة الفكر المكتوب الذي من شانه تنمية القدرات والمهارات الإنسانية.

أن الكلمة المكتوبة إذا هي أساس المعرفة التكنولوجية الحديثة، وتمثل أيضا أساس الإدراك الحسي والمنطقي وهو ما يمكن استخلاصه من دراسات علماء النفس والتربية أمثال "بياجيه"، "وروز، وبوب سامبز" و"دافيد جالية"... الخ. لقد أوضحت هذه الدراسات أهمية القراءة والكتابة والعمليات الحسابية كأساس للمهارات والقدرات في الترتيب المنطقي. فالفرد لا يمكنه المساهمة الإيجابية في العملية الثقافية والإعلامية إلا بعد سيطرته على تلك المهارات الثلاثة. ولا نقصد هنا أن التعليم شرط أساسي للتعرض إلى برامج التليفزيون المتعددة. فليس هناك ما يمنع الأمي من التعرض إلى اكثر البرامج تعقيدا. أن القضية الأساسية التي نود إبرازها هي قدرة الفرد على اختيار النافع ورفض كل ما يضر ويتعارض مع قيم وتقاليد المجتمع. أن تلك النظرة النقدية الثاقبة لن تتحقق إلا بتوافر الشروط الاجتماعية والثقافية اللازمة.

يقودنا هذا التحليل إلى إدراك سلبيات البيئة الإعلامية العربية وتخلفها خاصة فيما يتعلق بنسب التعليم المنخفضة. فمن خلال الإحصائيات المختلفة التي قدمت في أواخر الثمانينات التي تشير إلى انخفاض إعداد الذين يعرفون القراءة والكتابة، في نصف الدول العربية إلى اقل من ٢٥٪ (*) هذه النسب تختلف كثيرا في التسعينات، فلا تزال الأقطار العربية المختلفة تعانى من تلك الظاهرة الاجتماعية والتعليمية. نحن لا نقصد بالتعليم مجرد الإلمام بأصول اللغة ومعرفة قراءتها وكتابتها إنما قصدنا من التعليم كأداة لنقل الثقافة المكتوبة وواسطة لاكتشافها والإطلاع عليها.

أن مجرد معرفة الكتابة والقراءة لا تضيف الكثير إلى قدرات الإنسانية ما لم توظف إلى تنمية القدرات والانفتاح على الثقافة والمعرفة.

(*)

- Galın David Implication for Psychiatry of Left and Right cerebral specialization, archives of general psychıatry 1994.
- Pıaget, Jean, play, dreams and imitation of Cgildhood. London, Heinermann,
- Rose, Steven the conscious Brain, New-York. Knopf.

وإذا طبقنا هذه المناهج جميعا في دراسة مقومات البيئة الإعلامية الجديدة لإدراكنا التباعد والهوة العميقة التي تفصل بيئتنا العربيـــة للإعــلام والاتصـــال الجماهيري وبيئات العالم الغربي الصناعي المتقدم من حيث كثافة التعليم وأدوات الثقافة والإعلام المكتوب وتعدد أشكاله وأدواته بطـــرق ديمقراطيـــة وتشـــجيع قراءتها. ولا ادعى غيات الكتاب والصحيفة العربية كلية عن حياتنا الثقافية ولكن غياب الوعي الثقافي والإعلامي الذي يتمثل في انخفاض نسب الإطلاع والقراءة واتخاذها عادة ونمطا يوميا للسلوك.

أن أهمية القراءة والإطلاع وعلاقتها برقى الحياة الإنسانية وتطورها في المجالات المتعددة. ولعل أهمها تجنب الانقياد إلى الوسائل الترفيهية السهلة التي تساهم إلى حد بعيد في تحطيم وتهديم الإرادة البشرية: أن مجرد المشاهد العابرة التي تعبر عن درجة الفراغ الثقافي الذي يعيشه شباب العالم العربي وهو يحاول جاهدا ملئه بوسائل التسلية السهلة ولعل اكثر تلك الوسائل انتشارا نوادي الفيديـــو المخصصة لبيع وتأجير أفلام وشرائط قد تبث أفكارا من شانها تحطيم الشخصية وعرقلة نموها.(*)

وتفوق إعداد هذه النوادي إعداد المكاتب المخصصة لبيع الكتـــب كمـــا تفوق أيضا إعداد صالات العرض السينمائي التي غالبا ما تعرض أفلاما مـــرت بين أيدي الرقابة الوطنية.

أن هدفنا من إثارة تلك الملاحظات هو التأكيد علـــى ضـــرورة وأهميـــة دراسة هذه الجوانب دراسة اجتماعية دقيقة وتحليل البيئة الإعلامية العربية تحليلا علميا يستند إلى المناهج الاجتماعية المتعددة من ميدانية ووصفية.

ونتساءل عن كيفية وضع نظرية عربية للاتصال والإعلام الجمـــاهيري ونحن لم نحلل بعد المداخل الاجتماعية والثقافية ولم نقم بدراسات تحـــدد نظـــم العلاقات الاجتماعية وتحديد سلوكيات الجمهور المســـتقبل للوســـائل الإعلاميـــة المختلفة. وتحليل مضمون تلك الوسائل واستكشاف التداخل بين النظـــم اللغويـــة المتعددة ومقوماتها وبصفة عامة حصر المعلومات والدراسات العلميـــة الكافيـــة لتحديد مقومات وعناصر البيئة الإعلامية. خاصة ونحن على مشـــارف القـــرن الحادي والعشرين.

(*) محمد النويهى – ثقافة الناقد الادبى – مكتبة الخانكى ط ٢ – بيروت ١٩٦٩ – احمد ابو مطر، "اساليب ومناهج تلوقية للدراسة الادب العربى" – قضايا عربية – يناير ١٩٨٢ ص ١٤١ – ص ١٦٢.

لابد من وجهة نظرنا أن يتجه الباحثين في مجالات الاتصال والإعلام الجماهيري العرب إلى دراسة هذه النقاط التي تشكل مقدمة ضرورية تسبق مرحلة صياغة نظرية عربية للاتصال تستمدّ فروضها من واقع بيئتنا وقضايانا.

إنها لمهمة صعبة وتتطلب مزيدا من الممارسة والتحليل السوسيولوجى.

وانطلاقا من تلك الأهمية نقدم في الفصول التالية عدة دراسات أعدها المؤلف مع إضافة بعض الجوانب المتعلقة بالمنهج العلمي المناسب لتحليل الظاهرة ونقدها وتقديم بعض الحلول لكيفية التصدي لها.

الفصل الأول:

قضايا تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجماهيري من منظور دول العالم النامي

الفصل الأول:

قضايا تكنولوجيا الإعلام والاتصال الجماهيري من منظور دول العالم النامي

مقدمة:

اصبح التطور التكنولوجي عنصرا من العناصر الرئيسية الداخلة في تطوير عملية الاتصال الجماهيري (وبصفة خاصة من خلال الوسائل المسموعة المرئية) بين المصدر من جانب والجمهور المتلقي للمضمون الإعلامي أو للرسائل الإعلامية والثقافية التي تبثها الوسائل الحديثة للإعلام والاتصال من جانب أخر.

فإذا كانت التكنولوجيا الحديثة مؤثرا من المؤثرات الحديثة الداخلة في عملية الإنتاج Production فهي أيضا طرف مؤثر في عملية البث والانتشار diffusion أي فيما يتعلق بإمكانيات تطوير عملية البث والانتشار وتحسينها وسرعة تحقيقها، والتغلب على العوائق التي كانت تعرقلها وأيضا مؤثر في عملية التعرض أي كيفية تعرض المتلقي للرسائل المختلفة التي تبثها الوسائل الحديثة للاتصال.

ويمكن صياغة المشكلة التي يعالجها ويثيرها هذا الفصل على النحو التالي:

١- أن الثورة التكنولوجية الهائلة في مجالات الاتصال والإعلام وتدفق المعلومات وما صاحب هذه الثورة من تطوير في الآلات الإلكترونية أدي إلى منافسة الإعلام المرئي المسموع (في دول العالم النامي وبصفة خاصة دول العالم العربي) عن طريق التليفزيون الوطني والدولي أي تليفزيون القنوات الفضائية الدولية والفيديو كاسيت والنظم الإعلامية الأخرى الخطية.والتكنولوجيا المتقدمة في مجالات المعلومات. هذا الوضع يزداد خطورة إذا علمنا أن هناك ظواهر اجتماعية أخري معاكسة تمنع إقامة بيئة إعلامية فعالة في هذه الدول أهمها تفشى الأمية والبطالة بأنواعها الظاهرة والمقنعة، والتضخم السكاني في المدن، والاختلال الطبقي والثقافي، والغزو الثقافي والفكري الأجنبيين، وازدياد التبعية السياسية للدول المصدرة للتكنولوجيا وما يترتب عليه من تعميق الأزمات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بين أقطار العالم العربي من جانب وبين تلك الأقطار ودول العالم المتقدم الصناعي من جانب أخر، ولا يتسع

المجال في هذا المؤلف لشرح تلك الأزمات ومظاهرها ونتائجها البعيدة والقريبة على مستقبل السياسات الإعلامية العربية.

أن التقدم التكنولوجي والعلمي رغم إيجابياته المرتبطة بعمليات البث والانتشار في المناطق التي كانت بعيدة عن نطاق التغطية الإعلامية الإذاعية والتليفزيونية مثل الجزائر - والسعودية وإندونيسيا ... الخ، له العديد من السلبيات والمساوئ وهى ترتبط في أغلبها بكيفية التعرض لمضمون تلك الوسائل، أي خطورة تعرض المتلقي للبرامج المختلفة دون أن تتوافر لديه المقومات المهارية والمعرفية الكافية لتحليل وانتقاء الفكر والثقافة والمواد الإخبارية التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري المرئي المسموع ونشير في هذا الصدد أن هناك عناصر ورموزا يتكون منهما المضمون الإعلامي والثقافي للرسائل المرئية المسموعة كما أشرنا في الفصل السابق وتنقسم إلى نوعين من الرموز، الرموز الإنسانية وهى رموز مكتسبة من خلال العملية الثقافية والتعليمية، (ونشير هنا إلى أهمية القراءة والتعليم في اكتسابها) والرموز التكنولوجية وهى رموز مرتبطة ليس فقط بالتطور الثقافي والاجتماعي بل وأيضا بالتطور التكنولوجي والعلمي في المجتمع. فالمجتمع وأفراده يسهل تعامله بتلك الرموز إذا كان هذا المجتمع منتجا للتكنولوجيا (أو على الأقل يتوافر لديه المقومات النظرية أو الجوانب المعرفية والتعليمية المختلفة في مجالات العلوم الإنسانية والتكنولوجية بوحداتها التدريبية). فتوافر تلك النواة في المجتمع قد تهيئ توافر جمهور أو طبقة من الجمهور الناقد والواعي القادر على التحليل والاستنتاج الفوري لتلك الرسائل المركبة. (١)

لقد هيا التقدم العلمي والتكنولوجي استحداث أدوات طورت في الشكل الناقل للفكر والمعرفة، ذلك التقدم طرح العديد من القضايا والإشكاليات خاصة في مواجهة مجتمعات العالم الثالث، بصفة عامة. ويمكن حصر تلك القضايا في مستويين رئيسيين، المستوى الأول مستوى الإنتاج الذي هيأ وساعد على تطوير وسائل الاتصال الجماهيري ولعل أخطرها إنتاج وتصنيع الأقمار الصناعية التي طورت ودفعت عملية الاتصال الجماهيري دفعة قوية. كما سنشير فيما بعد - لقد ساعد إنتاج الأقمار الصناعية إلى انتشار فكرة التليفزيون الدولي وأكد على إمكانيات تطويره وانتشاره، الأمر الذي قد ساعد على تعميم برامج مصدر واحد وانتشارها في كافة مناطق العالم وقد لايستدعى انتشارها إقامة محطات أرضية ترتبط بأنظمة الأقمار الصناعية فتحقق بذلك "نبوءة القرية العالمية". (٢)

ولا تقل خطورة التليفزيون الدولي عن عمليات استحداث أجهزة الفيديو كاسيت (والفيديو ديسك) التي قد يسئ المستقبل كيفية التعرض لها لعدم توافر المقومات المهارية والتعليمية الكافية لديه.

هذا التطور الهائل في الإنتاج له تأثيره المباشر على مستوى البث والانتشار.

تلك النقاط وغيرها تشير إلى أهمية دراسة أهم القضايا المرتبطة بتكنولوجيا الاتصال من منظور دول العالم الثالث. أن دول العالم النامي بصفة عامة تتعامل مع وسائل تكنولوجية غريبة عن بيئتها الصناعية وتحاول جاهدة أن تؤقلم ظروفها وبيئتها الفكرية حتى تتلائم مع تقنيات تلك الوسائل. هذا على عكس الدول الغربية الصناعية المتقدمة التي مرت بمراحل صناعية وحضارية حققت للمجتمع تطورا فكريا وثقافيا واجتماعيا يتناسب وحضارة الآلة بل فرضت تلك المجتمعات ثقافة متميزة قوامها الصورة المتحركة كمرحلة متقدمة من الإبداع الفكري والثقافي.

هذا المنطلق يفرض علينا إذا دراسة أربعة نقاط لتوضيح وحصر القضايا المرتبطة بتكنولوجية الاتصال الجماهيري المرئي المسموع – خاصة في دول العالم النامي.

أولا: تكنولوجيا الاتصال الجماهيري ومفهوم السيطرة الإعلامية.

ثانيا: النتائج المرتقبة لتطور تكنولوجيا الاتصال الجماهيري على مجتمعات العالم النامي.

ثالثا: قضايا تكنولوجيا الاتصال الجماهيري من منظور دول العالم النامي.

رابعا: النظام العربي الجديد للإعلام والاتصال كمثال لردود فعل مجتمعات دول العالم النامي.

أولا: قضايا تكنولوجيا الاتصال الجماهيري ومفهوم السيطرة الإعلامية:

تلك المقدمة الموجزة تضع أمامنا محورين أساسيين لتفسير قضايا التكنولوجيا واشكالياتها خاصة في دول العالم الثالث. ونقوم بحصر أهم ملامح هذين المحورين لأهميتها في تحديد انعكاسات التطور التكنولوجي والصناعي في مجالات الاتصال الجماهيري، على مفهوم السيطرة الإعلامية والغزو الثقافي والفكري لدول المصدر. أي للدول الصناعية المتقدمة المنتجة للتكنولوجيا والعلم وخطورة هذا الوضع على فرض الثقافة الاستهلاكية.

المحور الأول: الإنتاج التكنولوجي كمظهر من مظاهر التسلط والقوة في العصر الحديث:

ويرتبط هذا المحور بالتطور العملي والتكنولوجي وهو وليد التطور الفكري والاجتماعي. لقد أصبحت دول الغرب المتقدم بعد الثورة الفكرية والصناعية والاجتماعية، تحتل المراكز الأولى في مجالات الفكر العلمي والتكنولوجي. لقد هيأ هذا التطور المتصل استحداث وسائل حديثة للاتصال الجماهيري فأصبحت التكنولوجيا منذ الستينات مظهرا من مظاهر التسلط في العصر الحديث ليس فقط في مجالات الصناعات الحديثة وفي مجالات الصراع السياسي والاستراتيجية العسكرية والتحكم الاقتصادي بل امتدت إلى مجالات التحكم الأيديولوجي والثقافي في مجالات المعلومات. (٣)

هذا التطور الهائل في مجال العلم والتكنولوجيا أدي ليس فقط إلى اتساع الهوة بين الدول المصدرة للتكنولوجيا والدول النامية الناقلة لها من الناحية العلمية والاجتماعية بل أدى إلى أحكام سيطرة المجتمعات الصناعية المتقدمة على اقتصاد الدول الوسيطة والصغيرة وأصبحت تهدد أمنها الثقافي والأيديولوجي بواسطة وسائل الإعلام والاتصال الحديثة فحققت في هذا المجال تطورا هائلا في الفترة الأخيرة خاصة في مجالات الاتصالات والأجهزة الإلكترونية ومجالات البث المباشر ونقل المعلومات بواسطة الأقمار الصناعية.

- تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وعدم تكافؤ توزيعها:

تلك التبعية من جانب والتبعية الفكرية من جانب أخر ٠ وذلك من خلال: التسلط والتمركز في منابع ومصادر وسائل الاتصال والإعلام الرئيسية في أحد المعسكرين وخاصة العربي منه وشبكات الإعلام التابعة لها.

– اثر كبير في إعادة تشكيل الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في هـذه الدول النامية بدرجة كافية لمنح الأولوية المطلقة لفلسفة الاقتصاد الاستهلاكي والى استمرار التبعية الاقتصادية وتجدد مظاهرها وارتكازها في المرحلة الحالية على التجارة الخارجية وزيادة اندماجها في السوق العالمي الرأسمالي، كل هذا أدى إلى استمرار وتجدد العلاقات غير المتكافئة داخل البيئة الاجتماعية والاقتصادية لدول العالم الثالث. (٤)

ويمكن القول إذا أن الثورة العلمية والتكنولوجية واستخدامها في مجالات الاتصال والإعلام والمعلومات وتمركزهما في عدد قليل من الدول الصناعية المتقدمة أدت إلى خلق نماذج استهلاكية وفرض الثقافة الرأسمالية الاستهلاكية كما سنرى في نقطة قادمة.

لقد استطاع الاستعمار تغيير وجهه فتحول من الاستعمار الكلاسيكي إلى استعمار جديد قوامه تكنولوجيا المعلومات والاتصال يلونها ويشكلها كيفما شاء بألوان زاهية جذابة من المعلومات الزائفة والأخبار الملتوية والثقافات المسطحة، ولا يكتفي بحرب الأفكار في اتجاه دول العالم الثالث بل يسعى إلى تشكيك الشباب (ونحن نعلم أن الشباب يشكل المستهلك الأول للأعلام بكل أنماطه وأنواعه) في مجتمعهم بتاريخه وقيمه. (٥)

وإذا كانت التكنولوجيا تساهم في تنمية قدرات الإنسان الخلاقة كما تقول الدراسات، وتمكن الفرد من السيطرة على قوانين الطبيعة وتحقق الوفرة الإنتاجية والتعجيل بالتقدم الاجتماعي والحضاري عامة، كما يمكنها أن تصبح قوة ثورية للتطوير والتقدم، شأنها في ذلك شأن العلم النظري ليست في ذاتها ثورة اجتماعية ما لم توظف في خدمة التقدم الاجتماعي ولصالح كل الفئات لا لصالح فئة واحدة. (٦)

وإذا علمنا كما تشير الدراسات أن ملكية اكثر من ٩٠٪ من التكنولوجيا العالمية محتكرة من جانب عدد من الدول الغربية الرأسمالية والشركات المتعددة الجنسية، وحين تكون الأرباح التي تجنيها من مبيعات أجهزتها ومعداتها التكنولوجية لدول العالم الثالث بصفة عامة وحين تضطر تلك الدول لشراء تلك التقنيات بأسعار باهظة، فعلى الأقل يجب بذل الجهد والعمل الشاق المتصل لصيانة حق الشعب في الاتصال والأعلام والحد من احتكار حيازة ثقافة الإعلام التكنولوجي على فئة من المجتمع على حساب الفئات الأخرى. هنا يجب القول أن للأيديولوجيا ولصناعة المعرفة بصفة عامة في صورها المختلفة دورا خطيرا في التنمية والتقدم الثقافي والاجتماعي ولكن بشرط أن تحسن تلك الدول الانتفاع منها أي توظيفها لخدمة التقدم الاجتماعي ولصالح جميع الفئات.(٧)

فثنائي العلم والتكنولوجيا يجب أن يخضعا في مجتمعات العالم الثالث إلى أيديولوجية المجتمع لا أن تخضع أيديولوجية المجتمع لهما - لانه بدون توجيه العلم والتكنولوجيا من اجل التعجيل بالتقدم الإنساني فانهما يتحولان وكما في المجتمعات الاستغلالية إلى أدوات للاستغلال والحرب والسيطرة.

لقد أدت الثورة التكنولوجية إلى ثورة مماثلة في جمع المعلومات ووسائل نقلها، فالتطور في تكنولوجيا المعلومات والاتصال هي تكنولوجيا تعتمد اكثر ما تعتم على تطور تكنولوجي في مجالات الكمبيوتر أو الحاسبات الإلكترونية من جانب والتطور في تكنولوجيا الاتصالات السلكية. (٨)

وتعتمد مراكز المعلومات وشبكات جمع البيانات وتخزينها على التطور العلمي والتكنولوجي خاصة في مجالات الاتصالات السلكية وتكنولوجية الكمبيوتر. (٩)

تلك المقدمة تضع أمامنا صورة موجزة للمخاطر التي تواجهها دول العالم النامي كنتيجة للتطور الهائل في المجالات العلمية والتكنولوجية والتي تتمركز في الدول الصناعية المتقدمة وبالتالي تهدد الأمن الثقافي والفكري في تلك الدول النامية الناقلة للتكنولوجيا.

فلقد دلت الدراسات أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجماهيري هي تكنولوجيا متقدمة متطورة دائما، هذا التطور يحدث في اتجاه واحد في اتجاه الدول التي تملك العلم والثروة والمعلومات - "فالنسبة الكبرى من الزيادة في المعلومات ستذهب إلى الذين يملكون مصادر العلم والمال والمهارة لاستيعاب المزيد من التدفق، وبذلك تزداد الهوة بين الأغنياء في المعلومات وفقرائها" تلك النتيجة هي نتيجة حتمية لان الذين يملكون المعلومات هم في افضل وضع لتقويم المعلومات الجديدة واستخدامها. وأيضا أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجماهيري والاتصالات السلكية وتكنولوجيا الكمبيوتر بما في ذلك الأقمار الصناعية تتطلب تنظيما اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وإعلاميا معقدا ومتكاملا لا يتوافر إلا في دول العالم المتقدم الصناعي الغربي كما تتطلب ميزانيات مالية ضخمة فلقد قدر حجم إنتاج صناعة المعلومات في العالم في عام ١٩٨٢ بنحو ٢٠٠ بليون دولار وتتركز اكثر مناطق الإنتاج في الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا واليابان. (١٠)

"أن الهياكل الحالية لإنتاج المعلومات واستخدامها هي دعم التبعية القائمة بالفعل بين الدول الصناعية المتقدمة وبين دول العالم الثالث، كما تدعم مركز الشركات متعددة الجنسية في السوق العالمي للمعلومات كما تدعم سيطرة دول المركز وهيمنتها على دول الجنوب".

فرغم الاستقلال النسبي الذي حصلت عليه دول العالم الثالث فان عملية الاختراق الثقافي لم تتوقف، بل امتدت إلى ميادين جديدة متعددة شملت الإعلام والإنتاج الثقافي "من أفلام سينمائية وفيديو وبرامج تليفزيونية متعددة إلى صناعة الترفيه والرياضة البدنية ...".

أن ما تنقلة الأقمار الصناعية إلى دول العالم الثالث من برامج وأخبار وأحداث وثقافة وترفيه لا تحكمها اعتبارات محايدة أو موضوعية بل ما ترى دول المركز من خلال وكالات أنبائها المتخصصة وشبكات الإرسال المسيطرة أهمية أذاعته وتوزيعه. (١١)

هذا العرض السابق يوجز لنا ما يتعرض له العالم النامي من صعوبات ومشكلات كنتيجة مباشرة لقدرة العالم الغربي المتقدم في الإنتاج المتزايد للعلم والتكنولوجيا.

المحور الثانى: تطور إمكانيات البث والإرسال التليفزيوني وتأكيد السيطرة الإعلامية للدول المنتجة للتكنولوجيا:

ويرتبط هذا المحور بالتطور في الإنتاج التكنولوجي وتقدمه واستحداث أدوات ووسائل حديثة للاتصال الجماهيري.

ولعل التساؤلات التي أحدثها هذا الانقلاب التكنولوجي في وسائل الاتصال المتطور وما ترتب عليها من نتائج مذهلة في مستوى البث والإرسال في دول العالم المتقدم وارتباطها اشد الارتباط ومنذ أواخر ستينات القرن العشرين، بكيفية تحديد ملامح هذا العالم أو هذا الكون أو تلك "القرية الكونية على حد تعبير "ماك لوهان"، من الناحية الثقافية والإعلامية والقانونية.

وراح كل فريق يستنتج الآثار الممكنة والانعكاسات المرتقبة على الجمهور المتلقي في دول العالم المتقدم والنامي على السواء.

ولقد اتضحت ملامح هذا الكون الجديد أو هذا النظام الجديد منذ أوائل الستينات أي منذ أن تأسست الكومسات في أغسطس ١٩٦٢ وهى مؤسسة أو هيئة الاتصالات عبر الأقمار الصناعية وهى نظام تجارى يخضع للقانون واللوائح الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية والذي يعطى لها الحق في انشاء نظام للاتصالات التجارية بالتعاون مع الدول الأخرى من خلال الأقمار الصناعية للوفاء بحاجيات الدول المتقدمة والنامية على السواء في مجالات الاتصالات والاتصال الجماهيري. (١٢)

"ولقد صدر قانون عام ١٩٦٢ الذي ينص على إقامة وتملك وتنظيم شركة خاصة تصبح الشريك الأمريكي في نظام تجارى للأقمار الصناعية ويقام

هذا النظام بالتعاون مع دول أخرى ومشاركتها ويكون جزءا من شبكة عالمية متطورة للاتصالات لمتطلبات الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول في مجالات الاتصالات ويسهم في السلام والتفاهم العالمي". (١٣)

ولقد أثمرت تلك المفاوضات (على أساس تجارى) بين المؤسسات والهيئات المتخصصة في الاتصالات والدول الأخرى أدت إلى تكوين الهيئة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية :الانتلسات" (ENTEISAT) في ١٩٧١ وهى هيئة تجارية بالدرجة الأولى.

أن سيطرة الولايات المتحدة شبه المطلقة على تلك المنظمة في توجيهها ومراقبة أعمالها أدى إلى تمسك الدول الأخرى خاصة الدول الاشتراكية بضرورة مراقبة الاتحاد الدولي للاتصالات أو لجنة الأمم المتحدة للاستخدامات السلمية للفضاء الخارجي.

"وكانت تلك الدول ترى في هذا ضمانا لتساوى الحقوق والواجبات فيما بين الدول المشاركة في المنظمة "انتلسات" كما أن آخرين كانوا يرون أيضا أن سيطرة دولة واحدة "الولايات المتحدة" على النظام – خاصة عندما قامت الهيئة المؤقتة، الاتحاد المالي الدولي – يتنافى مع الممارسات السابقة في برامج التعاون الدولي في مجالات الاتصالات، فقد كانت تلك البرامج في الماضي تكفل المساواة بين المشاركين.(١٤)

تلك اللمحة تؤكد على حقيقة هامة وهى سيادة الصبغة التجارية للهيئة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية.

ولعل ظهور الأنظمة الإقليمية للأقمار الصناعية في أوربا الغربية تعتبر خطرا يهدد "انتلسات" وسوف تقضى هذه المشروعات على احتكار الاتصالات الدولية التي كانت الهدف الرئيسي "لانتلسات" عند قيامها.

وتعتبر ألمانيا الغربية وفرنسا من دول أوروبا الغربية الأكثر تقدما في مجالات الفضاء. ويعتبر "سيمفوني" أول قمر صناعي للاتصال يستخدم على نطاق أوروبي – ويستخدم في بث المواد التربوية – وكان من المقرر إقامة محطات استقبال وإرسال تليفزيوني في عدد من البلدان الأفريقية لإتاحة تبادل البرامج التربوية ولكن لعدم توافر المحطات الأرضية الأزمة فشل المشروع وللسبب نفسه اخفق المشروع العربي الذي تقدم به اتحاد إذاعات الدول العربية لإقامة محطتين أرضيتين في الرياض والقاهرة. (١٥)

ولقد قامت الدول الأوروبية – لاعتبارات سياسية وثقافية اكثر من الاعتبارات التكنولوجية والتجارية – بتشغيل نظام للفضاء (يونسات) ١٩٨٢، كما قامت عدة دول عربية بإطلاق قمر صناعي عربي ١٩٨٥ "عربسات".

أما الدول الاشتراكية فلقد أقامت تحت مظلة "منظمة نظم وأقمار الاتصالات الدولية "انترسبوتنيك" – Intersputnik – في عام ١٩٦٨ بهدف توفير الخدمات الخاصة بتبادل برامج الراديو والتليفزيون وتم التصديق على الاتفاق في موسكو عام ١٩٧١ ودخل بذلك إلى حيز التنفيذ وأودع لدى الأمم المتحدة في العام التالي".

ويحتل الاتحاد السوفيتي مكانه خاصة في تلك المنظمة "انترسبوتنيك" والتي يوجد مقرها في موسكو. فهو الذي يملك الأقمار الصناعية المستخدمة من قبل المنظمة وفقا لعقد إيجار، كما انه الدولة الوحيدة في المنظمة التي توجد بها محطات أرضية بأقمار الشبكة التي توجد فوق كل من المحيطين الأطلنطي والهندي. كذلك فان المحطات الأرضية التي توجد بالدول المرتبطة بالشبكة مصنوعة في الاتحاد السوفيتي. (١٦)

وهناك ١٣ محطة أرضية مرتبطة بالنظام ومن بين الدول العربية المرتبطة بهذا النظام العراق وسوريا والجزائر.

ويقوم النظام "انترسبوتنيك" بنقل أخبار "الانترفزيون" Intervision.

ويتم تبادل هذه الأخبار تحت إشراف المنظمة الدولية للراديو والتليفزيون وهى منظمة تضم هيئات الإذاعة والتليفزيون في الدول الاشتراكية وعدد أخر من الدول وتشارك في التبادل اليومي ١١ محطة تليفزيونية – من بينها الجزائر. ويعتبر نظام "انترسبوتنيك" اقل تكلفة بالمقارنة بانتلسات.

ولعل مشروع قمر لوكسمبرج للإذاعة المباشرة التابع لشركة لوكسمبرج للبث التليفزيوني Intervision وهى الشركة التي تشرف على راديو ليس فنيا بل في واقع الأمر قانوني وسياسي. فبلاد كفرنسا وألمانيا الغربية وهولندا وبلجيكا يتعارض فيها تنظيم الإذاعة والتليفزيون من الناحية القانونية والسياسية والثقافية والأنظمة التجارية. (١٧)

وهناك المشروع الوطني الإندونيسي والذي يمثل أول نظام آسيوي للأقمار الصناعية. ولقد أطلق أول قمر صناعي Palapa - A في عام ١٩٧٦.

وبالرغم من معارضة البعض لسياسة الانفتاح التكنولوجي واستيراد تكنولوجيا الفضاء من الغرب المتقدم إلا أن الطبيعة الجغرافية فرضت هذا الوضع لعدم توافر البنية الأساسية اللازمة لإقامة نظام إعلامي متكامل يغطى الأراضي الإندونيسية وخاصة الريفية.

ولقد رسخ هذا النظام الفضائي في إندونيسيا وأصبحت بلدان جنوب شرق كالفلبين وماليزيا وسنغافورة وتايلاند تربط محطاتها الأرضية بنظام Palapa – وترتبط تلك البلاد فيما بينها بعلاقات وثيقة في ميادين مختلفة من بينها

الاتصالات وكذلك الراديو والتليفزيون. وجميعها أعضاء في اتحاد إذاعات أسيا والباسيفيك. ولقد وضع هذا الاتحاد مخططا لتبادل الأخبار والبرامج في تلك الدول.

وفيما يخص المشروع العربي لاتصالات الفضاء فنشير إلى المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية التي أقيمت عقب اجتماع وزراء مواصلات العرب في مؤتمرهم الثالث في القاهرة ١٩٧٦ كمنظمة ذات شخصية قانونية مستقلة في إطار جامعة الدول العربية كإحدى محاولات الأخذ بتكنولوجيا الفضاء واستغلالها في المنطقة العربية. (١٨)

وبالرغم من مخاطر نقل التكنولوجيا خاصة في مجتمعات لم تكتمل فيها المقومات المتصلة بثقافة وفكر المجتمعات النامية في مراحل النمو الثقافي والسياسي والاجتماعي فمشروع القمر الصناعي العربي ينمو ويتطور فبعد أن كان أساسا وليد فكرة الإعلام الخارجي للقضية الفلسطينية (بصفة خاصة) وبصفة عامة كان يرمى إلى التبادل في البرامج الإذاعية والتليفزيونية عن طريق شبكة تليفزيونية تجمع بين كافة الدول العربية ويصبح في الإمكان بث برنامج عربي موحد يلتقط على شاشات التليفزيون في الدول العربية بأجمعها إلا انه استخدم لتطوير الاتصالات الهاتفية التقليدية وتغطيتها.

ومن المنتظر أن الخدمات التي تقوم بتأديتها الأقمار العربية في تلك المجالات الهاتفية التقليدية سيخصص نصف طاقتها لنقل المواد التليفزيونية ذلك لأن التبادل سيقتصر على المواد الإخبارية وتغطية الأحداث الهامة والمباريات الرياضية.

وبالنسبة للبث الجماعي "فلقد استبعد إمكانيات استخدام القناة القمرية الغزيرة الإشعاع في بث البرامج للاستقبال الجماعي في عدد من الدول العربية في وقت واحد". (١٩)

- عدم التوازن في القدرة على التحكم والسيطرة على أنظمة الفضاء:

تلك اللمحة السريعة لبعض أنظمة الأقمار الصناعية في دول العالم المتقدم الصناعي وبعض أنظمة دول العالم النامي تؤكد على أن هناك اختلافات جوهرية فيما يخص القدرة على التحكم والسيطرة على تلك الأنظمة. فمجتمعات العالم النامي لضعف قدرتها على الإنتاج التكنولوجي والصناعي فمجتمعات تخضع لسيطرة الدول المصدرة للتكنولوجيا خاصة وان تلك المجتمعات تلجأ إلى الدول الصناعية المتقدمة في الغرب أو الشرق إلى تصنيع أقمارها وكذلك إلى إطلاقها، وفى بعض الأحيان - أن لم يكن في أحيان كثيرة - إلى تغذية قنواتها

بالمواد التعليمية والثقافية والإخبارية والترفيهية التي تتفق وسياستها وأهدافها التي لاتخلو في كثير من الأحيان من التحيز لوجهة نظر تلك الدول المصدرة.

ويمكن القول بان هناك العديد من القضايا والإشكاليات التي تعترض تطبيق نظام لاتصالات الفضاء يعنى بأهداف دول العالم النامي. ففي حين تفرض الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق أنظمة الأقمار الصناعية (والتي تتصدرها انتلسات INTERLSAT) وسياستها التجارية في الدول التابعة لها خاصة دول العالم النامي، وذلك من خلال فرض المواد الإخبارية والإعلامية التي تتفق ووجهة نظرها، إلا إنها واجهت صعوبات عديدة في تطبيق ذات السياسة في دول غرب أوروبا وذلك لتوافر نظام متكامل للأعلام والاتصال الإذاعي والتليفزيوني - يضمن لها حقوقها في هذا النظام الفضائي الجديد.

وبمثل ما تتمتع به دول الغرب الصناعي يتمتع أيضا "الاتحاد السوفيتي بسيطرته الإعلامية من خلال نظم وأقمار الاتصالات الدولية "انترسبوتنيك" على الدول التابعة لها والمشتركة في هذا النظام.

وأثار هذا الوضع الجديد للإعلام مخاوف مثقفي دول العالم النامي خاصة انعكاسات هذا النظام أثاره السلبية التي قد تهدد الأمن الثقافي والإعلامي والفكري داخل الحدود الوطنية لتلك الدول لعدة أسباب لعل أهمها تفشى البطالة بأنواعها وانخفاض المستوى الصحي والمعيشي والاميه التعليمية الثقافية والفوارق بين الطبقات الاجتماعية هذا بالإضافة إلى التبعية الثقافية، والتبعية التكنولوجية للغرب، فالتبعية تعنى السيطرة والخضوع وفقا للتعريف الذي قدمه "مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية - "الانكتاد" - حيث يذكر أن فكرة التبعية التكنولوجية تشير إلى اعتماد غير متناظر - فالبلد النامي يعتمد عادة على البلدان المتقدمة في مجال التكنولوجيا وبشكل غير متناظر ينم عن علاقة خضوع.

أن ظهور الخصائص غير المتناظرة للتبعية التكنولوجية مرتبط إلى حد كبير بالثورة الصناعية، ولاسيما نتيجة للطابع الذي اتسمت به الرأسمالية الحديثة، أسهمت علاقاته المهيمنة خلال الفترة الاستعمارية في تشجيع واستمرار عدم التناظر المذكور. (٢٠)

ولا تخرج فكرة الهيمنة الإعلامية والسيطرة الثقافية عن ذلك المنظور ولقد أثبتت الدراسات الخاصة بالتبعية الكتنولوجية وانعكاساتها على المجتمعات النامية في أن دخول مجتمعات العالم الثالث مجال تكنولوجيا الفضاء سيؤدى إلى مزيد من الهيمنة والسيطرة الإعلامية والثقافية، ويكفى أن نعلم أن نسبة ٩٠٪ من واردات البلاد النامية من السلع الرأسمالية - العصب المادي للقدرة التكنولوجية

تأتي من الدول الرأسمالية المتقدمة وان بين و٧٠٪ و٨٠٪ من خمس دول على وجه التحديد وهى الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. (٢١)

وتحتل الولايات المتحدة – كما رأينا – مكانة الصدارة في السوق العالمية لتصدير المعارف التكنولوجية في اتجاه الدول النامية إذ تبلغ ٥٥ – ٦٠ بالمائة من أجمالي صادراتها. وان البلاد النامية تقدم للشركات الأمريكية بالذات اكثر من أربعة أخماس مدفوعاتها الخارجية للمعارف التكنولوجية.

وأمام تلك النظرة الشاملة فأننا نرى ضرورة حصر بعض المنطلقات التي نرى ملائمتها لتدعيم انعكاساتها واثار تطوير الإنتاج وتقدمه في مجالات تكنولوجيا الفضاء والاتصال بالجماهير في دول العالم المتقدم الصناعي وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وازدياد إمكانيات السيطرة الإعلامية والثقافية والفكرية لتلك الدول المتقدمة من خلال ازدياد إمكانيات البث والإرسال خاصة التليفزيون الذي قد يحقق تقدما – وهو مرتقب وأكيد – نحو التليفزيون الدولي إذ تستطيع الدول الغربية المتقدمة بث وإرسال برامجها لتشمل مناطق ودول العالم.

ونحن نعلم الصبغة الاستهلاكية التي تتسم بها تلك البرامج خاصة وان النظم الفضائية للأقمار الصناعية للاتصالات تأسست وفقا لأهداف تجارية بحته – كما أشرنا من قبل.

ثانيا: بعض النتائج المرتقبة لتطور تكنولوجيا الاتصال الجماهيري على مجتمعات العالم النامي:

ويمكن حصر تلك النتائج المرتقبة لتطوير تكنولوجيا الاتصال الجماهيري في محورين:

المحور الأول : التليفزيون الدولي وتأكيد اللاتوازن الاعلامى وفرض الثقافة الاستهلاكية.

أن المتتبع لتيارات الفكر الثقافي والإعلامي في الاونه الأخيرة يستطيع لمس وحصر مظاهر المحنة أو الأزمة التي تمر بها دول العالم الثالث كنتيجة لتطور التكنولوجيا والعلم في دول العالم المتقدم الصناعي بصفة عامه، وتقدم وتطور وسائل الاتصال والأعلام الجماهيري كنتيجة لتطور إنتاج اتصالات الفضاء ووضعها في خدمة الإعلام والثقافة والدعاية السياسية لدول المصدر أو للدول المتقدمة الصناعية في الغرب.

لقد أدي التقدم التكنولوجي والعلمي خاصة في مجالات المعلومات ووسائل نقلها كما قدمنا من قبل إلى ظهور تفاوت كبير بين دول العالم النامي والدول المصدرة للتكنولوجيا المتقدمة خاصة فيما يتعلق بحجم المعلومات وزيادة تفقها من الشمال إلى الجنوب. فالنسبة الكبرى من الزيادة المستمرة كما دلت الدراسات الخاصة بهذا المجال - ستذهب إلى الذين يملكون أصلا النصيب الأكبر من المعلومات أي هؤلاء الذين يملكون التكنولوجيا والعلم.

هذا الوضع أدى إلى أحكام سيطرة الدول المصدرة للمعلومات والتكنولوجيا على دول العالم النامي، فمن يملك العلم والتكنولوجيا والمعلومات يملك السيطرة والقوة.

ولقد فرضت منذ البداية المعلومات التي تتفق ومصالح دول المصدر بل تتفق أيضا ومصالح الشركات الدولية. هذا الوضع أدي إلى تأكيد السيطرة وتوجيه تلك المعلومات والإنتاج الإعلامي والثقافي إلى أغراض استهلاكية.

فنظم الاتصال والإعلام والمعلومات منذ البداية - وكما أشرنا - صممت لخدمة الأغراض والأهداف الاقتصادية السائدة. أي أهداف النظام الاقتصادي والاجتماعي للدول المصدرة للتكنولوجيا.

وكان من نتيجة هذا الأجراء دعم علاقات التبعية القائمة، وبالتالي إلى تفاقم مظاهر الاختلال واللاتوازن الإعلامي بين دول تملك القدرة على إنتاج المعلومات وتوزيعها وبثها بالوسائل الإعلامية للاتصال التكنولوجي إلى دول ومجتمعات قد لا تعي خطورة هذا الوضع اللاتوازنى في المستقبل القريب، على مجتمعاتها.

- بعض مظاهر اللاتوازن الإعلامي:

تلك الخطورة تتعدى الوضع السائد الذي تشكو منه الدول النامية - كما اشرنا سنوضح من خلال استعراضنا للاثار المرتقبة للتليفزيون الدولى - من نقص المعلومات وعدم اهتمام وسائل الإعلام والاتصال في الدول المتقدمة ووكالات أنبائها وشبكات المعلومات بالمشكلات التي تواجهها من اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية "لا تفسح وكالات الانباء العالمية وشبكات المعلومات مكانا عادلا لقضايا العالم الثالث وفى نفس الوقت غالبا ما تشوه الكثير من الحقائق السياسية والتاريخية والاجتماعية المتعلقة بالمجتمعات النامية".

إذ غالبا ما تقدم وسائل الإعلام صورة عن العالم تتطابق ومصالح تلك البلدان، ولقد دفع هذا الوضع السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند الراحلة للإشارة إلى تلك الحقيقة في مجلس الوزراء الذي عقد في نيودلهى عام ١٩٧٦ إذ

أكدت "أن أخبار أفريقيا تنشرها بالنيابة عنهم أفلام ووسائل البث غير الأفريقية كما أن الهند وقضاياهم تعرض بطريقة مبتورة داخل البلاد". (٢٢)

لقد أصبحت إذا وسائل المواصلات الحديثة قنوات وأدوات طيعة للسيطرة والتسلط والتحريف والتبعية الإعلامية والثقافية والسياسية في يد الدول الاستعمارية.

إزاء ذلك احتد النقاش بين الجنوب والشمال في ساحات المؤتمرات الدولية حول حرية نقل المعلومات وعدم توازنها وأخطار البث المباشر وغزو العالم الثالث عن طريق الوسائل التكنولوجية المتطورة لنشر المعلومات. فبعد أن كان الغزو المسلح هو المظهر السائد للاستعمار في الماضي أصبح الغزو الفكري والثقافي عن طريق الفيلم المرئي المسموع، وعن طريق الإعلام المرئي المسموع بصفة عامة أدوات لتحطيم الإرادة الوطنية والاستعمار الفكري.

وأول إعلان لدول العالم الثالث عن مخاطر اللاتوازن في توزيع المعلومات كان في مؤتمر عدم الانحياز في الجزائر ١٩٧٣ والذي طالب بضرورة إعادة تنظيم عملية جمع المعلومات وإعادة توزيعها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

وأهم النقاط التي أثيرت في هذا المؤتمر "أن الإعلام ليس وجها من اوجه النظام الاقتصادي الدولي الجديد وان وكالات الأنباء هي أهم أدوات هذا النظام.

ولقد أعيد إثارة تلك النقطة في مؤتمر تونس ١٩٧٦ الذي جاء نتيجة للقرار الذي اتخذه وزراء خارجية دول عدم الانحياز في ينساير ١٩٧٥ والذي نص على إقامة تجمع لوكالات الأنباء.

وبقد أعيد إثارة تلك النقطة في مؤتمر تونس ١٩٧٦ الذي جاء نتيجة للقرار الذي اتخذه وزراء خارجية دول عدم الانحياز في ينساير ١٩٧٥ والذي نص على إقامة تجمع لوكالات الأنباء.

ولقد وضعت وكالات الأنباء على أثر تلك المؤتمرات والندوات الدولية موضع الاتهام.

أن مؤتمري نيروبى والجزائر دعما وأكدا على خطورة وكالات الأنباء والآثار السلبية خاصة فيما يتعلق بعدم التوازن الإعلامي والتدفق الغير متكافئ في المعلومات من الشمال إلى الجنوب النامي. (٢٣)

ولقد اتخذت تلك المحاور كمنطلقات لمطالب أخرى. أساسها الغزو الثقافى وضرورة تحرير الإعلام من الفكر الاستعماري، ولقد وضع صحفيوا العالم الثالث عدة توصيات للوصول إلى تلك الأهداف تتمحور حول ضرورة إيجاد توافق بين حرية التعبير مع أولويات التطور الاقتصادي والاجتماعي.

المحور الثاني: التليفزيون الدولي الوجه الأخر للاختراق الثقافي والإعلامي:

أن المشكلة التي نود طرحها في هذا الصدد ترتبط اشد الارتباط بانعكاسات وأثار وعواقب التقدم التكنولوجي في مجالات الاتصال الجماهيري خاصة المرئي المسموع على الجمهور المتلقي في دول العالم الثالث النامي على اعتبار أن التقدم الكتنولوجى خاصة في مجالات الفضاء، اصبح يشكل محورا من المحاور الرئيسية التي تحتل اهتمام الباحثين في مختلف الدول على اعتبار أن التكنولوجيا لم تعد عنصرا من عناصر التسلط الاقتصادي والسياسي، بل أصبحت عنصرا من عناصر التسلط الفكري والثقافي. ويمكن صياغة تلك الإشكاليات أو تلك القضايا من خلال العناصر التالية:

العنصر الأول: أن جميع الافراد المكونه لجمهور مجتمعات الدول النامية في المستقبل القريب سوف يتلقى ليس فقط البرامج التي تبثها هيئات الإذاعة والتليفزيون الوطنية بل سيمكنه، وذلك من خلال التقدم المذهل في الإنتاج وما صاحبه من تقدم في إمكانيات البث والإرسال وانخفاض اسعارها لتصبح في متناول القادر وغير القادر إلى تلقى مضمون إعلامي وثقافي وأخباري لا يمثل طموح وعادات وتقاليد وتاريخ وتراث الدول وربما دون حاجه إلى إقامة شبكات استقبال بل على العكس سوف تفسح تلك التبعية الإعلامية والثقافية.

واهم القضايا التي طرحت على صعيد المؤتمرات الدولية على تلك التي ترتبط بانعكاسات تلك السيطرة الإعلامية من خلال الوسائل التكنولوجية للاتصال خاصة على الديمقراطية إي ديمقراطية الفرد والحق في الاتصال.

فالتليفزيون الدولي سيصبح قناة طيعة في أيدي القوى الغربية المتقدمة لتصدير الثقافة الاستهلاكية والمواد الإخبارية التي تتدفق من مصدر واحد بغزارة عن طريق تلك الوسائل الحديثة، والخطورة أن تلك المواد الإخبارية والدرامية لن تأخذ في اعتبارها المنطلقات التنموية والثقافية التي يحتاجها الفرد في دول العالم النامي. فتتدفق البرامج من منطلق واحد ووجهه نظر واحدة دون الأخذ في الاعتبار وجهات النظر المتعددة الصادرة من دول العالم النامي.

العنصر الثاني: العلاقة بين التعرض المرتفع والمتزايد للمواد الترفيهية الرئيسة المسموعة وزيادة سلبية المتلقي.

وفى هذا الصدد نولى أهمية خاصة بقضايا أخري تتعلق بخطورة تدفق المواد الدرامية والترفيهية المرئية المسموعة التي سينتجها تطور البث والإرسال، وانتشار التليفزيون الدولي في المستقبل القريب.

فنحن نرى أن عناك العديد من الاعتبارات والقضايا المرتبطة التي سيثيرها انتشار التليفزيون الدولي، وأولى تلك الاعتبارات، تتعلق بكيفية تلقى الطبقة المتوسطة التعليم والفئات المتوسطة للبرامج التليفزيونية خاصة الدرامية والترفيهية على اعتبار ان تلك البرامج يلجأ اليها المتلقى ويتعرض لها بغرض التعويض والتنفيس عن تلك الضائقة الداخلية وأيضا بهدف تقمص الأدوار الاجتماعية والأدوار المقدمة في تلك البرامج الترفيهية خاصة الدرامية.(٢٤)

أن هذا التعرض لتلك البرامج بهدف التنفيس هو "تمرد غير مثقف" "أو تعرض غير واع".

تلك الظاهرة البائرة التي تدفع الفرد إلى التعرض المستمر للبرامج الاستهلاكية ستزيد من أزمة الديمقراطية، إذ تفصل الفرد عن واقعة وتفقده السيطرة على هذا الواقع وتزداد تبعا لذلك الآثار السلبية لتلك الظواهر كتلاشي وانعدام المشاركة الإيجابية للفرد إزاء قضايا مجتمعه ومشكلات عصره. (٢٥)

وبالتالي تساهم الدول الاستعمارية وبطريقة غير مباشرة مساهمة فعالة في تدهور المجتمعات النامية عن طريق تحطيم الإرادة الفردية.

وهناك اعتبار ثان، يؤكد على خطورة انتشار التليفزيون الدولي وبرامجه الثقافية ذات الصيغة الاستهلاكية تجاه دول العالم النامي وهى عدم توافر نظام متكامل للإعلام في المجتمع. ونعنى بالنظام المتكامل هو توافر المقومات الفكرية والأدبية والثقافية المتنوعة التي يمكنها حقن القنوات الوطنية للاتصال ببرامج متعددة للتليفزيون من ثقافة وتعليمية تتلاءم وأهداف وطموح تلك الدول، وتكون النتيجة الالتجاء المطرد والمتزايد إلى برامج وفقرات دخيلة على المجتمع بقيمه وتراثه لتعويض النقص والعجز الثقافي داخل الحدود الوطنية.

أن مضمون الوسائل المرئية المسموعة خاصة.المضمون الدرامي هو مضمون أدبي وثقافي أي مضمون مركب يرتكز على قاعدة فكرية مكتوبة، فالمكتوب هو الأساس في اللغة المرئية المسموعة وهذا يوضح أهمية وجود قاعدة متكاملة ثقافية وفنية وأدبية يمكن لوسائل الإعلام والاتصال المرئي المسموع الاستفادة منها في إنتاج برامجها الثقافية والتنموية. (٢٦)

فقد يتوافر لبعض دول العالم العربي خاصة الدول النفطية إمكانيات مادية لاقتناء وإدخال نظم تكنولوجية معقدة للاتصال والإعلام المتطور، دون توافر تلك القاعدة الفكرية والثقافية والثقافية المنتجة والراسخة في المجتمع. فتصبح التكنولوجيا في تلك الحالة. مصدر سيطرة وتسلط ثقافي وفكري.

ومن خلال العرض السابق يمكن القول أن هناك توازنا مركبا بمعنى أن اللاتوازن الإعلامي والثقافي الذي تخضع مع الدول النامية هو التوازن مركب،

فهو أولا التوازن طبقي داخل الحدود الوطنية بين طبقة تملك التكنولوجيا وبين طبقات اجتماعية غير قادرة على امتلاكها – تلك الطبقة المالكة تخضع لقوانين السوق العالمي للتكنولوجيا داخل الحدود الوطنية، وهى كما نعلم قوانين وضعت لحماية مصالح الدول الرأسمالية المالكة للتكنولوجيا. ونجد أن تلك الطبقة المالكة المسيطرة داخل الحدود الوطنية تضع كل ما تراه ملائما لزيادة الربح المادي، فيساء استغلال التكنولوجيا وتصبح أداه للهبوط بالمستوى الثقافي والفكري، هذا من ناحية ومن ناحية أخري أن العبء الذي يقع على دول العالم النامي بصفة عامة واقع على المجتمع ككل حيث التدفق من الدول الغنية (مالكة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات) إلى الدول الفقيرة.

أن إدخال تكنولوجيا الاتصال في دول العالم النامي يجب إخضاعها لقيود واضحة ومدروسة حتى لا تتقلب إلى وسائل استغلال وقنوات تجارية همها تهديم الإرادة البشرية وتأكيد مخاطر التبعية الثقافية والإعلامية لدول المصدر.

العنصر الثالث: العلاقة بين الفقر في المعلومات المقروءة وازدياد احتمالات سيطرة برامج التليفزيون الدولي:

أظهرت الدراسات التطبيقية، انه كلما قلت المعلومات المقروءة حول الموضوعات المختلفة من ثقافية وأدبية وسياسية، أي كلما قلت الخلفية الفكرية المقروءة، من خلال الكتاب والصحيفة حول الموضوعات الحيوية الجارية في مختلف الميادين كلما زادت وارتفعت قدرة الصورة المرئية على احتواء الفرد ووضعه تحت سيطرتها، فتزداد بالتالي احتمالات تكاثر الظواهر السلبية للمعلومات المصورة أو المرئية المسموعة، من تقمص الأدوار، وظهور حالات العنف بشكله الإجرامي والطلب الشغوف للتعرض المتزايد لفقرات البرامج الفيلمية، والنزعة الفردية والإنعزالية .. الخ، وما يتبع ذلك من آثار سلبية تؤدى إلى تفاقم مشكلات الديمقراطية والحق فى الاتصال وضياع حق الفرد فى المشاركة الفعالة تجاه القضايا المختلفة من اجتماعية وسياسية وثقافية.(٢٧)

وهناك تحفظ فيما يتعلق بالتعرض للبرامج الترفيهية القومية أي التي تبثها البرامج الوطنية فإذا كانت احتمالات حدوث الآثار السلبية وتحقيقها بالنسبة لتعرض الفرد للبرامج المستوردة أو البرامج التي سيتيحها التليفزيون الدولي ويفرضها على المشاهد، هي بالضرورة مؤكدة فإن تلك الاحتمالات تقل إلى أضيق الحدود بالنسبة لتعرض المواطن للبرامج القومية. هذا ما أكدته العديد من الدراسات في هذا الصدد.[1](٢٨)

---

[1] انظر جدول (أ) ، (ب).

أن الهدف من إثارة تلك النقطة هو التأكيد على المخاطر التي ســـتحدثها برامج التليفزيون الدولي بعد تطوره وانتشاره في دول العالم النامي. وهي دول - كما تثبت وتظهر الإحصائيات * - فقيرة في حصيلة الإنتاج الفكري والإعلامي المكتوب أو المطبوع. إذا يمكن القول أن تلك الدول تزداد اســتهلاكها للــبرامج المرئية المسموعة من تليفزيونية وأفلام فيديو ... وبالعكس هبوط فـــي مســتوى الاستهلاك الإعلامي والثقافي والأدبي المقروء.

يقودنا هذا التحليل إلى التأكيد على أهمية متابعة وســيطرة الدولـــة فـــي مجتمعات العالم النامي وأحكام رقابتها على مضمون الوسائل المرئية المسموعة ورعاية كل دولة للسياسة الإعلامية التي يجب أن تتفق والهدف الثقافي والتربوي والاجتماعي.

لقد نوقشت تلك القضية ليس على المستوى القومي فقط بل وأيضا علـــى المستوى الدولي، إذ تبنت "اليونسكو" تلك القضية وأفسحت لها مكانا مميزا ضمن سياستها الإعلامية والثقافية ونوقشت تلك القضيـــة فـــي العديـــد مـــن النـــدوات والمؤتمرات الدولية وحصرت جوانبها ألقت الضوء على ضرورة توافق أهدافها وأهداف السياسة الثقافية والتنموية للدولة. ونشير هنا إلى مؤتمر جاكارتا Jakarta الذي أوصى في جلساته الختامية وأكد على ضرورة التخطيط الإعلامي، والربط بين السياسة الثقافية للدولة وسياسة الإعلام والاتصال. فلا يمكن وضع سياســـة ثقافية شاملة على المستوى القومي دون الأخذ في الاعتبار المنطلقات الرئيســـية للسياسة الإعلامية. (٢٩)

ويمكن القول أن الدول الغربية المتقدمة تســـعى إلـــى حمايـــة ثقافتهـــا وإعلامها من الغزو الثقافي والإعلامي ذات النزعة الاستهلاكية الذي بدأ يغـــزو الأسواق الغربية وذلك بفضل التقدم التكنولوجي الهائل والتطوير في شبكات البث والإرسال.

وتقدم كندا "Quebec " نموذجا رائدا في هذا المجال فهناك تعاون مـــبرمج ومنظم بين السياسة العامة للإعلام والاتصال خاصة المرئي المسموع والخطـــة الثقافية (فيديو كاسيت - أفلام سينمائية وبرامج تليفزيونية خاصة التمثيليات ...) فتلك الوسائل تخضع لسياسة عامة وضعت وفقا لخطة شاملة ثقافيـــة وتربويـــة وتراعى جميع الأهداف القومية.(٣٠)

فيجب أن تبذل الدول النامية مجهودا مضاعفا حتى تحقق تعاونـــا بيـــن السياسة الإعلامية من جانب والسياسة الثقافية والتربوية من جانب أخر.

العنصر الرابع: التأكيد على خطورة اللاتوازن بين النظم الإعلامية التقليدية مـــن صحف وكتاب والنظم الإعلامية الإلكترونية المسموعة المرئيـــة، فتقليـــص دور

نظم الاتصال التقليدية من كتاب صحيفة في الوقت الذي تتطور وسائل الإعـــلام الإلكترونية المرئية المسموعة في دول العالم النامي، يؤدى إلى الطلب المـــتزايد على البرامج المستوردة والصادرة من مجتمعات تختلف كـــل الاختــلاف فـــي أهدافها وقيمها وعقائدها عن مجتمعات العالم النامي.

إذا يمكن القول أن إدخال تكنولوجيا الاتصال والإعلام المرئي المسموع في دول العالم النامي على حساب تخلف دور ووظائف وسائل الإعلام والثقافـــة التقليدية، يؤدى إلى انعكاسات سلبية على القيم الثقافية والتربوية للدولة، هذا مـــن ناحية، ومن ناحية أخري يؤدى إلى خضوع تلك الدول إلى مزيد مـــن ســـيطرة الدول المصدرة للتكنولوجيا على فكر وثقافة مجتمعات العالم النامي. ونحن نؤكد على الدور الموجه الذي تقوم به القـــوى الاقتصاديـــة والتجاريـــة ذات النزعـــة الاستهلاكية في توجيه الوسائل الإلكترونية المرئية المسموعة في تلـــك الـــدول فيكفى أن نذكر على سبيل المثال العمليات التي يقوم بها مركز نيويوزك للتجارة الدولية (World Trode Center of New York) في تسويق الفيلم التجاري - (السينمائي والفيديو) إلى دول العالم النامي، وغالبا ما يغذى محتوى هذه الوسائل بعنـــاصر عديدة لاتنمى قدرات الفرد الخلاقة وتعترض أهداف التنمية الاجتماعية الوطنية. (٣١)

ولا يفوتنا في هذا الصدد الإشارة إلى استنتاجات كل من "راو ودوب" و (ماك لوهان) لقد أكدت تلك التجارب أن محتوى الرســـالة الإعلاميـــة المرئيـــة المسموعة يجب أن تتأقلم وتتلاءم مع الثقافة المحلية ورموزها حتى تثمر أهدافها التنموية.

العنصر الخامس:التنافس الغربي في مجال تســـويق الفيلـــم المرئـــي المســـموع وتدهور مضمون صناعة الثقافة:

وبالإضافة إلى سيطرة تلك البرامج التليفزيونية من إخبارية ودرامية في القنوات المرئية المسموعة والتي تأتى اغلبها من وكالات أنبـــاء أمريكيـــة (٣٢) هناك سيطرة أخري اكثر ضراوة وخطورة يجب الإشارة إليها وتتمثل في الغزو الفكري والثقافي عن طريق الفيلم السينمائي وأفلام الفيديو كاسيت، وهو من اشد أنواع التسلط والاستعمار الثقافي في العصر الحديث والذي بدأ تأثيره خاصة بعد التطور في وسائل العرض والتصوير الفيلمي المانيو تسكوب والفيديو.

لقد حقق توزيع الفيلم الأمريكي في السوق العالمي للتصدير أرباحا طائلة ووصل إلى المراتب الأولى في أسواق العالم الثالث هذا بالإضافـــة إلـــى أفـــلام الفيديو والمسلسلات التليفزيونية.

ولقد دفع هذا الاحتكار للفيلم الأمريكي في الأسواق العالميــة – خاصــة احتكار شركة "فوكـــس القـــرن العشــــرين الأمريكيـــة" Twentiethecentry Fox – الشركات السينمائية في أوروبا، فأنتجت أفلام الجنس والجريمة والعنف والرعب التي تفشت في تلك الفترة الأخيرة هذه النوعية من الأفلام رواجاً كبــيراً. ولقــد تبعت إيطاليا وفرنسا، ألمانيا الاتحادية إنتاج تلك النوعية بغزارة ويكفى أن نشير إلى سلسلة أفلام "ايمانييل" ١،٢،٣ Emmanuelle (1,2,3) .. الخ وهى إنتاج إيطـــالي فرنسي مشترك. لقد جذبت هذه النوعية أنظار كبار المخرجين والمنتجيــن فـــي أوروبا، مثل روجيه فاديم، وفيريرى ... وغيرهم .[٢]

وقدمت تلك الفترة نوعية هابطة من أفلام الجنس والجريمة فـــي إطـــار درامي جذاب يتفق وعقلية المشاهد النمطي أو المتلقي العادي.

وتفننت الدول الغربية الأوروبية، خاصة فرنسا وإيطاليا وألمانيا الغربيـــة في إنتاج ذلك المحتوى.

ولقد قفزت أرقام إنتاج تلك النوعية في ألمانيا الاتحادية بمفردها من ٨٥ ألف نسخه فيلم فيديو وسينما في سنه ١٩٧٨ إلى اكثر من مليـــون فيلـــم ســـينما وفيديو سنه ١٩٨٢. واهم شركات إنتاج تلك النوعية في ألمانيا الاتحادية شركات جى. أم. اف .G.M.F في الإنتاج وتوزيع الفيلم السينمائي والفيديو. (٣٣)

وكانت أسواق دول العالم الثالث ساحة جيدة ومربحة لـــترويج وتســـويق تلك النوعية من الأفلام عن طريق وسائل عديدة للتهريب المستتر منه والظاهر.

ويعتبر هذا الغزو المكثف للفيلم المرئي المسموع الأسلوب الجديد الـــذي يتبعه المستعمر السابق وشركاؤه بهدف الإبقاء على وضع من السيطرة والتسلط عن طريق وسائل الإعلام ليس فقط المطبوعة بـــل المرئيـــة المســـموعة التـــي أصبحت اخطر الأساليب المدمرة للقيم والعقول.

ثالثا: إعادة تعريف وتحديد مشكلة تكنولوجيا الاتصال الجماهيري من منظور دول العالم النامي:

حاول هذا البحث إلى الآن تقديم تفسير ملائم لتلك المشكلات التي تواجه المجتمع العالمي إزاء هذا التقدم المذهل للإنتاج التكنولوجي والعلمي بصفة عامة وبصفة خاصة تكنولوجيا الإعلام والاتصال المرئي المسموع وأثار هذا التقدم في الإنتاج وتطوير عملية بث البرامج وانتشارها، وبصفة خاصة البرامج الدراميـــة من سينمائية وتليفزيونية، في تحديد ملامح النظام الإعلامي العالمي الجديد.

---

[٢] ولقد حقق فيلم "زوجة وفيه" Femme Fidele الذى مثلته بطلة مسلسل إيمانييل سيلفيا كريستال ايرادات قياسية.

ولن نكتفي بتلك العناصر الوصفية والتفسيرية للظواهر وتحديد العناصر المرجحة، التي أدت إلى تفاقم تلك المشكلات المرتبطة بتكنولوجيا الاتصال الجماهيري، بل سنقوم في هذا الصدد بمحاولة حصر ردود فعل دول العالم النامي وبصفة خاصة العالم العربي تجاه تلك القضية.

إذا يمكن القول بعد العرض السابق أننا إزاء قضية معقدة تتداخل فيها مجموعتان من المتغيرات أو المحاور الإساسية يصعب الفصل بين عناصرها.

المحور الأول: آثار التقدم والتطور في تكنولوجيا الاتصال على وسائل البث والإرسال:

ويقوم بحصر العوامل الاجتماعية والعلمية والصناعية التي دفعت وحققت هذا القدر الهائل من التطور والتقدم في إنتاج التكنولوجيا بصفة عامة وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات ووسائل البث والإرسال، بصفة خاصة. وخطورة هذا التطور العلمي والألكتروني في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية مع الإشارة إلى الدول الغربية الشرقية التي حققت هي.ودولة اليابان تطورا تكنولوجيا وعلميا عاليا ولكن لايزال جانب البث والانتشار Diffusion محدودا إذ لم يتطور بالدرجة الكافية لمنافسة المعسكر الغربي الأوروبي الأمريكي في فرض الأخبار والبرامج المختلفة، وقوته في اختراق الحدود الوطنية في الدول الفقيرة في المعلومات والتكنولوجيا ونشير في هذا الصدد إلى الندوة التي عقدة في مونتريال بكندا تحت رعاية منظمة اليونسكو الدولية ١٩٨٠، تحت عنوان "دور وأهمية صناعة الثقافة في التنمية الثقافية والاجتماعية وتناولت تلك الندوة الجوانب السلبية لصناعة الثقافة، فوجهت الأنظار إلى خطورة دورها في عرقلة الأهداف التربوية والثقافية. فغالبا ما يخلط بين المادة الثقافية الترفيهية. أن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري المرئي المسموع كالسينما والتليفزيون والفيديو أصبحت وسائل هامة لترويج صناعة مربحة هي صناعة الثقافة. (٣٤)

المحور الثاني: إقرار النظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال:

إذا تباينت تحليلات واستنتاجات الإعلاميين في مجتمعات العالم النامي حول النظام العالمي الجديد للأعلام والاتصال، وتقييمهم لأهدافه وقدرته على وضع حد لتلك الإشكاليات والقضايا التي تزداد وضوحا يوما بعد يوم فان هناك شبه إجماع حول القضايا والإشكاليات التي تواجهها دول العالم النامي بصفة عامة – والعالم العربي – بصفة خاصة من أثار التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وما سيترتب عليهما من عواقب تهدد الأمن الثقافي والفكرى والتربوي للدول النامية وبصفة خاصة تلك الوسائل التي ستزيد من

طاقة الإرسال والبث وبالتالي ستزيد من تأكيد السيطرة الإعلامية والثقافية لوسائل الاتصال والإعلام الإلكتروني وبصفة خاصة المرئي والمسموع.

وإذا كان البعض يرى أن إقرار النظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال سيصبح إطارا نظريا يضم العديد من الموضوعات والإجراءات والقواعد المتداخلة التي يصعب تحقيقها خاصة في مجالات العلاقات الدولية والقانون الدولي والاقتصاد والتجارة الدولية ... إلا أن الأغلبية ترى أن أهم إنجازات إقرار هذا النظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال انه يلقى الضوء على موضوعات وقضايا كان يجب أن تحدد وتحصر كمنطلقات للدراسة والتحليل والتي يجب أن تلتف حولها اهتمامات حكومات دول العالم النامي وتعمل جاهدة على تحقيقها.

ولقد تكونت مجموعة عمل، من الخبراء والباحثين في مجالات الإعلام والاتصال والثقافة، تحت مظلة ورعاية منظمة عالمية وهى هيئة الأمم المتحدة، والتى أوكلت لمنظمة اليونسكو، العمل على دراسة وتحليل قضايا الإعلام والاتصال.

شكلت اليونسكو لجنة عمل من ستة عشر عضوا من مختلف الدول الأعضاء برئاسة "شون ماكبرايد" الحائز على جائزة نوبل ولينين، لهذا ما أوصت به اللجنة العمل على محاربة الاختراق الثقافي والفكري، واللامساواة في مجالات الإعلام والاتصال والعمل على إقرار ديمقراطية الاتصال. (٣٥)

ولعل فكرة قيام نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال كانت نتيجة اجتماعات ومناقشات رؤساء دول وحكومات بلدان عدم الانحياز في أكثر من مناسبة دولية (*) للإعداد لخطة عمل مشتركة فى ميدان الاتصال الجماهيري لضمان تبادل الأفكار وتداول الأخبار المطبوعة والمقروءة والمسموعة والمرئية، تسيطر أيضا على الاخبار والبرامج المصورة (*) ويكفى أن نشير في هذا [٣]

---

[٣] (*) لقد اعرب مندوبوا الدول فى مؤتمر الجزائر سنه ١٩٧٣ عن قلقهم ازاء اللاتوازن الاعلامى بين دول العالم واوصوا بوضع خطة ترمى الى تبادل التجارب فى مادة الاعلام – كما اوصوا فى مؤتمر تونس ١٩٧٦ بضرورة وضع تصور عالمى جديد للاعلام ووضعه فى خدمة البلدان غير المنحازة "نظرا الى ان وضعها الاقتصادى يقتضى تضامنا".اوسع واشمل فى كل الميادين بين البلدان النامية.

وفى ندوة نيودلهى ١٩٧٦ تبلورت الفكرة حيث دعا وزراء الاعلام مديرى الوكالات الصحافية رؤساء دول بلدان عدم الانحياز الى انشاء مجمع لوكالات الانباء واكدت على ارساء قواعد لنظام عالمى جديد فى كل ميادين الاعلام والاتصال الجماهيرى لا يقل اهمية عن نظام اقتصادى عالمى جديد.

الصدد إلى أن تدفق الأخبار والبرامج المصورة من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة في المعلومات تسيطر عليها أربع دول رئيسية عن طريق وكالات أنبائها للإخبار والبرامج المصورة وهى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الاتحادية. (٣٦)

وأدت تلك الندوات والمؤتمرات إلى إنجازات قد تكون محدودة وتمس الجوانب النظرية إلا إنها عبرت عن حدود المشكلات والقضايا التي تواجهها دول العالم النامي وخاصة تلك التي تدور حول علاقة اللامساواة القائمة حاليا بين أؤلئك الذين يسيطرون واولئك الذين يخضعون للسيطرة.

ولقد تبنت منظمة اليونسكو الدولية العديد من المؤتمرات في أمريكا اللاتنية وأفريقيا لمناقشة سياسات الاتصال الجماهيري في دول العالم النامي.

وبالرغم من تعدد هذه المؤتمرات الدولية إلاَ أن دول العالم النامي لاتزال تواجه عقبات شديدة في تحقيق التنسيق والتكامل في تلك الميادين الإعلامية خاصة في مجالات النظم الإذاعية والتليفزيونية.

رابعا: النظام العربي الجديد للاعلام والاتصال كمثال لردود فعل مجتمعات دول العالم النامي:

وعلى المستوى القومي يمكن حصر ردود فعل المجموعة العربية من خلال لجنة لدراسة قضايا الإعلام والاتصال (*) على الصعيد القومي العربي،

وكدت،قمة هافانا على اهمية تطوير استعمالالوسائل المرئية المسموعة والتعاون فى ميادين الاذاعة والتليفزيون والسينما وتكوين الاطارات الفنية والصحفية وجميعات الصحافة وكذلك رسم استراتيجية مشتركة فى ميدان المواصلات اللاسلكية.

(*) اهم وكالات البرامج والاخبار المصورة فى الغرب وكالة "فيزنيوز" البريكانية الامريكية ووكالة "بوتين" لامانيا الغربية.

(*) واهم النقاط التى تناولها تلك اللجنة بالدرسة والتحليل:

(أ) الكشف بالتفصيل عن اوضاع الاعلام والاتصال فى الوطن العربي فى مختلف المناطق.

(ب) توضيح العلاقات وصياغة التفاعل بين وسائل الاعلام والسلطة.

(ج) التعميق فى استجلاء مزايا وسلبيات التكنولوجيا الجديدة وتاثيرها على الوطن العربي وعلى التدفق الاعلامى بين العالم وبقية انحاء العالم ... وركزت تلك الدراسات على هذا الجانب خاصة موضوع الاستعمالات الفضائية والبث التليفزيونى عن طريق الاتحادات الصناعية والشبكة العربية للبث المباشر وعلاقتهما بالشبكات الدولية.

(د) ابرز علاقات التاثير والتفاعل بين الاعلام والتنمية بكافة تفرعاتها الاقتصادية والاجتماعية وتاثيره فى العمل الانمائى من خلال اجهزة الاتصال بمختلف اشكالها وانواعها.

(هـ) تقييم التعاون الاعلامى العربي فى الوقت الراهن لمعرفة نقاط الخلل فى هذا الميدان.

(و) القيام بدراسات مستفيضة لمعرفة افضل الطرق لمواجهة الاعلام الصهيونى وفضح الممارسات الصهيونية السافرة.

تحت رعاية "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" وتضم خبراء في مجالات الإعلام والثقافة والتربية والعلوم لبحث مشكلات الإعلام. (٣٧)

وقدمت تلك اللجنة تقريرا نحو نظام عربي جديد للإعلام والاتصال والذي يمثل نقله موضوعية لتصور جاد عن الدور الوظيفي للإعلام العربي كنظام يبذل الجهد للتنسيق بين مستويات العمل الوطني والعمل المشترك للإعلام والاتصال الجماهيري والعمل على تلافى سلبيات الإعلام العربي المشترك والإعلام الوطني ويحصر المقومات حتى يشارك هذا العمل ويساهم بصورة فعالة في إقرار النظام الإعلامي الجديد وحتى يدخل طرفا فعالا في وضع قرارات هذا النظام العالمي للإعلام. كما يعمل جاهدا على إيجاد توازن جديد للعلاقات الإعلامية مع البلدان الصناعية والتصدي لمخاطر الاختراق الثقافي والروحي كما يقوم بالعمل على تحجيم اختلال التوازن في تدفق المعلومات (٣٨).

ومن الجدير بالذكر أن محاولات التنسيق والتكامل في مجالات الاتصال الجماهيري والسياسات الإعلامية بين أقطار الوطن العربي الذي ناقشته اللجنة، لم تكن بجديدة بل كان هناك العديد من المحاولات ولكنها كللت بالفشل.

ويمكن إرجاع عدم التوصل إلى حلول عملية إلى أسباب عديدة يمكن حصرها في نقطتين:

أولا: أدي التركيز على ربط الدراسات العربية في المجالات العلمية المختلفة بالنظريات السائدة في دول العالم الغربي الصناعي المتقدم من ناحية، وانشغال الباحثين والعلماء العرب بقضايا التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي من ناحية أخري إلى صعوبة إعطاء مدلول واضح وموحد لمفهوم التخلف الاجتماعي والثقافي الذي يواجهه العالم العربي. وذلك للانشغال بإيجاد مفهوم موحد للتخلف الاقتصادي والسياسي ومحاولة العثور على حلول عملية للتغلب على الإشكاليات المطروحة والمفاضلة بين الأيديولوجيات ومدارس الفكر الاقتصادي من اشتراكية ورأسمالية ليبرالية بهدف رسم فلسفة للتنمية الاقتصادية.

وكان من الطبيعي، أن تتأثر النظم الإعلامية وتخطيط برامجها الشاملة بهذه الخلفية الاقتصادية والسياسية. ورغم جدية البحوث والدراسات المرتبطة بالتنمية الاجتماعية ومحاولة تحديد مفهوم التبعية الاقتصادية والسياسية والفكرية (٣٩) فلم تساهم تلك التصورات في وضع منهج تطبيقي لتطوير البنية الأساسية والهياكل الاجتماعية التي يرتكز عليها المجتمع الإعلامي الحديث ورسم سياسة

شاملة لمواجهة الإعلام العربي إخطار الغزو الثقافي والفكري عن طريق الوسائل الإعلامية المسموعة المرئية، وتقديم مفهوم واضح ومكتمل للمدخل الاجتماعي للإعلام العربي، كمدخل يحلل ويفسر الظواهر الإعلامية كظواهر افرزها المجتمع وفقاً لتطور تاريخي تتصهر بداخله مقومات فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية محددة وأيضا يحلل التكوين البنائي للوحدة الفكرية والكشف عن مقومات هذه اللغة الحديثة ومدى تمثيلها للأنماط الاجتماعية المختلفة.

لقد أصبحت تلك اللغة لغة الحديث اليومي فمن خلال مناهج البحث الحديثة للمضمون التليفزيوني أمكن التأكيد على أن تلك اللغة اصبح لها مفرداتها وقواعدها اللغوية وجمالياتها – وأصولها إنها لغة الصورة المتحركة التي يتفهمها الجميع.

ففي دراسة ميدانية أجريت في مصر – (كما سنرى فيما بعد) على جمهور الدش (القنوات الفضائية الدولية) وجد أن البعض يشاهد بعض البرامج (الإنجليزية) حتى دون أن يتفهم هذه اللغة، ولكنه يتفهم ما تعنيه الصورة.

لقد أصبحت هذه اللغة تشكل ملامح العصر الحديث.

ثانيا: لعل هناك أسباب اعمق توضح غياب نظريات حديثة تتناول هذا المنظور الحديث للإعلام العربي، ينطلق من واقع الظواهر والأنماط الاجتماعية وعلاقاتها بالفكر السياسي والثقافي، وتفسيرها من واقع خلفية تاريخية تتبع مسار المجتمع وحركته. وترجع هذه الأسباب جميعا إلى صعوبة تتبع أسباب التفتت الاجتماعي والسياسي في تلك الدول، وذلك للميل المتعمد لاختصار المشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتحجيمها في صورة لا تتناسب والواقع المرير الذي يعيشه المجتمع العربي وطبقاته المختلفة، ونتيجة للتقنيات المتبعة من قبل الحكومات في تلك الدول وتنوعها وفقا للنزعات السياسية، وتحقيقا لمبدأ سلطة الدولة، وانفرادها في تطبيق أيديولوجية واحدة لا تمثل الوعي الفكري والثقافي للطبقات والأنماط الاجتماعية الأخرى. (٤٠)

ويمكن القول بصفة عامة، أن الصعوبات التي اعترضت مسار الاتجاه الاجتماعي للإعلام الجماهيري في الوطن العربي، ترجع إلى أن ممارسة العمل الإعلامي العربي يتبع القرارات السياسية ويرتبط بها، وهذا يعنى أن العمل الإعلامي ترجمة لواقع السياسة ولواقع صناعة القرار في صوره الاجتماعية الشاملة.

وكل دولة من دول العالم العربي تعيش تلك التناقضات والظروف، وقد تختلف بعضها في السمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية العامة، إلا إنها تعيش جميعا التبعية الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية بكل أبعادها

ومظاهرها. فإذا اختلفت بعض الظواهر من حيث الشكل، إلا أن العوامل والأسباب التي أدت إلى تلك التبعية تكمن في أعماق المجتمع، ولا تزال آثارها تحكم وتوجه بعض الأنماط الاجتماعية والتي تشكل سندا لها لتحقيق أهداف معاكسة للمصلحة العامة. (٤١)

ونحن في هذا الصدد نولى عناية خاصة بدور الدراما السينمائية والتليفزيونية لخلق الوعي وتطوير النقد الاجتماعي. كما إنها عامل من العوامل المؤثرة في تشكيل تصور الأفراد للظواهر التي يتعرضون لها وتوجه ردود أفعالهم تجاه المشكلات الاجتماعية خاصة في مجتمعات دول العالم النامي لعدة أسباب سوف نشير إليها فيما بعد.

ولكن قد لا تحقق الدراما المسموعة المرئية أو الدراما التليفزيونية - الأدوار الوظيفية المستهدفة من تنموية وثقافية وذلك لأسباب عديدة قد تتعلق بمقومات الجمهور المهارية والمعرفية، أو قد تتعلق تلك الأسباب المتصلة لعدم قدرة المجتمع القيام بالعملية الإنتاجية للمواد الثقافية المختلفة من خلال الكلمة المكتوبة.

لقد أظهرت الدراسات الإعلامية الحديثة وأكدت على أهمية تواجد نظام إعلامي متكامل لا يضغى فيه الجانب المعرفي عن طريق الوسائل الإعلامية للاتصال الجماهيري المرئي المسموع، على الجوانب المعرفية الأخرى خاصة تلك المعرفة المكتوبة بجميع صورها من صحيفة إلى كتاب.

مما سبق يمكن عرض تصورنا في ثلاثة نقاط:

النقطة الأولى: الجوانب الأيديولوجية والثقافية والاجتماعية لتكنولوجيا الاتصال الجماهيري المرئي المسموع:

ونحن وإذ نهدف في هذه النقطة إلى تتبع جانب من الجوانب المحورية التي تدخل في نطاق اهتمام تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال "والذي يتصل بصفة خاصة بصلب القضايا التي تثيرها تكنولوجيا الإعلام والاتصال المرئي المسموع - أو الاتصال الجماهيري من خلال الفيلم السينمائي والتليفزيوني.

أن حصر تلك المشكلة من خلال الإشارة إلى مقومات المجتمع على الأقل الفكرية والثقافية سيلقى الضوء على فاعلية الأدوار الوظيفية التي يمكن للإعلام والاتصال التكنولوجي الحديث - ونعنى الاتصال عن طريق وسائل

الإعلام والاتصال المرئي المسموع – القيام بها للمشاركة في التنمية الفكرية والثقافية.

هذا المنطلق المنهجي تفرضه الظروف البحثية الخاصة بمناهج البحث في مجالات الإعلام المرئي المسموع.

لقد اصبح السؤال التقليدي الذي كان محورا للدراسات الإعلامية خاصة في مجالات التأثير، وهو ما الذي تصنعه الرسالة بالمتلقي قليل النفع لتطوير ودفع الدراسات الإعلامية الحديثة. (٤٢)

ولقد حل محل هذا السؤال سؤال أخر وهو ما الذي يصنعه المتلقي الإعلامي بالرسالة الإعلامية المرئية المسموعة.

هذا السؤال الجديد والإضافي يثير ويلقى تساؤلات متعددة، تتعلق ليس فقط بأهمية تحديد قدرات الجمهور المتلقي المهارية والتعليمية والادراكية .. الخ ولكن اصبح هذا السؤال منطلقا منهجيا في تحديد مقومات المجتمع الثقافية والفكرية والتي تشكل في مجموعها قاعدة أساسية تستمد منها الوسائل الإعلامية المرئية المسموعة. قدرتها في التأثير. ومن خلال هذا المنطلق يمكن الإشارة إلى أن التحليل النظري لقضايا التكنولوجيا الإعلام والاتصال والجماهيري ترتبط اشد الارتباط بعنصرين رئيسيين، أما الأول فيتناول الجوانب التقنية والاقتصادية للتكنولوجيا، والعنصر الثاني فهو يرتبط بالجوانب الفكرية واللغوية والأيديولوجية للتكنولوجيا.

العنصر الاول: الجوانب التقنية والاقتصادية للتكنولوجيا:

هذا الجانب يرتبط بالأدوات والوسائل التكنولوجية ونعني بإقامة التجهيزات وما تتبعه من العمليات التقنية والتدريبية والاقتصادية اللازمة لتشغيل تلك النظم التكنولوجية المعقدة ولن نطيل التركيز على ذلك الجانب نظرا لتغطيته في تقرير اللجنة العربية لدراسة قضايا الأعلام والاتصال كما قمنا بمناقشة جانب من تلك الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية من حيث أثارها السالبة في دول العالم النامى بصفة عامة في بداية هذا البحث.

العنصر الثاني: وهو يرتبط بالجوانب الفكرية واللغوية والأيديولوجية والثقافية للتكنولوجيا:

هذا الجانب الذي نود التركيز عليه في مناقشتنا وذلك لسبب رئيسي وهو أن التكنولوجيا بصفة عامة وتكنولوجيا الإعلام بصفة خاصة ليست كما نعلم

مجرد مفهوم اقتصادي تقني خاص معزولا عن الواقـــع الايديولجـــي العربـــي الاجتماعي منه والتربوي والثقافي ... بل أن تلك الجوانب مجتمعه تشكل الوعاء الاجتماعي والموضوعي للتكنولوجيا بمعناها الاقتصادي والتقني.

ونقوم في هذا الصدد بمناقشة هذين الجانبين لتلك المشكلة. أمـــا البعـــد الأول فيخصص لدراسة البعد الفكـــري للتكنولوجيـــا المتقدمـــة والبعـــد الثـــاني سنخصصه لمناقشة أهمية اللغة العربية الإعلامية في حفـــظ الـــتراث الفكـــري والثقافي.

النقطة الثانية: البعد الفكـــري للتكنولوجيـــا المتقدمـــة وأثاره السلبية على القيم العربية:

لقد نوقش هذا الإطار المعرفي والفكري من جانب اللجنة المذكورة تحت عنوان البعد الفكري للإعلام والاتصال الجماهيري فأوضحت تلك النقطـــة مـــا للوسائل الحديثة للإعلام والاتصال من أثار سلبية على القيم في دول العالم النامي بصفة عامة وعلى دول العالم العربي باعتباره جزءا من العالم النامي.

فهناك قيم حضارية معاصرة تفرض على دول العالم العربي من خـــلال وسائل الأعلام المرئي المسموع أي من خـــلال الفيلـــم الســـينمائي والـــبرامج التليفزيونية الدرامية الغربية. تلك الدول تعيش إذا في حيرة وضياع بين النموذج المفروض عليها دون خيار، وبيـــن التخلـــف والإحبـــاط. بالنســـبة للمنجـــزات التكنولوجية المتقدمة التي تقتحم عليها حياتها اقتحاما. كلها من القيـــم الأساســـية للحضارة المعاصرة ... والتي هي جزء من الحياة التكنولوجية والصناعية التـــي نسميها أحيانا الحياة الأوروبية أو الغربية. (٤٣)

ونحن نرى أن تلك الجوانب لم تحظ في معظـــم الدراســـات الإعلاميـــة بدراسات مستفيضة إذ لم تظهر تلك الدراسات أثار مضمون تكنولوجيا الاتصـــال على فئات الجمهور المختلفة في العالم العربي. ونعنى أثار مضمون تكنولوجيـــا الاتصال المرئي المسموع الغربي – من أفلام سينمائية وبرامج درامية تليفزيونية – من أمريكية وأوروبية (خاصة الفرنسية والبريطانية).

أن الصورة بصفة عامة كوسيلة للإبداع الفني وكأساس منهجـــي للغـــة الصورة المتحركة. لم تتناولها البحوث الإعلامية العربيـــة بـــالتحليل والدراســـة العلمية لبيان مقوماتها الاجتماعية والفكرية. فالصورة كشكل من أشكال الإبـــداع الفكري والثقافي والفني، نظر لها على الأقل في فترات الظلام الثقافي قبل عصر النهضة العربية الحديثة في بداية القرن التاسع عشر، على أنها شكل من الأشكال

الفنية المحرمة التي لايجب التعامل معها، ومع النهضة الثقافية والاجتماعية، قام رواد الفكر العربي الحديث بتقديم العديد من البراهين منذ بدايات القرن العشرين، مستندين في ذلك إلى قواعد وتعاليم الشريعة الإسلامية (*). ولكن دخول الصورة المتحركة كمفردة من مفردات لغة المرئيات، لم يتناولها الفكر الإعلامي العربي بالدراسة والتحليل.

ذلك المضمون الفكري الغربي يعمل على نشر أفكار ويوحي بمعاني قد لا تدركها خاصة تلك الفئات المتوسطة التعليم، فالفيلم السينمائي والتليفزيوني الذى ينقل فكرا قادما من ارض ليست أرضنا وأيديولوجية مجتمعات لا تمثل فكرنا وعقيدتنا وتاريخنا وتراثنا يمثل اكبر خطر يهدد مجتمعاتنا العربية وذلك لان بيئتنا الإعلامية وكلنا نعلم بيئة نامية تتخللها ثغرات تربوية واجتماعية وثقافية وسياسية عديده ليس فقط على الاعلام المعادى لنا عملية خرق أمننا الثقافي والاجتماعي والتربوي بل يعمل هذا الإعلام المعادى إلى مزيد من عدم التكامل الثقافي والأيديولوجي والاجتماعي بكل صوره وبكل أثاره الاجتماعية الجانبية.

لقد أوضحت الدراسات والنظريات الحديثة المرتبطة بالجوانب الاجتماعية للاتصال والإعلام الجماهيري، خاصة المرئي المسموع منه أن المجتمعات تختلف من حيث تقبلها للرسائل الإعلامية المرئية المسموعة وفقا للسمات والخصائص الحضارية والثقافية هذه الخصائص والمقومات هي[4] التي تسمح بنمط من الممارسات الثقافية والأيديولوجية والاجتماعية من خلال تلك النظم الإعلامية المركبة شرط توافر مقوماتها على الأقل الفكرية والثقافية ولعل أهم تلك المقومات وجود نظام من التعليم المتكامل في المجتمع وقاعدة فكرية وأدبية تعبر وتعكس عن القيم وعالم الأفكار السائدة.

وهنا تتلاقى تلك المفاهيم ومفهوم أخر لمراحل النمو التي تحدد الشروط المسبقة والضرورية للاتصال بالأشكال المتطورة. وأطلق على تلك المرحلة التي

---

[4] ذلك التيار كان وليد حركات التحديث الاجتماعي والثقافي والفكرى التى قادها رواد الفكر العربى الاسلامى، ابتداء من رفاعة رافع الطهطاوى الى جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده. وفيما يخص دخول الصورة كشكل تعبيرى حديث الحياة الثقافية فى العالم العربى - انظر فتوى الشيخ محمد عبده فى جريدة - الوقائع - ١٩٨١ حول هذا الموضوع انظر - نسمة احمد البطريق - المداخل الاجتماعية والثقافية للسينما المصرية - رسالة دكتوراه الدوله - كلية الاداب قسم الصحافه والاعلام جامعة بروكسل بلجيكا ١٩٧٩ - رسالة غير منشورة - بالفرنسية - انظر ايضا حول هذا الموضوع محمد رشيد رضا - تاريخ الاستاذ محمد عبده - مطبعة المنار - القاهرة ١٩٣١ ايضا انور عبد الملك (بالفرنسية):

ايديولوجية النهضة المصرية الحديثة Editions Anthropos. Paris, 1968.

تكتمل فيها العوامل الحضارية والثقافية والأيديولوجية والاجتماعيـــة للاتصـــال، علماء المدرسة الأمريكية للاتصال بالنظام الاجتماعي للمشاركة.(٤٤)

وإذا طبقنا معايير تلك المرحلة المتطورة على المجتمع العربي نجد أمامنا عاملا إيجابيا على درجة كبيرة من الأهمية ونعتبره محصلة لعدة عوامل. هــــذا العامل قد يفتح لوسائل الاتصال الجماهيري العربية من سينما وتليفزيـــون آفاقـــا جديدة. قد تبطل الآثار السلبية المعادية لقيمنا.

النقطة الثالثة: اللغة العربية الإعلامية:

هذا العامل هو عامل اللغة العربية الإعلامية: أن وجود اللغـــة العربيـــة الإعلامية على عكس ما يظهره البعض من عداء لها لهو دليل على تكامل الذات والمجتمع في البنيان اللغوي تكامل يعتمد على العواطف والأفكار وعلى الأساس المعنوي التي تكون شخصية الفرد ومعنويات الأمة التي ينتمي إليها مـــن ثقافـــة وصور حضارية من أخلاق وقانون وعادات وديـــن وتـــراث بجميـــع صـــوره المعنوية المادية". (٤٥)

ونحن نعني باللغة الإعلامية (المقطعية) المكتوبة والمقروءة ذلك المفهوم الذي يطلق على التجديد اللغوي التجديد في صورته اللغوية وهى اللغـــة وليـــس المضمون والأفكار. فالمعاني هي معاني التراث والفكر والقيم العربية الأصيلة.

فاللغة الجديدة من شأنها السماح لهذه المعاني بالتعبير وتكشف عن أشياء كانت خافيه في بطن اللغة التقليدية. أن عنصر التجديد في اللغة كما يشير باحث عربي "هو عمل تلقائي يقيم في شعور الباحث الذي يجد نفسه غير قـــادر علـــى التعبير عن المعاني الكامنة في اللغة التقليدية نظرا لثقافته الحديثة ولبيئته الثقافية الجديدة.(٤٦)

وهكذا ينحصر التجديد في اللغة في الألفاظ بل في ذلـــك الجـــانب مـــن الألفاظ الذي لايمس المعنى. أما المعنى ذاته والمضمون الفكري للتراث فيجب إلا يمسهما تجديد. فهما ابديان صالحان ابدا لجميع عصور التاريخ العربي، التي لـــم تستطع أن تستنفذ طاقاته الكامنة في "نطاق اللغة التقليدية" ويتحول التجديد وفقـــا لهذا المنطق إلى بعث للعلوم الدينية بقضيتها وقضيتها دون أدنى تغيير سوى تلك التغيرات الشكلية التي تفرضها ضرورة التواصل أو البعث. أن ضرورة التعبـــير عن المعنى الجديد هو الحافز على نشأة الكلمة.(٤٧)

وهكذا يمكن القول إن نشأة وتطور اللغـــة لا يخضعـــان للعشـــوائية أو للإرادة الفردية. فهما رهن باحتياج المجتمع. الذي ينعكس تطوره المـــادي فـــي تطور بنيته الثقافية، ومن بينها اللغة.

أن لكل لغة إمكانيات للتطور والتغير بحيث تتمشى مع احتياجات واهتمامات المجتمع الجديدة. وفى ذلك اتسعت اللغة وتطورت منذ القرون الأولي لبناء الدولة العربية الإسلامية – لتلبى احتياجات المجتمع الجديد في تكوين الانساق الثقافية الجديدة في الفلسفة والرياضيات والطبيعيات والديانات بما يتلاءم مع الأوضاع الثقافية التي ضمت – في ذلك الحين – الاتجاهات الفكرية المتعارضة والمتناقضة.

ولم تتضح اللغة الإعلامية إلا مع عمليات التطور الاجتماعي والثقافي والفكرى والاجتماعي الحديث ومنذ أوائل القرن التاسع عشر.

ولولا المجهودات الطائلة التي قام بها قادة الفكر والفن والسياسة والاقتصاد منذ عصر النهضة المصرية الحديثة في جميع مجالات العلوم والمعرفة ومنذ أوائل القرن التاسع عشر لما رأينا الانقلاب الهائل الذي حققه المجتمع العربي – في مصر – في جميع النواحي: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ففي طيات هذه الطفرات والحركات الثقافية والاجتماعية أثرت اللغة العربية بألفاظ جديدة تتناسب والعصر الحديث أفادت في نهضة الصحافة العربية التي راحت تعبر عن هذا التطور الاجتماعي والثقافي منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر بلغة طيعة وسهلة (*).

ومع التطور في الوسائل التكنولوجية للاتصال ودخول السينما والإذاعة والتليفزيون المصري إلى جانب الأدوات الثقافية كالمسرح والقصة الحديثة والموسيقى العربية وظهور الأغنية العربية الحديثة كنمط من التعبير الفكري والفني تطورت اللغة العربية الإعلامية وأصبحت لغة وسيطة، بين اللغة التقليدية السامية، واللغة العامية.

تلك النبذة التحليلية المبتسرة تقودنا إلى القول بان اللغة الإعلامية هي نتاج تطور فكرى وحضاري شهده العالم العربي منذ نشأة الصحافة العربية في منتصف القرن التاسع عشر والأدب القصصي والمسرحي والأغنية العربية في بدايات القرن العشرين وحتى الستينات من هذا القرن. ولقد تبع تلك الفترة، اضمحلال ثقافي إذ بدأ عهد الانكسار والأزمة في الثقافة العربية والتي هي نتيجة "لعدم مواءمة الحصاد الثقافي في تلك الحقبة ومواجهته للتغير المادي الذي طرأ

(*) ويكفى ان نشير الى مجهودات رفاعة الطهطاوى فى الترجمة وادب القصة خاصة اسلوبه فى "تليماك" **Telemaque** التى استوحى احداثها من "فينيلون" **Fenelon** ويعتبر اسلوبه فى تلك القصة خروجا على التقاليد اللغوية الجامدة من حيث اختيار الالفاظ والاسلوب فهى اقرب الى التعريب منها الى الترجمة.

على المجتمع أي نتيجة لديناميكية التغييرات المادية المفرغة من المضمون الكيفي والاستيكية في الجوانب الثقافية القيمة".(٤٨)

"وجاءت حقبة السبعينات وكانت امتداد لحقبة الستينات في إغفال المضمون الحقيقي للتغيرات الثقافية القيمة. ولكن الإغفال كان بأسلوب أخر تمثل في محاولة احتذاء النموذج الثقافي الغربي الذي أدى إتباعه إلى إفراز قيم اجتماعية فردية ممسوخة حضاريا ومسلوخة عن الواقع الاجتماعي.

وكان لابد أن تتأثر اللغة الإعلامية العربية عبر الوسائل الإعلامية من سينما وإذاعة وتليفزيون تلك الوسائل مؤشرا لتلك التيارات الفكرية والاجتماعية المعاكسة للتطور الثقافي بصفة عامة ويمكن التركيز على أهمية الصحافة المكتوبة (والكتاب) بصفة عامة في حفظ ما حققته اللغة العربية التقليدية منها والحديثة من تطور وازدهار.

وبالرغم من تلك السلبيات ألا إننا نؤكد على أهمية اللغة الإعلامية المكتوبة منها والمنطوقة على شرط أن نتخلص من بعض شوائبها من خلال الإذاعة والتليفزيون والفيلم وتنمية قدرتها على تقديم الفكر العربي الإسلامي والقيم الراسخة الجليلة في مجتمعنا.

الهوامش

(١) انظر ايضا نسمة احمد البطريق لغة السينما والتليفزيون مكتبة مدبولى القاهرة ١٩٨٧.

Rebert Escarpit et Charles Bouazis Systemes Partiels de Commuication edition Mouton, Paris, 1972. pp. 46-52.

(٢)

M.McLuhan, La galaxie Gutember editions, Mame / Seuil, Paris, 1972.

(٣) أنور عبد الملك، تغير العالم سلسلة عالم المعرفة – العدد (٩٥) الكويت نوفمبر ١٩٨٥، ص ص ٣٧ – ٥٣.

(٤ ، ٥) انظر أيضا سعد الدين إبراهيم، "النظام الدولي واليات التبعية" المستقبل العربي سنه (٩) العدد (٩٠) أغسطس ١٩٨٦ – ص ص ٨٤ –١١٧.

(٦ ، ٧) عمر إبراهيم الخطيب: "الجوانب الإيديولوجية والسياسية في الفكر التكنولوجي العربي" مجلة العلوم الاجتماعية عدد (٤) ١٩٨٤ – ص ص ٩- ٢٨.

(٨ ، ٩) إبراهيم سعد الدين، مرجع سابق "النظام الدولي آليات التبعية".

(١٠) محمد عبد الشفيع عيسى "التبعية التكنولوجية في الوطن العربي" المستقبل العربي السنة (٦) العدد (٦١) مارس ١٩٨٤ ص ص ٨٢ – ٩٧.

(١١) إبراهيم سعد الدين، مرجع سابق "النظام الدولي واليات التبعية" وفى نفس الموضوع.

انظر أيضا – مرجع سابق Jean Gazeneuve Les Effets

(١٢ ، ١٣، ١٤ ، ١٥) حمدي قنديل اتصالات الفضاء الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٨٥، ص ٨٣ وما بعدها.

(١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) المرجع نفسه ص ص ٩٠ - ١٥٩.

(٢٠ ، ٢١) محمد عيسى، مرجع سابق "التبعيـــة التكنولوجيـــة" ص ص ٨٦ - ٩٠.

(٢٢ ، ٢٣) فرنسيس بال، وسائل الإعلام والدول النامية ترجمة حسين العودات - مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بـإدارة الإعـلام، تونـس ١٩٨٢ ص ص ٢٢ إلى ٣٤.
انظر أيضا: عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العـالم الثالث - عالم المعرفة - الكويت ١٩٨٤.

(٢٤)
Elihu Katz et David Foulkes "sur L'utilisation des mass. media Comme moyens d'evasion, :"Texte Publié dans Public Opinion Quaterly, Vol. 26, Princeton University, 1962 (PP. 377-388).

(٢٥) محسن جاسم الموسوى "تكنولوجيا وسائل الاتصال واشكالاتها القيميـــة" ، قضايا عربية - العدد ٤ السنة التاسعة فبراير - إبريل ١٩٨٢ من ص ١٠٥ إلى ص ١١٩.

(٢٦) مرجع سابق
Robert Escarpit et Charles Bouaziz Systems Partiels. PP. 45-50.
وأيضا مرجع سابق
M. McLuhan. la Saglazie

(٢٧) محسن الموسوى "تكنولوجيا وسائل الاتصال"، مرجع سابق ص ٢١١.

(٢٨)
A. Mattelar et M. Piemme, Télévision en jeux sans frontiéres. Press Univisitaire de grenoble 1980 PP. 12-30.

(٢٩ ، ٣٠)

Robert Wangermee et H. Lhoest - L'Apréss

Télévision. Hachette litterature. 1973. PP. 90-111.

(٣١)
J-Ziolkowski, "la Dimension cutluretle. du Developpement" Culture Vol. (VI) No. (1) Unesco, 1979 PP. 17-29.

(٣٢) فرنسيس بال – مرجع سابق، الاعلام والدول النامية ص ٤٠ – ٤٥.

(٣٣) مراجع سابقة
A-Mettelar et C. Quattly Téléision Enjeux
Sans Frontieres. PP. 33-55.
Y-Freches. La guerre des images Denoel. Paris 1986.

(٣٤)
J. Ziolkowski, "la Dimension Culturelle" Unesco PP. 17-29.

(٣٥) مصطفى المصمودى. النظام الاعلامى الجديد سلسلة عـــالم المعرفـة – الكويت عدد
(٩٤) اكتوبر ١٩٨٥.

(٣٦) فرنسيس بال – مرجع سابق – الاعلام والدول النامية).

(٣٧) نحو نظام عربى جديد للاعلام والاتصال – مشروع تقرير نهائى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥ صص ١٠٧ – ١١٥ وما بعدها.

(٣٨) المرجع نفسه.

(٣٩) نادية رمسيس "التنمية وازمة التحليل السياسى" المنار، عدد يونيـو ١٩٨٥ ص ٤٤ الى ص ٦٩.
انظر ايضا: انور عبد الملك (الفكر العربي فى معركة النهضـة) – دار الاداب بيروت ١٩٧٧.

(٤٠) عبد الملك عوده – تعقيب على دراسة غسان عطية "دور الجامعة العربية فى الاعلام" ندوة جامعة الدول العربية – الواقع والطموح – مركـــز دراســات الوحدة العربية ابريل ١٩٨٣ ص ٤١١ الى ص ٤٤٤.

(٤١) مرجع سابق – نادية رمسيس التنمية وازمة التحول السياسى.

(٤٢) انظر مراجع سابقة:

J.Freches. La gerre des Images. R. Wangermee
H Lost. L'aprés Télévision.
- Francis Bale sociologie de s'information Larousse. Paris 1973.
- Daniel Lerner. "Systemes de Communications et Systemes Sociaux," Behavioral Sciences (J C. Miller, editor) October 1957.
PP. 266-275.

(٤٣) مرجع سابق نحو نظام عربى جديد – مشروع تقرير نهائى ص ص ١٠٧ – ١١٥.

(٤٤) مراجع سابقة – نفس المراجع الموجودة فى مرجع (٣٩).

(٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) صالح الشماع – عامل اللغة القومية العربية قضايـــا عربيـــة العدد الرابع يناير ١٩٨١ – ص ص ١٠٩ – ١١٤.
وايضا: رفعت سلام/ "التراث والتجديد – المنهج فى بحث الثقافـــة العربيـــة" – قضايا عربية . العدد الثالث مارس ١٩٨٣ – ص ص ٧٧ – ٩٦.
(٤٨) سهير لطفى "رؤية لايديولوجية الحركات الاسلامية المعاصرة فى مواجهة المشكلات النوعية"، قضايا عربية. عدد (٣) مارس ١٩٨٣ ص ص ٢٧–٤١.

الفصل الثانى:

التاثير الاجتماعى للدراما الاجنبية
فى التليفزيون المصرى

الفصل الثاني:

التأثير الاجتماعي للدراما الأجنبية في التليفزيون المصري

المقدمة

أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرى في دول العالم النامي ومصر وبصفة خاصة التليفزيون من أهم العناصر الأكثر تأثيرا على الفرد والجماعة. وتهديدا لثقافة وقيم المجتمع. حيث ينفرد التليفزيون بالدور الأساسي في عملية الترفيه والتعليم والتثقيف والأعلام. لقدرته على مخاطبة جميع الفئات وغير القادرة، الأمية وغير الأمية وفى جميع الأوقات.

هذا الوضع يجعل التليفزيون المصدر الأكثر أهمية للمعلومات الإخبارية والثقافية والترفيهية والدرامية ..؛ الأجنبية منها والقومية.

وتتصدر الدراما الأجنبية منها والعربية كمضمون ترفيهي وثقافي مكانة مرموقة بين البرامج التليفزيونية الأخرى. وقد يمارس هذا المضمون أثارا جانبية وضارة على ثقافة الفرد والمجتمع. ولا نفرق هنا في خطورة المضمون الأجنبي أو المضمون القومي العربي.

فالمضمون الوافد من المجتمعات المتقدمة الصناعية له عواقبه الجسيمة ليس من حيث التأثير الثقافي والفكري؛ ومظاهره المتعددة المباشرة وغير المباشرة كالعنف والتشبؤ والإحباط المعنوي فحسب، بل وأيضا من حيث الأهداف البعيدة المدى والقريبة والاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية.

هذا المنطلق البحثي يثير العديد من النقاط التي ترتكز أهمها من خلال تأكيد المفارقة بين أهداف صناعة الثقافة أو ثقافة المعلومات المقروءة منها والمرئية والمسموعة في كل من الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية. فبينما تنتج مواد تلك الصناعة في الدول المتقدمة (الصناعية) الكبرى للترفيه والتوجيه والتثقيف والإعلان عن السلع الاستهلاكية معتمدة في ذلك على قدرتها في التوزيع وأيضا معتمدة على قدرات الفرد وميوله الاستهلاكية وقدراته الشرائية والانتقائية المرتفعة، تستهلك الدول النامية ومصر، منتجات الثقافة والأعلام الوافدة من دول المصدر، خاضعة في ذلك لاعتبارات متعددة اقتصادية وسياسية...

هذا الوضع أدى إلى تأكيد السـيطرة وتوجيه المعلومـات والإنتـاج الإعلامي والثقافي إلى الأغراض الاستهلاكية، أ، أي لخدمة الأهداف الاقتصادية السائدة وأهداف النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ... للدول المتقدمة في التكنولوجيا والعلم والمصدرة للصناعة والتكنولوجيا والأعلام والثقافة.

هذا كله يؤكد بإيجاز شديد؛ أن الاختلاف الأساسي ما بين الدول المنتجة للتكنولوجيا والصناعة والدول المستوردة لها؛ هو في الفرد. لأفراد فـي الـدول المتقدمة يبحث عن الجودة وعن الاصلح لتوجيه مسار حياته الاجتماعية، المادية والروحية في مقابل الفرد في الدول النامية حيث يبحث عن وسيلة تعينـه علـى مواجهة مشاكله المتعددة.

ومن خلال هذا المنطلق يمكن التأكيد على أن عناصر التأثير الاجتماعي هي عناصر يمكن قياسها عن طريق حصر المقومات المختلفة التي تدخـل فـي تشكيل قدرات الفرد المادية والادراكية؛ والتي يمكن حصرها من خلال ما يتوافر في المجتمع من مقومات فكرية وثقافية وتعليمية وتربوية وبحثية [٦] وهى القـادرة على تقويم قدرات الفرد الانتقائية بين المواد التليفزيونية والفيلمية، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالمسلسل التليفزيوني الأجنبي، هذا من جانب، ومن جانب أخر يمكن إضافة إلى العناصر السابقة عناصر أخرى ترتبط بالمقومات الخاصـة بالإنتـاج الدرامي كعناصر ومقومات الإبهار التقنية؛ وترتبط تلك العناصر بمقومات التقدم التكنولوجي والعلمي وكيفية التعامل بها، أي استخدامها وكيفية تطويعها لخدمـة التراث الفكري والإنساني والإعلامي.

ومن خلال هذا المنطلق الفكري المترامي الأبعاد يمكن حصر أهم النقاط التي يمكن بناء فروض دراستنا الميدانية على أساسها في الأتي:-

أولا: التليفزيون في حياة الأفراد:

ويمكن التأكيد على أهمية التليفزيون في حياة الأفراد كأهم وسـيلة جماهيريـة لقضاء وقت الفراغ؛ أي كأهم الوسائل الترفيهية خارج إطار العمل المنتـج، أي العمل الذي يستوعب جهد الإنسان ودرجة التركيز والتفكير.

فتحديد كيفية تعامل الفرد مع رصيد حياته اليومية الذي ينقسم بين أوقات تستغل في النشاط المنتج وأوقات لا يعمل فيها الفرد عملا منتجا، إنما تحدد فـي

٦-

A MATTELART, LA/ CULTURE CONTRE LA DEMOCRATIE, EDT, LADECOUVERTE, PARIS, 1984.

- A. ET YVES MATTELART, TECHNOLOGIE CULTURE ET COMM RAPPORT AU. MINISTRE LA RECHERCHE, PARIS, LA DOCUM. FRAN. 1982.

واقع الأمر جانبا كبيرا لطريقة تعامل الفرد مع وسائل الأعلام والاتصال الجماهيري المختلفة. كما تحدد أهمية تلك الوسائل في حياة الأفراد، فالقاعدة العامة تشير إلى انه كلما طغى النشاط الإنساني غير المنتج كلما كانت وسائل الأعلام والثقافة ووسائل الترفيه الأخرى تلعب دورا تأثيرا معاكسا في حياة الأفراد. فكلما قل رصيد الفرد اليومي المخصص للنشلط الإنساني غير المنتج بمعنى آخر - أوقات الفراغ تفاوت توزيع الفرد وتعرضه لوسائل الأعلام والثقافة المختلفة بتفاوت ارتفاع الدخل وارتفاع المستوى المعيشي. وتدل الدراسات المتعددة على أن توزيع الفرد المنتج المرتفع الدخل لأوقات نشاطه غير المنتج يكون بين وسائل الأعلام والثقافة المطبعية المقروءة ووسائل الأعلام والثقافة خارج المنزل. وتتقدم السينما كوسيلة للثقافة والأعلام خارج المنزل - ووسائل الأعلام والثقافة والترفيه الأخرى. فالخروج من المنزل للذهاب إلى دور السينما وهى مكان للالتقاء المفضلة - إذا ما توافرت دور العرض الجيدة وتوافر المضمون المتنوع والمتعدد. ويلي السينما في الأهمية كنشاط اجتماعي خارج المنزل المسرح، فله رصيد يفوق الوسائل الترفيهية والثقافية الأخرى في النشاط الإنساني غير المنتج. (ذلك بالنسبة للدول الصناعية المتقدمة) [٧]

وتتعدد في الدول الصناعية المتقدمة إلى جانب وسائل الأعلام التكنولوجية والثقافية إمكانيات أخرى للترفيه والثقافة والأعلام، كالسياحة والرياضة بأنواعها المتعددة وتتعدد الأماكن العامة من منتزهات وحدائق وغابات طبيعية، وتصبح المنافسة قوية إذا بين تلك الإمكانيات الترفيهية والثقافية خارج المنزل. ووسائل الأعلام الجماهيري. وضاعفت نتيجة لذلك وسائل الأعلام من إمكانياتها وكفاءتها الابهارية والإبداعية في المواد والبرامج المختلفة.

وتتفرد الإذاعة والتليفزيون كوسائل يمكن التعرض لهما في أوقات الفراغ أو في أوقات النشاط غير المنتج كخلفية موسيقية أو كخلفية حركية مصاحبة، يعتبرها الفرد وسيلة تشجيعية ونفسية لتنشيط العملية الإنتاجية.

ومن هذا المنطلق أصبحت دراسة حياة الأفراد وكيفية ميزانية النشاط اليومي المنتج وغير المنتج بين وسائل الأعلام والثقافة والإمكانيات الأخرى المتاحة من سياحية ورياضية ضرورة بحثية لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الدراسة الاجتماعية وتطبيق مناهج وفروض علم الاجتماع المختلفة.

---

٧ -

- GABRIEL THOVERON, RADIO TELEVISION, DANS AL VIE QUOTIDIENNE, INST SOCIO. U.L.B. BRUXELLES 1971.

فتحديد وحصر عامل المنافسة بين وسائل الأعلام والثقافة وبين إمكانيات الترفيه المتاحة في المجتمع يضيف بعدا بحثيا هاما لدراسة طبيعة العملية الإعلامية، فلا يمكن إذا إغفال العامل الاجتماعي في التحليل وحصر وتفسير دينامية الجماعة. وكيف أن وسائل الأعلام والترفيه المتاحة في المجتمع تشكل جانبا هاما في تلك الدينامية وتحديد أهميتها في حياة الأفراد.

ومن هنا يمكن التأكيد على أن إمكانيات وظروف المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية والتاريخية والاجتماعية تؤثر تاثيرا كبيرا على العملية الإعلامية وإيجابية دورها. فدراسة التفاوت بين وظائف العملية الإعلامية في كل من دول العالم النامي والعالم المتطور وحصرها من خلال دراسة النظم الإعلامية وأيضا حصر العملية الإعلامية كعملية اجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي إنما تقدم بعدا بحثا هاما.
وتتصدر الدراما التليفزيونية وخاصة المسلسل قائمة البرامج التي يواظب عليها جمهور التليفزيون يوميا. كما سنشير فيما بعد من خلال الدراسة الميدانية.

ثانيا: الانعكاس وشروطه وثقافة الاتصال الجماهيري:

عندما افرد علماء الاجتماع والاتصال الجماهيري مكانة وأهمية خاص لعنصر الانعكاس REFLEXION أي رد الفعل الذي تحدثه المعلومة، كانوا يبحثون أساسا في شروط وأسس [8] العملية الثقافية؛ أي شروط الإنتاج الثقافي والفكرى
فالانعكاس هو من أهم عناصر التطور المعرفي والثقافي، هذا لان الانعكاس هو من أهم الشروط التي تحكم العملية المعرفية وتدفعها الى الامام، فغياب هذا العنصر لن يحقق التطور المعرفي الفكري والثقافي للمجتمع. ويسبق "الانعكاس" عوامل تؤثر في الملتقى للفكر والفن وتدفعه لعملية رد فعل يكون من شانها أما إنتاج لفكرية جديدة أو تفسير لأفكار قائمة.

فالانعكاس إذا هو شرط من شروط التأثير. وشرط حتمي للتطور المعرفي والثقافي.

وحتى يتحقق هذا الهدف، هناك العديد من المقومات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية يمكن حصرها أهم تلك المقومات في عنصرين أساسين.

---

[8] - انظر فى هذا المجال الدراسة لالرائدة التى قام بها كل من:

J. DUMAZADIER, SOCIOLOGIE EMPIRIQUE DU LOISIR, PARIS DU SEVIL, 1974
- G. T H O V E R O N, RADIO ET TV DANSLA VIE QUÒTIOTIDIENNE, U.L.B - BRUXELLES 1971.

(أ): توافر هذا القدر من النتاج الفكري والثقافي والإعلامي في المجتمع ومقوماته.
(ب): توافر جمهور قادر على استقبال الإنتاج الفكري واستيعابه أي جمهور لديه قدر من التعليم والثقافة.
"فالانعكاس" إذا هو عملية تفاعل ما بين العنصرين في إطار اجتماعي ثقافي معين تهيئ إلى أحداث ردود أفعال من شأنها أن تدفع عملية التطور المعرفي والثقافي في المجتمع. وحتى يصبح "الانعكاس" دافعا لعجلة المعرفة، أي مولدا لسلوك اجتماعي وثقافي وفني كان أو إبداعي، أي يحقق تأثيرا إيجابيا، يجب توافر مقومات معينة في المجتمع من اقتصادية واجتماعية وسياسية كما أشرنا؛ حتى يتحقق هذا التفاعل.

ونحن في دول العالم النامي وفى مصر، في اشد الحاجة إلى عوامل ومقومات فكرية وثقافية واجتماعية ... لتنشيط عملية التنمية الثقافية والفكرية، حتى يتحقق التأثير الإيجابي على المتلقي.

وتشير الظواهر والقضايا المتعددة والتي تحيط بالمجتمع العربي والمصري، وتؤكد على أن هذا العنصر "REFLEXION" كمقومة من مقومات التطور الفكري والثقافي، اصبح من العناصر النادرة، بل أصبحت بفضل العديد من الأسباب منعدمة فمجتمعاتنا تعانى من قضايا عديدة اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية تعوق مسيرة الثقافة والفكر بمستوياتها المتعددة، مستوى الإنتاج الفكري والإبداعي ومستوى تنمية قدرات الفرد التربوية والثقافية والاجتماعية.

ثالثا: مفهوم ثقافة الاتصال الجماهيري

وحتى نؤكد على تلك القضايا في المجتمع وأهميتها وتأثيرها المباشر في تفاقم قضايا الثقافة والأعلام، نشير إلى مفهوم ثقافة الاتصال الجماهيري. هذا المفهوم الذي قدمه لنا التراث النظري لعلم الاجتماع والاتصال الجماهيري خاصة بعد التقدم الهائل في تكنولوجيا نقل المعلومات وبثها إلى أفاق جديدة وبعيدة وبعد تطوير نظم البث المباشر.

وينطلق هذا المفهوم من خلال التمييز بين الثقافة بمفهومها التقليدي الواسع كمادة أساسية وبين مضمون وسائل الأعلام والاتصال الجماهيري. وهذا يعنى أن ثقافة الاتصال هي مزيج من عناصر الثقافة التقليدية وعناصر المضمون الذي يبثه الشكل التكنولوجي والصناعي الذي ينقل الفكر والمعرفة والمعلومات وأيضا ترتبط بعناصر ومقومات الفرد المتلقي لهذا المزيج.

هذا المفهوم يؤكد على أهمية عنصر "الانعكاس" والذي يرتبط بقدرة الفرد التلقي والاستيعاب، ومهارته الادراكية على الانتقاد والإضافة، فتوافر هذا

العنصر الهام هو الذي سيعي لثقافة الاتصال والثقافة فاعليتها في المجتمع وعدم توافر هذا العنصر في الفرد سيزيد من تفاقم قضايا تكنولوجيا الاتصال والثقافة.

ومن هنا يمكن التأكيد على إمكانيات وظروف المجتمع الثقافية من حيث توافر هذا التراث المعرفي، ودرجة التقدم في هياكل البنية الأساسية الثقافية والاجتماعية والإعلامية، فهي التي تحدد الإطار العام لحدود ثقافة الاتصال الجماهيري، ونعنى بها هذا الكم من الفتاحات الإعلامية الصحافية والإذاعية والتليفزيونية ويدخل في تلك الحدود الثقافية والفكرية الدراما التليفزيونية، والمعلومات والبرامج التليفزيونية والإذاعية ولانتاجات الفكرية، المطبعية كالكتاب والمقال...

فالتعدد في عناصر ونوع ووسيلة الشكل الناقل للمعرفة يعدد أيضا من عناصر وشكل المضمون الثقافي والفكري والإعلامي. [٩]

رابعا: الدراسة الميدانية:

إذا يمكن التأكيد على أن دراسة التأثير الاجتماعي للدراما الأجنبية يرتبط إلى حد كبير بدراسة التنظيم الاجتماعي والأنماط الثقافية والمعرفية في المجتمع. فالاستناد لهذه المتغيرات الاجتماعية والأنماط الثقافية والمعرفية في المجتمع. فالاستناد لهذه المتغيرات الاجتماعية والثقافية يساعد الباحث كثيرا على تفسير هذه الظاهرة التي نحن بصدد دراستها ويضع أمامه دعامات لتأكيد بعض استنتاجاته. أي يمكن القول أن استناد الباحث إلى الطابع الكلى لتنظيم المجتمع وثقافته، سيشير إلى عناصر وأسباب تلك الظاهرة الإعلامية والثقافية والاجتماعية.

وإذا كان سعينا في هذه الدراسة وهدفنا منذ البداية هو تحديد علاقة الجمهور المستقبل بالنتاجات الدرامية للتليفزيون المصري، وتأثير هذه الدراما عليه فان وسيلتنا في تحديد هذه العلاقة هي حصر حدود عنصر التأثير، إنما ينطلق من خلال استخدام المعادلات الإحصائية التي ستمدنا بها نتائج الدراسة المسحية لتحديد أهم ثغرات الحياة الثقافية والإعلامية والاجتماعية والتي تباشر على الأفراد أثارا قوية في تحديد اتجاهاتهم وموقفهم من النتاجات المختلفة أو خاصة الإعلامية والثقافية المحلية منها والعالمية حتى نخرج بدلائل تفسير الظاهرة تفسيرا كميا، فالنتائج التي سوف نتوصل إليها من خلال البحث الميداني،

- E. MORIN. SOUOLGIE. FAYARD. PARIS 1984.
- A.MOLES - SOUO - DYNAMIGUE DE LA CULTURE, MOUTON 1969.

ستعبر عن المظاهر العامة من خلال تحديد سلوك وردود فعل لمجموعـــة مــن الأفراد تجاه الدراما التليفزيونية - في وجود عوامل ومقومات اجتماعية وثقافيـــة بعينها.
ذلك لان النتائج الموضوعية لسلوك ودوافع مجموعة من الأفراد هي نتائج تعبر عن نفسها من خلال ظواهر اجتماعية تحمل في طياتها طابعها الجماعي والتـــي يعيش الفرد في إطارها.
وحول هذا المنهج وأهميته، درات العديد من المناقشات العلمية [١٠] حول صلاحية مناهج البحث الاجتماعي التي ترتكز على المتغيرات الاجتماعية للبحث الكمـــي، لتحديد حدود لظاهرة، ومسبباتها واقتراح الحلول. وانتهت تلك المناقشات العلمية إلى تأكيد أهمية هذا المنهج المسحى للجماعة. ولقد طبقته مجموعة من البـــاحثين في دراسة متعددة لعل أهمها دراسات دور كهايم الشهيرة [١١]

خامسا: أهداف وفروض ومنهاجيه الدراسة الميدانية:

ويمكن القول أن هذه الدراسة تنتمي إلى بحوث قياس الآثار الاجتماعية لوســـائل الأعلام وبصفة خاصة الوسائل المرئية المسموعة فـــي إطـــار مكونـــات بيئـــة الاتصال بوجه عام. وتستهدف هذه الدراسة قياس التـــأثير الاجتمـــاعي SOCIAL EFFECT على مدى زمني يتراوح ما بين عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٤ من خلال مسح تحليلي ANALYTICAL SURVER لعينتين عشوائيتين في العامين المذكورين، وقـــد استهدف القياس نسبيا مما يسهم بشكل اكثر دلالة وصدقا في تجديد أبعاد الظاهرة محل الدراسة "الآثار الاجتماعية للدراما على الجمهور في مصر وبخاصة فئـــة

[١٠] - هذا المرجع بالرغم من قدمه حيث انه في ١٩١٢ الا انه من المراجع المهمه في علم الاجتماع ويأخذ به الباحثون حتى الان.
- E. DURKHEIM, LES REGLES DELA METHO DES SOCIOLOGIGUE.

[١١] - انظر ايضا:
- د. محمد عارف، المنهج في علم الاجتماع . دار الثقافة القاهرة ١٩٧٢.
- د. احسان محمد الحسن، الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعية، دار الطليعة - بيروت ١٩٨١.
- G THOVERON.
- E. DARTVELLE LOISIERS ET COMM DES ADOLESCENTS (U L.B) BRUXELLES, 1984.
- J.DUMAZADIER. SOCITETE EDUCATION ET POUVOIR CULTUVL, UREL PARIS, EDTIONS SEUIL, 1976.
- FOURMENT, ALAIN LA PRESSE DES JEUNES, IN, LES CAHIERS DE L'ANIMATIONS N, 23. 1979.
GUZELL. CLAUDE, ENQUETE BUDGEF TEMPS AUPRE'S JEUNES .. R. T. B N 81, 1975.
- A. TOURAINE, PRO. DELA SOCIELE SEUIL, 1973

الشباب الجامعي وهى الفئة الأكثر تعاملا مع وسائل الأعلام والأكثر قدرة على التعبير عن قضايا مجتمعيه ذات أبعاد ثقافية وفنية وفكرية كما أن طلبة الجامعة ينتمون لمختلف شرائح المجتمع المصري ويمثلون مزيجا متميزا في إطار نظام تعليمي محدد.

وتتعرض دراستنا هذه لرصد الجوانب الكمية في عملية التأثير من عدة جوانب الجانب الأول هو تحديد حجم التعرض واستهلاك مضمون مادة الاتصال وهى "الدراما" وأما الجانب الثاني فيتمثل في رصد أهم جوانب التأثير المعرفي والوجداني في إطار أنماط التعرض عموما وخصائص المشاهدين الديموجرافية والسوسيو اقتصادية مما يؤسس فهما أوضح لطبيعة العلاقة بين التعرض EXPOSURE من ناحية وبين مستويات التأثير المختلفة على عينة من الشباب المصري.

أما المحتوى الذي قيست معارف واتجاهات المبحوثين نحوه، فكان الدراما الأجنبية ممثلة في مسلسلين أجنبيين هما "فالكون كريست" "والجرئ والجميلة".

(أ) أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة قياس اثر التعرض لمضمون الدراما الأجنبية التي يعرضها التليفزيون المصري على عينة من سكان القاهرة الكبرى وطلبة الجامعات وبشكل محدد يمكن تقسيم الهدف إلى أهداف جزئية هي:

أولا: محاولة الكشف عن حجم التعرض للدراما الأجنبية في مصر وأنماط هذا التعرض.-

ثانيا: تحديد قدر التأثير الذي تحدثه هذه المضامين على عينة من الجمهور.

ثالثا: اختيار فروض محدودة للعلاقة بين التعرض ومستويات التأثير الاجتماعي لوسائل الأعلام.

(ب) فروض الدراسة:

الفرض الأول: في إطار انتشار ظاهرة الدراما الأجنبية في التليفزيون المصري وثبات معدلات بثها للمشاهدين بصفة مكثفة فانه من المتوقع أن يكون لهذه المضامين أثار اجتماعية إيجابية أو سلبية على لجمهور الذي يتعرض لها، ومن هنا نفترض وجود علاقة ارتباطيه بين التعرض للدراما الأجنبية من ناحية وبين الآثار الاجتماعية ومن ناحية ثانية.

الفرض الثاني: إذا كانت الدراما الأجنبية تختلف في جوهرها عن الدراما العربية باعتبار الأولى نتاجا لفكر وثقافة تحـــدد وتعكـــس طموحـــات وأهـــداف مجتمعات تختلف كلية عن المجتمعات العربية، فأننا نفترض أن اتجـــاه التـــأثير يمكن أن يكون اتجاها ايجابيا أي تأثير في اتجاه تأييد الثقافات التي تنتمي إليهـــا الأعمال الدرامية الأجنبية في حين تكون اتجاهات التأثير سلبية للأعمال الثقافيـــة العربية.

الفرض الثالث: نظرا إلى أن الدراما العربية في التليفزيـــون المصـــري تركز على جوانب محددة من الواقع الاجتماعي تمشـــيا مـــع أهـــداف السياســـة الإعلامية التي هي انعكاس للسياسة العامة في الدولة فانه من المفترض أن يكون تركيز الدراما على المتغيرات الاجتماعية التي تعيشها الطبقة الوسطى تركـــيزا قليلا مقارنة بالتركيز النسبي لقضايا فئات محددة من المجتمع في اغلب الأحيان.

(ج) منهجية الدراسة:

في إطار منهج المسح الاجتماعي تم تحديد مجموعة من الخطوات المنهجية التي تعمل على بحث وتحليل الظاهرة موضع الدراسة وذلك على النحو التالي:

- تحديد مجتمع الدراسة:

تم تحديد الدراسة وفقا لكثافة التعرض لوسائل الاتصال في لقاهرة الكبرى مـــن حيث المجال المكاني أو الجغرافي وذلك لما يتصف به مجتمع القاهرة من تعقـــد واضح وتداخل بين الفئات الاجتماعية والشرائح المختلفة من خلال العمل والسكن والاشتراك في القضايا العامة ونظم التعليم والاقتصاد والنشاط الثقـــافي. ويكـــاد يمثل المجتمع المصري بكل فئاته في القاهرة الكبرى، حيث اســـتطاعت الفئـــات الاجتماعية النازحة من ريف مصر وصعيدها احتلال مساحات داخـــل وخـــارج القاهرة واصبح من المعتاد أن توجد فئات اجتماعية متباعدة من حيث المســـتوى الاقتصادي والاجتماعي في أماكن بعينها كالجامعات والشركات وغير ذلك مـــن مؤسسات المجتمع.

توصيف العينة:

أ- من حيث النوع:

شملت عينة الدراسة ٥٢٠ مفردة (٢٦٢ ذكور - ٣٥٨ إنـــاث) وكـــانت نســـبة الذكور إلى الإناث ٥٠،٤٪ للذكور، ٤٩،٦ للإناث.

- أما من حيث المنطقة السكنية فقد كانت العينة موزعة على النحو التالي

ريف: ١٢٥ مفردة بنسبة ٢٤٪ من أجمالي العينة وكانوا من الطلبة الذين يدرسون في جامعة القاهرة.
حضر شعبي: ٢٢٦ مفردة بنسبة ٤٣،٥٪
حضر راقي: ١٦٩ مفردة بنسبة ٣٢،٥٪
- أما من حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي فقد شملت العينة المستويات التالية:
مستوى منخفض: ١٦٦ مفردة بنسبة ٣١،٩٪
مستوى متوسط: ١٤٨ مفردة بنسبة ٢٨،٥٪
مستوى مرتفع: ٢٠٦ مفردة بنسبة ٣٩،٦٪
وقد انقسمت العينة من حيث الفترة الزمنية إلى مرحلتين
المرحلة الأولى وشملت ٣٢٠ مفردة
المرحلة الثانية وشملت ٢٠٠ مفردة
انظر جداول "أ،ب،ج"
توصيف عينة الدراسة
أ- من حيث النوع

جدول (أ) النوع

العينة	١٩٩٢		١١٩٩٤		جملة	
النوع	ك	٪	ك	٪	ك	٪
ذكور	١٤٠	٤٤	١٢٢	٦١	٢٦٢	٪٥٠،٤
إناث	١٨٠	٥٦	٧٨	٣٩	٢٥٨	٪٤٩،٦
جملة	٣٢٠	١٠٠	٢٠٠	١٠٠	٥٢٠	٪١٠٠

وصف عينة الدراسة
ب- من حيث المنطقة السكنية:

جدول (ب) المنطقة السكنية

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جمله	
السكن	ك	٪	ك	٪	ك	٪
ريف	-		١٢٥		١٢٥	٪٢٤
حضر شعبي	١٧٦		٥٠		٢٢٦	٪٢٣،٥
حضر راقي	١٤٤		٢٥		١٦٩	٪٣٢،٥
جملة			٢٠٠		٥٢٠	٪١٠٠

توصيف عينة الدراسة من حيث:-

ج- المستوى الاقتصادي:

(ج) المستوى الاجتماعي والاقتصادي

العينة	١٩٩٢		١٩٩٢		جمله	
المستوى الاقتصادي	ك	٪	ك	٪	ك	٪
مستوى منخفض	١٣٨	٤٣،١	٢٨	١٤	١٦٦	٣١،٩
مستوى متوسط	٧٤	٢٣،١	٧٤	٣٧	١٤٨	٢٨،٥
مستوى مرتفع	١٠٨	٣٣،٨	٩٨	٤٩	٢٠٦	٣٩،٦
جملة	٣٢٠	١٠٠	٢٠٠	١٠٠	٥٢٠	٪١٠٠

ثانيا: نتائج الدراسة:

وفقا لهدف الدراسة وهو تحديد الآثار الاجتماعية للدراما الأجنبية في إطار الوسط الاتصالى عموما يتم عرض النتائج بحيث تبدأ بعموم التعرض لوسائل الأعلام مقروءة ومسموعة ومرئية.

أ- التعرض للصحف:

من قراءة البيانات في جدول رقم (١) يتضح أن قراءة الصحف في عينة عام ١٩٩٢ يزيد على قراءة لصحف عام ١٩٩٤وقد يرجع هذا إلى دخول وسائل تكنولوجية جديدة كاستقبال القنوات الفضائية واتساع مساحة المسموع المرئي في مصر، وان كان التعرض للصحف يشكل سلوكا شائعا في عينتي الدراسة على مدى زمني سنتين، وتشير بيانات هذه الجزئية إلى أن الذكور اكثر تعرضا للصحف من الإناث بفارق ذي دلالة (٨٠،٣٪ للذكور، ٧١،٨٪ للإناث)، كما أن القراءة في الأوساط الأقل من ناحية المستوى الاقتصادي أعلى من مثيلاتها في المستويات العليا والمتوسطة مرتفع ١٣،٥٪، متوسط: ٧٤٪ منخفض ٤٩،٥٪).

ب- أسباب قراءة الصحف:

يبين جدول رقم (٢) أسباب قراءة الصحف اليومية في كل من عينة ١٩٩٢، ١٩٩٤ ويتضح من الجدول عدة دلالات هامة أولها أن التعرض للصحافة في مجمله يعود لأسباب تتعلق بالترفيه ومعرفة الأخبار ومتابعة ما يدور في العالم والبيئة المحلية وهى نسبة عالية بين العينتين مما يدل على أن هذا السبب أساس في التعرض للصحافة اليومية، ويأتي بعد ذلك سبب المعرفة الثقافة

وتصل نسبته إلى (١٨،٨٪) يليه دافع التسلية وقضاء وقت الفراغ بنسبة (١٥،١) ثم أخيرا النقود (١،٦٪)

جدول رقم (١)

يبين التعرض للصحف	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		إجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يقرأ الصحف	٢٩٧	٥٧،١	١٥٤	٢٩،٦	٤٥١	٨٦،٧
لا يقرأ الصحف	٢٣	٤،٤	٤٦	٨،٨	٦٩	١٣،٣
	٣٢٠	٦١،٦	٢٠٠	٣٨،٤	٥٢٠	١٠٠٪

جدول رقم (٢) يبين أسباب قراءة الصحف
في العينتين

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		أجمالي	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
لمعرفة الأخبار والعالم من حولي	١٨٠		١١١		٢٩١	٦٤،٥٪
	٤٥		٤٠		٨٥	١٨،٨٪
للثقافة والمعرفة	٦٥		٣		٦٨	١٥،١
للتسلية	٧		-		٧	١،٦
عاده يوميه						
جملة	٢٩٧		١٥٤		٤٥١	مفردة

وفيما يتعلق بمتغيرات النوع اتضح أن دوافع قراءة الصحف للمعرفة والإحاطة بالأمور الجارية أعلى في حالة الذكور منها إلى الإناث وكانت دوافع التسلية والتعود بنسب أعلى في حالة الإناث وذوى المستويات الاقتصادية المرتفعة.

ج- الصحف التي يقرؤها المبحوثون:

يتضح من تحليل جدول رقم (٣) أن صحيفة الأهرام تعد أول الصحف التي يتعرض لها المبحوثون باتساق مع المدة الزمنية بين أجراء البحث عام ١٩٩٤،١٦٩٢ وذلك بنسبة تفضيل وصلت إلى ٤٠،٠٣٪ من أجمالي من يقرأون الصحف في العينة تليها صحيفة الأخبار بنسبة ٣١،٣٪ ثم الجمهورية ١٢٪ والمساء ١،٧٪ ثم صحف الوفد بنسبة ١٢،٩٪ تليها الشعب بنسبة ٧،٨٪.

د- حجم التعرض والاستغراق في قراءة الصحف:

يبين جدول رقم (٤) نسب استغراق المبحوثين في قراءة الصحف اليومية حيث كانت نسبة من يقرأون الجريدة بالكامل ٣٥،٩٪ من أجمالي العينة وكانت نسبة من يقرأون العناوين الأساسية بنسبة ٤٨،٨٪ ولعل هذه النتيجة تشير إلى ضيق الوقت المسموح به في قراءة الصحف في ظل وسائل اتصال عديدة كالتلفزيون والإذاعة والسينما والبث المباشر. ولم تكن للعوامل الديموجرافيه دلالات خاصة بما يشير إلى أن أنماط التعرض للصحافة قد تأثرت بوسائل الاتصال الأخرى بشكل ما.

(ج) الصحف التي يتعرض لها المبحوثون

جدول (٣)

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		إجمالي	
الصحف	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الأهرام	١٥١		٦٠		٢١١	٤٠،٠٣
الأخبار	٧٥		٩٠		١٦٥	٣١،٣
الجمهورية	٢٣		٤٠		٦٣	١١،٩٥
المساء	٩		–		٩	١،٧١
الوفد	٣٥		٣٣		٦٨	١٢،٩
صحف أخرى الشعب	٦		٣٥		٣٥	٢،٠٩
جملة	٢٩٣		٢٥٨		٥٥١	٪١٠٠

جدول رقم (٤)

	١٩٩٢		١٩٩٤		أجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يقرأ بالكامل	١٠٠		٦٢		١٦٢	٣٥،٩
يقرأ اغلب ما فيها	–		٦٩		٦٩	١٥،٣
العناوين الأساسية	١٩٧		٢٣		٢٢٠	٤٨،٨
جملة	٢٩٧		١٥٤		٤٥١	٪١٠٠

جدول رقم (٥) يبين توزيع
عينتي الدراسة وفقا لقراءة الكتب

	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		أجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يقرأ الكتب	٢٠٥		١٨٣	٩١،٥	٣٨٨	٧٤،٦٪
لا يقرأ الكتب	١١٥		١٧	٨،٥	١٣٢	٢٥،٤٪
جملة	٣٢٠		٢٠٠		٥٢٠	١٠٠٪

جدول (٦) يبين أسباب
عدم قراءة الكتب في العينة

أسباب عدم القراءة	١٩٩٢		١٩٩٤		أجمالي	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
امي	٢٨		-		٢٨	٢١،٢٪
ضيق الوقت	٥٠		١		٥١	٣٨،٦٪
الملل	٣٠		٣-		٣٣	٢٥٪
ارتفاع سعر الكتب	٧		١٣		٢٠	١٥،٢٪
جملة	١١٥		١٧		١٣٢	١٠٠٪

(هـ) قراءة الإعلانات في الصحف:

يتعين من التحليل أن قراءة الإعلانات في الصحف تصل إلى نسبة ٤٥،٥٪ من جملة من يقرأ الصحف (٤٥١ مفردة) بينما اكثر من النصف ٥٤،٥٪ لا يقرأونها، وقد تراوحت أسباب قراءة الإعلانات بين مغرفة معلومات عن العمل والسلع والخدمات (نسبة ٥٤،٤٪)، والإطلاع على الإعلانات لمجرد التسلية وتمضية الوقت (بنسبة ٤٥،٦٪)، ولم يكن لمتغيرات السن والنوع والإقامة تأثير يذكر على أسباب تعرض المبحوثين لإعلانات الصحف.

ثانيا: قراءة الكتب

(أ) التعرض لكتب

يبين جدول رقم (٥) نسب الذين يقرأون الكتب والذين لا يقرأونها بحيث كانت نسبة من يقرأون الكتب ٧٤،٦٪ في جملة العينتين، وكانت عينة عام ١٩٩٤ اكثر إقبالا على قراءة الكتب من عينة ١٩٩٤ إلى ٩١،٥٪ بينما كانت نسبة من يقرأون الكتب في عينة ١٩٩٢ = ٦٤،١٪ ولعل هذا الفارق يرد إلى أن

عينة ١٩٩٤ كانت من شباب الجامعة في حين شملت عينة ١٩٩٢ شباب من خارج الجامعة.

وتراوحت أسباب عدم قراءة الكتب بين كون المبحوث أميا بنسبة ٢١،٢٪ من جملة من لا يقرأون وضيق الوقت بنسبة ٣٨،٦٪ والملل والتعب من القراءة بنسبة ٢٥٪ وارتفاع أسعار الكتب منه ١٥،٢٪ من جملة من لايقرأون.

(ب) أسباب ودوافع قراءة الكتب في العينة:

تبين من تحليل نتائج جدول (٧) تمثلت الأسباب الرئيسية لقراءة الكتب في كل من العينتين (٩٤/٩٢) على النحو التالي:

- معرفة التراث والثقافة بنسبة ٤٦،٦٪ من أجمالي العينتين وقراءة الكتب لكونها هواية شخصية لدى المبحوث (٤٤،١٪) من أجمالي العينتين، ثم يلي ولقراءة الكتب للتسلية والاستمتاع بنسبة ٩،٣٪ من أجمالي العينتين.

ولعل هذه النسب تشير إلى أن المبحوثين يقرأون الكتب لأسباب ودوافع تتعلق بالتثقيف اكثر من كونها دوافع تتعلق بالترفيه، وربما يشير ذلك إلى أهمية الكتب بوصفها مصدرا هاما للمعرفة والثقافة.

- لعل اختلاف النسب الخاصة بأسباب القراءة بين العينتين (٩٤،٩٢) يرجع أساسا إلى طبيعة العينتين، فالأولى التي سحبت في عام ١٩٩٢ تضمنت طلبة وفئات أخرى، في حين سحبت العينة الثانية عام ١٩٩٤ لتضم الطلبة فقط.

فقد جاء سبب قراءة الكتب بوصفها هواية شخصية بنسبة (٤٨،٦٪) من أجمالي العينة التي سحبت في عام ١٩٩٤ والتي تشمل طلابا فقط، في حين بلغ هذا السبب ٤٠٪ فقط من أجمالي لعينة الأولى (٩٢) التي تشمل الطلاب وفئات أخرى.

جدول (٧) يبين توزيع العينة وفقا
لأسباب قراءة الكتب

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		أجمالي	
أسباب القراءة	ك	٪	ك	٪	ك	٪
لمعرفة التراث والثقافة	١٠٥	٥١،٢	٧٦	٤١،٥	١٨١	٤٦،٦
هواية شخصية	٨،٢	٤٠	٨٩	٤٨،٦	١٧١	٤٤،١
لمعرفة الجديد التسلية	١٨	٨،٨	١٨	٩،٨	٣٦	٩،٣
جملة	٢٠٥	١١٥	١٧	١٧	٣٨٨	١٠٠٪

(ج) عدد الكتب التى يقرأها المبحوثون في النسبة:

يتبين من تحليل بيانات جدول (٨) التي تتعلق بعدد الكتب التي يقرأها المبحـــوث في السنه على النحو التالي:

بلغت نسبة المبحوثين الذين يقرأون خمسة كتب في السنه (٢٩،٩)٪ من أجمالي المبحوثين في العينة الذين يقرأون عددا من الكتب يتراوح ما بين خمسة وعشرة كتب في السنه (٣٠،٣٪) من أجمالي العينتين، أمـــا المبحوثـــون الذيـــن يقرأون عددا من الكتب يتراوح ما بين خمسة وعشرة كتب في الســـنه (٣٠،٣٪) من أجمالي العينتين، أما المبحوثون الذين يقرأون عددا من الكتب يتراوح ما بين عشرة وعشرين كتابا في السنه فقد بلغت نسبتهم (٢٠٪) من أجمالي العينة.

وجاء في ذيل القائمة المبحوثون الذين يقرأون عددا من الكتب يزيد عن عشرين كتابا في السنه بنسبه (١٩،٨٪) من أجمالي عدد العينة.
كما يتبين من الجدول اختلافات بين العينتين (٩٤،٩٢)، فقد بلغت نسبة المبحوثين الذين يقرأون عددا من الكتب يزيد عن عشرين كتابا فـــي الســـنه (٢٣٪) مـــن أجمالي العينة عام ٩٤، بينما بلغت هذه لنسبة (١٧،١٪) من أجمالي العينـــة ٩٢، ويمكن تفسير ذلك أيضا في ضوء متغير التعليم حيث تضم عينة عام ٩٤ طلابـــا فقط، في حين تضم عينة عام ٩٢ فئات أخرى وان كان معظمها من الطلاب.

جدول (٨)
يبين توزيع عينة الدراسة وفقا لعدد الكتب
التي يقرأها المبحوث في السنة

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		إجمالي	
أسباب القراءة	ك	٪	ك	٪	ك	٪
امى	٧٠	٣٤،١	٤٦	٢٥	١١٦	٢٩،٩
ضيق الوقت	٦٠	٢٩،٣	٥٧	٣١،١	١١٧	٣٠،٣
الملل	٤٠	١٩،٥	٣٨	٢٠،٨	٧٨	٢٠
ارتفاع سعر الكتب	٣٥	١٧،١	٤٢	٢٣	٧٧	١٩،٨
جملة	٢٠٥	٪١٠٠	١٨٣	٪١٠٠	٣٨٨	٪١٠٠

(د) عدد الساعات المخصصة للقراءة يوميا في الدراسة:

تبين من تحليل نتائج جدول (٩) أن نسبة المبحوثين الذين يخصصـــــون للقراءة حددا من الساعات اقل من ساعتين في العينة الكلية ٣٦،٩٪ من أجمـــالي

العينة (عينة ٩٢، عينة ٩٤) بينما بلغت نسبة المبحوثين الذين يخصصون عـــددا من الساعات يتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات للقراءة عددا من الســـاعات يتراوح ما بين أربع وست ساعات ٢٠،٩٪ من أجمالي العينة الكلية، فـــي حيـــن بلغت نسبة المبحوثين الذين يخصصون للقراءة عددا من الساعات يزيد عن ست ساعات يوميا ١٢،١٪ من أجمالي العينة الكلية.

وتشير هذه النتائج إلى انخفاض عدد الساعات التي يخصصها المبحوثين يوميـــا لقراءة الكتب.

وبنظرة أخرى على النتائج التي يقدمها جدول (٩) يتضح ارتفاع نســـبة المبحوثين الذين يخصصون للقراءة عددا من الساعات يزيد عن ســـت ســـاعات يوميا بين المبحوثين في عينة عام ٩٤ لتصل إلى (١٩،٢٪) بينما نجـــد النســـبة المقابلة لها (٥،٤٪) بين المبحوثين في عينة عام ١٩٩٢.

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية متغير التعليم الذي يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوءه، حيث تضم عينة عام ٩٢ فئات أخرى غير الطلاب، بينما تضم عينة عام ١٩٩٤ طلابا فقط، وبالطبع فالطلاب يخصصون للقراءة وقتـــا اكـــبر مـــن غيرهم من الفئات في المجتمع.

جدول (٩) يبين عدد الساعات
المخصصة للقراءة يوميا في عينة الدراسة

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		أجمالي	
عدد الساعات	ك	٪	ك	٪	ك	٪
إقل من ساعتين	٩٤	٤٥،٩	٤٩	٢٦،٨	١٤٣	٣٦،٩
٢-٤ ساعات	٦٣	٣٠،٧	٥٥	٣٠،١	١١٨	٣٠،٤
٤-٦ ساعات	٣٧	١٨	٤٤	٢٤	٨١	٢٠،٩
٦ ساعات فاكثر	١١	٥،٤	٣٥	١٩،١	٤٧	١٢،١
جملة	٢٠٥	١٠٠	١٨٣	١٠٠٪	٣٨٨	١٠٠٪

ثالثا: الاستماع للإذاعة:

يتبين من تحليل جدول رقم (١٠) إلى ارتفاع نسبة الاستماع إلى الإذاعة في العينة الكلية لتصل إلى (٨٩٪) من إجمالي المبحوثين.

وعند مقارنة العينتين نجد فروقا في نسبة عدم الاستماع إلـــى الإذاعـــة، حيث تصل هذه النسبة في عينة ١٩٩٤ إلى (١٢٪) في حين تنخفض هذه النسبة إلى (١٠،٣٪) من إجمالي العينة التي سحبت عام ١٩٩٢.

وتشير نتائج الجدول رقم (١١) إلى أسباب عدم الاستماع إلى الإذاعة في العينة الكلية، حيث جاء عدم الفراغ وضيق الوقت على راس قائمة الأسباب بنسبة (٣١،٥٪) من إجمالي العينة الكلية، وتفضيل التليفزيون كوسيلة اتصال عن الإذاعة بنسبة ٣١،٥٪ من أجمالي العينة، ويأتي الاستماع إلى الكاسيت كأحد أسباب الأعراض عن الاستماع للإذاعة بنسبة (١٧،٥٪) من إجمالي العينة.

وتشير هذه النتائج إلى المنافسة الشديدة التي تتعرض لها الإذاعة من قبل التليفزيون والشرائط الصوتي (الكاسيت).

جدول (١٠) توزيع عينة الدراسة
وفقا للاستماع للإذاعة

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		إجمالي	
الاستماع للإذاعة	ك	٪	ك	٪	ك	٪
نعم يستمع	٢٨٧	٨٩،٧	١٧٦	٨٨	٤٦٣	٨٩
لا يستمع	٣٣	٣٣	١٠،٣	١٢	٥٧	١١
جملة	٣٢٠	٪١٠٠	٢٠٠	٪١٠٠	٥٢٠	٪١٠٠

جدول (١١) يبين أسباب
عدم الاستماع للإذاعة في العينة

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		إجمالي	
أسباب عدم الاستماع	ك	٪	ك	٪	ك	٪
لضيق الوقت	١٣		٥		١٨	٣١،٥
لأني أشاهد التليفزيون	١١		٧		١٨	٣١،٥
اسمع الكاسيت	٦		٤		١٠	١٧،٥
أنشطة أخرى	٣		٨		١١	١٩،٥
جملة	٣٣		٢٤		٥٧	

وتشير نتائج جدول رقم (١٢) إلى أسباب الاستماع إلى الإذاعة في العينة الكلية التي تشمل عينة عام ٩٢، وعينة عام ٩٤، وقد جاء تحصيل المعرفة والثقافة على راس الأسباب التي تدفع المبحوثين للاستماع إلى الإذاعة وذلك بنسبة (٣٥،٦٪) من أجمالي المبحوثين في العينة الكلية، ويحتل متابعة الأحداث الجارية نسبة ٢٦،٣٪ من أجمالي العينة.

ولعل هذه النتائج تشير إلى دور الإذاعة في تثقيف جمهور المستمعين وجعله على اتصال بالأحداث الجارية.

كما جاءت التسلية لتحتل (٣٤،١٪) بوصفها سببا من أسباب الاستماع إلى الإذاعة.

ولا تشير نتائج الجدول إلي فروق ذات دلالة بين المبحوثين في كلا العينتين فيما يتعلق بأسباب الاستماع للإذاعة.

– وتشير نتائج جدول رقم (١٣) إلى عدد الساعات التي يخصصها المبحوثون يوميا للاستماع إلى الإذاعة.

فقد بلغت نسبة المبحوثين الذين يخصصون اكثر من ثلاث ساعات يوميا للاستماع للإذاعة ساعة تقريبا في اليوم (٢٨،١٪) من أجمالي العينة الكلية، ونسبة من يخصصون ساعتين للاستماع للإذاعة يوميا (٢١،٦٪)، بينما بلغت نسبة من يخصصون ثلاث ساعات يوميا للاستماع للاذاعة (١٩،٤٪) من إجمالي العينة كما يشير الجدول إلى وجود فروق ذات دلالة بين المبحوثين في العينتين الفرعيتين.

فبينما بلغت نسبة المبحوثين الذين يخصصون للاستماع ثلاث ساعات يوميا (١٠،٥٪) من إجمالي عينة عام ٩٢، ترتفع هذه النسبة بين المبحوثين عن عينة عام ٩٤ إلى (٣٤،٢٪)، ويتكرر هذا النموذج مرة أخرى، فبينما يخصص المبحوثون في عينة عام ٩٤ اكثر من ثلاث ساعات يوميا للاستماع للإذاعة بنسبة (٣٣،٥٪) من أجمالي العينة، تنخفض هذه النسبة لتصل إلى ٢٩،٣٪ ، بين المبحوثين في عينة عام ٩٢

جدول (١٢) يبين أسباب
الاستماع للإذاعة في عينتي الدراسة

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		إجمالي	
أسباب استماع	ك	٪	ك	٪	ك	٪
لمتابعة الأحداث الجارية	٧٤	٢٥،٨	٤٨	٢٧،٣	١٢٢	٢٦،٣
للتسلية والترويح عن النفس	٩٧	٣٣،٨	٦١	٣٤،٧	١٥٨	٣٤،١
لتحصيل المعرفة والثقافة	٩٨	٣٤،١	٦٧	٣٨	١٦٥	٣٥،٦
أخرى (هروب من التليفزيون)	١٨	٦،٣	–	–	١٨	٤
جملة	٢٨٧	٪١٠٠	١٧٦		٤٦٣	٪١٠٠

جدول (١٣) يبين توزيع عينتي الدراسة وفقا لعدد ساعات
الاستماع للراديو

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		أجمالي	
عدد الساعات	ك	٪	ك	٪	ك	٪
ساعة تقريبا	١٠٠	٣٤،٨	٣٠	١٧	١٣٠	٢٨،١
ساعتان	٧٣	٢٥،٤	٢٧	١٥،٣	١٠٠	٢١،٦
ثلاث ساعات	٣٠	١٠،٥	٦٠	٣٤،٢	٩٠	١٩،٤
اكثر من ثلاث ساعات	٨٤	٢٩،٣	٥٩	٣٣،٥	١٤٣	٣٠،٩
جملة	٢٨٧	٪١٠٠	١٧٦	٪١٠٠	٤٦٣	٪١٠٠

تابع / ثالثا:

تشير نتائج جدول رقم (١٤) إلى نمط المواد التي يستمع اليها المبحوثون في العينة الكلية، حيث يأتي الاستماع إلى الموسيقى والغناء على راس القائمة بنسبة (٣٢،٣٪) من أجمالي المبحوثين في العينة، ويلي ذلك الاستماع للقران الكريم والبرامج الدينية بنسبة (٣٠،٩٪) من إجمالي العينة الكلية، ثم الاستماع للأخبار البرامج السياسية نسبة (١٩،٦٪) من إجمالي العينة الكلية، ثم الاستماع للمسلسلات والدراما بنسبة (١٢،٧٪) من إجمالي العينة الكلية.

وتشير هذه النتائج إلى غلبة الطابع الترفيهي على المواد التي يستمع أليها المبحوثون بالإذاعة وذلك في كلا العينتين.

جدول (١٤) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا للمواد التي يستمعون إليها في الإذاعة

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		أجمالي	
البرامج	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الأخبار والبرامج السياسية	٦٠		٨٨		١٤٨	١٩٠٦
القران والبرامج الدينية	٩٠		١٤٤		٢٣٤	٣٠،٩
الموسيقى والغناء	١٥٦		٨٨		٢٤٤	٣٢،٣
المسلسلات والدراما	٤٢		٥٤		٩٦	١٢،٧
أخرى تذكر	٣٣		١		٣٤	٤
جملة	٣٨١		٣٧٥		٧٥٦	

رابعا: السينما (أ) الذهاب للسينما

تشير بيانات جدول رقم (١٥) إلى توزيع عينة الدراسة الكلية وفقا لمدى الذهاب إلى السينما، حيث تنخفض بصفة عام نسبة ذهاب المبحوثين إلى السينما لتصل إلى (٢٨،١٪) من إجمالي المبحوثين في العينة، وتصل بالتالي نسبة عدم التردد على دور السينما إلى (٧١،٩٪) من إجمالي المبحوثين في العينة الكلية.

وتفسر بيانات جدول رقم (١٦) العزوف عن الذهاب إلى دور السينما حيث يرجع ذلك إلى هبوط مستوى الافلام السينمائية من وجهة نظر المبحوثين في العينة الكلية بنسبة (٣٠،٥٪)، بينما كان سوء أخلاق جمهور دور السينما والتصرفات غير اللائقة من جانبهم السبب الثاني في قائمة أسباب عدم الذهاب للسينما بنسبة (٢٣،٥٪) من إجمالي المبحوثين في العينة الكلية.

ثم يأتي تفضيل التليفزيون والفيديو والاكتفاء بالأفلام المعروضة في كل منهما سببا من ضمن أسباب عدم التردد على دور السينما وذلك بنسبة (٣١،٢٪) من أجمالي المبحوثين بالعينة.

ولعل ذلك نشير إلى المنافسة التي تتعرض لها السينما من جانب التليفزيون والفيديو، وتأثر السينما بمشاهدة المبحوثين لكل من هاتين الوسيلتين.

جدول رقم (١٥) يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا لمدى الذهاب إلى السينما

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
السينما	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يذهب إلى السينما	٩٦	٣٠	٥٠	٢٥	١٤٦	٢٨،١
لا يذهب إلى السينما	٢٢٤	٧٠	١٥٠	٧٥	٣٧٤	٧١،٩
جملة	٣٢٠	١٠٠٪	٢٠٠	١٠٠	٥٢٠	١٠٠٪

جدول رقم (١٦) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا لأسباب عدم الذهاب للسينما

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
هبوط مستوى الأفلام	٧٤		٤٠		١١٤	٣٠،٥
سوء أخلاق الجمهور	٥٢		٣٦		٨٨	٢٣،٥
الاكتفاء بالتليفزيون	٣٥		٣٤		٦٩	١٨،٤
الاكتفاء بالفيديو	٣٨		١٠		٤٨	١٢،٨
سوء حالة دور العرض	٢٥		٣٠		٥٥	١٤،٨
	٢٢٤		١٥٠		٣٧٤	

(ب) دوافع الذهاب للسينما:

وعلى الرغم من انخفاض نسبة المترددين على دور السينما في العينة الكلية للدراسة ألا أن أسباب التردد على السينما بالنسبة للمبحوثين الذين يترددون على دور السينما كانت على النحو التالي:

التسلية والترفيه بنسبة ٤٣،٨٪ من إجمالي المبحوثين الذين يترددون على دور السينما في العينة الكلية، ثم الأفلام الجديدة بنسبة ٣٠،٨٪، يلي ذلك قضاء وقت الفراغ بنسبة (١٦،٤٪)، وتشير هذه النتائج إلى نظرة المبحوثين للسينما بوصفها وسيلة ترفيهية أساسا وهو ما تؤكده بيانات الجدول.

وتشير بيانات الجدول رقم (١٧) إلى عدد المرات الخاصة بتردد المبحوثين على دور السينما وذلك فيما يتعلق بالمبحوثين الذين يترددون على دور السينما في العينة الكلية.

وقد بلغت نسبة المبحوثين الذين يترددون على دور السينما مرة في الأسبوع (١٤،٤٪) من إجمالي العينة الكلية، ومرة كل أسبوعين (٢٨،٨٪)، ومرة كل شهر (٢١،٩٪)، في حين ترتفع نسبة من يترددون على السينما مرة واحدة كل سنه (٣٤،٩٪) من أجمالي نسبة المبحوثين في العينة الكلية.

وتشير النتائج بذلك إلى انه بجانب انخفاض نسبة التردد على السينما من قبل المبحوثين في العينة لكلية، فان أيضا هذا التردد لا يتعدى مرات قليلة للغاية، ولعل هذه النتائج تشير إلى تراجع السينما كوسيلة اتصال في مقابل غيرها من الوسائل كالتليفزيون والراديو.

جدول رقم (١٦) يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا لأسباب الذهاب إلى السينما

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
للتسلية والترويح	٤٠		٢٤		٦٤	٤٣،٨
لرؤية الأفلام الجديدة	٢٥		٢٠		٤٥	٣٠،٨
لقضاء وقت الفراغ	٢٤		–		٢٤	١٦،٤
للإطلاع على السينما العالمية	٧		٦		١٣	٩
جملة	٩٦		٥٠		١٤٦	١٠٠٪

جدول رقم (١٧) يبين توزيع عينتي
الدراسة وعدد مرات الذهاب إلى السينما

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
عدد مرات الذهاب بالسينما	ك	٪	ك	٪	ك	٪
مرة في الأسبوع	١٤		٧		٢١	١٤،٤
مرة كل أسبوعين	٣٩		٣		٤٢	٢٨،٨
مرة كل شهر	٧		٢٥		٣٢	٢١،٩
أخرى (مرة كل سنه)	٣٦		١٥		٥١	٣٤،٩
جملة	٩٦		٥٠		١٤٦	١٠٠

(ج) حجم التعرض الأفلام السينما:

يشير جدول رقم (١٧) إلى عدة نتائج فيما يتصل بعدد مرات الذهاب إلى دور السينما منها: إن من يذهبون للسينما في العينتين (٩٢ – ٩٤) عددهم قليل مقارنة بالتعرض للوسائل الأخرى، وان من يذهبون مرة في الأسبوع تصل نسبتهم إلى ١٤،٤٪ من إجمالي عينتي الدراسة ويكاد يتفق المبحوثون على طول المدى الزمني في ضالة عدد مرات ارتياد دور السينما أسبوعيا، وبينما النتائج تشير إلى زيادة عدد المترددين على دور السينما مرتين في الشهر ليصل إلى نسبة ٢٨،٨٪ في العينة الكلية بينما يرتفع في عينة ١٩٩٢ مما يساعد على طرح سؤال جوهري مفاده هل يمكن أن يكلون حيازة الدش قد أثرت على عادة الذهاب إلى السينما؟ ويبدو أن عادة الذهاب إلى السينما قد تراجعت بالفعل فقد وصلت نسبة من يذهبون للسينما مرة في السنه إلى ٣٤،٩٪ من إجمالي عينة الدراسة (٩٢ – ٩٤)، ولعل البحوث المستقبلية تتبأ صحة هذه النتائج التي تشير بوضوح إلى تراجع عادة اجتماعية استقرت لزمن طويل وهى الذهاب للسينما، فقد تطورت تكنولوجيا الاتصال لتقدم بدائل اتصالية عديدة أتاحت للجماعات الاجتماعية تكوين بيئة خاصة من وسائل الاتصال المتكاملة أو ما يسمى MULTI MEDIA.

جدول رقم (١٨) يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا لنوع الأفلام التي يشاهدونها في السينما

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
الأفلام	ك	٪	ك	٪	ك	٪
عاطفية	١٨		٣٥		٥٣	٢٨،٢
اجتماعية	٣٢		٣٠		٦٢	٣٣
سياسية	٢٦		٢٢		٤٨	٢٥،٥
بوليسية	٢٠		٥		٢٥	١٣،٣
أخرى	–		–		–	–
جملة	٩٦		٩٢		١٨٨	٪١٠٠

جدول رقم (١٩) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا لمشاهدة إعلانات السينما

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
مشاهدة إعلانات السينما	ك	٪	ك	٪	ك	٪
نعم	٣٠		٣٥		٦٥	٤٤،٥
لا	٦٦		١٥		٨١	٥٥،٥
جملة	٩٦		٥٠٠		١٤٦	٪١٠٠

تابع: نوعية الأفلام السينمائية:

تشير بيانات جدول رقم (١٨) إلى نوعية الأفلام التي يشاهدها المبحوثون في العينة الكلية، وقد بلغت نسبة الأفلام من النوع العاطفي (٢٨،٢٪) من إجمالي المبحوثين الذين يترددون على السينما في العينة الكلية، بينما بلغت الأفلام الاجتماعية أعلى نسبة بمقدار (٣٣٪)، وتلى ذلك الأفلام السياسية بنسبة (٢٥،٥٪) من إجمالي المبحوثين الذين يترددون على السينما في العينة الكلية.

بينما تشير بيانات جدول رقم (١٩) توزيع المبحوثين الذين يترددون على دور السينما وفقا لمشاهدة الإعلانات بالسينما، حيث تصل هذه النسبة إلى (٤٤،٥٪) من إجمالي المبحوثين في العينة الكلية، بينما يعرض (٥٥،٥٪) من المبحوثين الذين يترددون على دور السينما عن مشاهدة الإعلانات بها.

ونخلص من هذه النتائج إلى أن الإعلانات التي تعرض بدور السينما لا تجذب معظم رواد دور السينما، ولعل ذلك يحتاج إلى دراسة للتعرف على أسباب هذا الأعراض من جانب الجمهور.

جدول رقم (٢٠) يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا لمشاهدة الفيديو

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يشاهد الفيديو	٢٠٠	٦٢،٥	٥٨	٢٩	٢٥٨	٤٩،٦
لا يشاهد الفيديو	١٢٠	٣٧،٥	١٤٢	٧١	٢٦٢	٥٠،٤
جملة	٣٢٠	١٠٠	٢٠٠	١٠٠	٥٢٠	١٠٠

جدول رقم (٢١) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا لاسباب مشاهدة الفيديو

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
للتسلية والترفيه	١٦٣		١٨		١٨١	٧١،٨
لمشاهدة الأفلام الجديدة	١١		٣٣		٤٤	١٧،٥
للتثقيف الذاتي	١٤		٧		٢١	٨،١
يغني عن الذهاب للسينما	١٢		–		١٢	٤،٦
جملة	٢٠٠		٥٨		٢٥٨	١٠٠

خامسا: التعرض للفيديو: VCR VIEWING

أ- التعرض:

أسفرت نتائج تحليل البيانات فيما يتعلق بتعرض عينة الدراسة (٩٢ - ٩٤) للمواد والأفلام من خلال الفيديو عن تساوى نسب التعرض وعدم التعرض للفيديو تقريبا في العينة ككل، وعلى مستوى عينتي الدراسة، اتضح أن التعرض للفيديو في عينة ١٩٩٢ يزيد بفارق ٣،٥٪ عن التعرض في عينة ١٩٩٤، ومع أن الفارق قد لا يكون ذي دلالة إحصائية ألا أن الملاحظ انخفاض تدريجي في لا تعرض لبعض الوسائل، مما يطرح السؤال مرة أخرى هل تعد تكنولوجيا الاتصال الحديثة أحد مسميات انخفاض التعرض للوسائل التقليدية؟ جدول (٢٠)

(ب) أسباب التعرض: VIEWING MOTIVES

وفيما يتصل بأسباب التعرض للفيديو (جدول: ٢١) تبين أن الأسباب توزعت على:

- التسلية والترفيه ٧١،٨٪ من إجمالي العينة.
- مشاهدة أفلام جديدة ١٧،٥٪ من إجمالي العينة.
- للتثقيف الذاتي ٨،١٪ من إجمالي العينة.

- يغنى عن الذهاب إلى السينما ٤،٦٪ من إجمالي العينة.

أما على مستوى عينتيْ الدراسة فقد كانت أسباب المشاهدة بدوافع الترفيه في عينة ٩٢ اكبر منها في عينة ١٩٩٤م حيث وصلت النسبة في الحالة الأولى إلى ٨١،٥٪ من إجمالي عينة ٩٢، في حين كانت النسبة ٣١،٢٪ في عينة ١٩٩٤م.

بينما ارتفعت نسبة المشاهدة بفرض معرفة الأفلام الجديدة في عينة ١٩٩٤ ووصلت إلى ٥٦،٨٪ من إجمالي العينة، كانت النسبة ذاتها في العينة الأولى ٥،٥٪ وهو فارق إحصائي ذي دلالة عند مستوى ثقة ٠،٠٠٥ وبشكل عام يعد الفيديو وسيلة شخصية متاحة لنصف العينة عموما ويمكن أن نشكل استخداماته زيادة في التعرض للمواد السينمائية التى قد لا يتيسر للكثير التعرض لها في وقت عرضها.

جدول رقم (٢٢)

يبين توزيع عينتي الحراسة وفقا لنوع المضمون

الذي يشاهدونه من جهاز الفيديو

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
المضمون	ك	٪	ك	٪	ك	٪
اجتماعي	٥٩		٢٢		٨١	٢٠
عاطفي	٣١		٢٠		٥١	١٧،٦
بوليسي	٥٧		٢٦		٨٣	٢٨،٧
أخرى	٣٥		١٨		٥٣	١٨،٣
	١٨		٣		٢١	٧،٣
جملة	٢٠٠		٨٩		٢٨٩	١٠٠٪

جدول رقم (٢٣) يبين توزيع عينتي

الدراسة وفقا لاسباب عدم مشاهدة الفيديو

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
لا املك جهاز فيديو	٩٦		٦٦		١٦٢	٦١،٨
لعدم وجود وقت	١٦		١٦		٣٢	١٢،٢
افضل التليفزيون	٣		٢٥		٢٨	١٠،٧
افضل القراءة	٥		٣٥		٤٠	١٥،٣
جملة	١٢٠		١٤٢		٢٦٢	١٠٠٪

(ج) المضامين التي يشاهدها المبحوثون من خلال الفيديو:

تشير بيانات جدول رقم (٢٢) إلى أن أفلام العنف والإثارة تحظى بأهمية لدى المبحوثين حيث تصل نسبة مشاهديها من خلال جهاز الفيديو إلى ٢٨،٧٪ من أجمالي العينة الكلية دون فوارق ذات دلالة بين عينتي الدراسة (٩٢ - ٩٤). ويأتي في الترتيب الثاني من تفضيلات مستخدمي الفيديو والمواد ذات الموضوعات الاجتماعية من شئون أسرة وزواج وطلاق وعلاقات اجتماعية في محيط الأقارب والجيران والمعارف. حيث كانت نسبة هذه المضامين ٢٠٪ من إجمالي العينة الكلية ممن يشاهدون الفيديو.

وفى الترتيب الثالث جاءت الأفلام ذات المضامين السياسية والتاريخية بنسبة ١٨،٣٪، تليها الأفلام العاطفية أو الرومانسية بنسبة ١٧،٦٪ دون فوارق تذكر بين من يشاهدون الفيديو في عينتي الدراسة (٩٢ - ٩٤).

(د) أسباب عدم مشاهدة الفيديو:

من قراءة الجدول (٢٣) أمكن تحديد أهم أسباب عدم مشاهدة ٢٦٢ مفردة من إجمالي عينة الدراسة، أي نسبة ٥٠،٤٪ للفيديو حيث كانت الأسباب على النحو التالي:

- عدم امتلاك جهاز فيديو ٦١،٨٪ من جملة من لا يشاهدون ٦٠٪ منهم في عينة ٩٢، بينما ٤٠٪ من عينة ١٩٩٤.
- تفضيل أنشطة أخرى على مشاهدة الفيديو (القراءة مثلا) بنسبة ١٥،٣٪ معظمهم في عينة ١٩٩٤.
- عدم وجود وقت فراغ بنسبة ١٢،٢٪ من أجمالي العينة.
- تفضيل مشاهدة التليفزيون بنسبة ١٠،٧٪ من أجمالي من لا يشاهدون الفيديو.

وهكذا تصل نسبة من لا يملكون جهاز فيديو في العينة الكلية إلى نسبة ٣٥،٢٪ وهى نسبة تشير إلى أن الفيديو الان وسيلة خاصة في معظم بيوت المصريين وانه لم يعد مقصورا على الفئات الأكثر ثراء.

جدول رقم (٢٤)
يبين توزيع عينتي الدراسة وفقا لمضمون
الدراما التي يتعرضون لها

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
نوع الدراما	ك	٪	ك	٪	ك	٪
أفلام أجنبية في السينما	٧٢	٢٤،٨	٦٥	٣٣	١٣٧	٢٨،١
أفلام عربية	١٨	٦،٢	٢٤	١٢،٢	٤٢	٨،٦
أفلام أجنبية في الفيديو	١١٢	٣٨،٦	٤٨	٢٤،٤	١٦٠	٣٢،٨
أفلام عربية	٧٢	٢٤،٦	٥٠	٢٥،٤	١٢٢	٢٥،٢
أفلام هندية في السينما والفيديو	١٦	٥،٨	١٠	٥،٢	٢٦	٥،٣
	–	–	–	–	–	
جملة	٢٩٠	١١٠	١٩٧	١٠٠	٤٨٧ تكرار	

* التعرض للمضمون الأجنبي في السينما والفيديو:

تبين من تحليل البيانات فيما يتعلق بالتعرض للدراما الأجنبية في السـينما ومـن خلال الفيديو، أن استخدام الأفلام الأجنبية (الإنجليزية والأمريكيـة) كـان فـي الترتيب الأول بنسبة ٣٢،٨٪ من جملة عينتي الدراسة، وتزيد نسبة مشاهدي هذه النوعية من الأفلام في عينة ١٩٩٢ في حين تقل نسبيا في عينة ١٩٩٤. وفـي الترتيب الثاني جاءت الأفلام الأجنبية في السينما بنسبة ٢٨،١٪ من جملة عينتي الدراسة. وكانت عينة (١٩٩٤ نسبيا اكبر من النسبة في عينة ١٩٩٢)، وجـاءت الأفلام العربية في الترتيب الثالث بنسبة ٢٥،٢٪ من إجمالي من يشاهدون السينما والفيديو في عينتي الدراسة. وفى الترتيب الرابع جاءت مشاهدة أفلام عربية في السينما تليها مشاهدة أفلام هندية بنسبة ٥،٣٪ ممن يشاهدون السينما والفيديو في عينتي الدراسة.

واهم المؤشرات التي يمكن أن تستخلص من هـذه النتـائج أن المـادة الأجنبية في السينما ومن خلال الفيديو، تعد أحد مصادر الترفيه والتسلية والتثقيف للشباب بوجه خاص والجمهور بوجه عام، وان كثافة التعرض لهذه المواد يمكن أن ترسخ في وجدان مشاهديها من الشباب وصغار السن قيم واتجاهات أجنبيـة يمكن أن يتوحدوا معها كتوحيدهم مع أبطال هذه الأفلام، ولعل السـياق الثقـافي الذي أنتجت فيه هذه الأفلام يختلف بدرجات كبيرة عن السياق الذي يتم فيه تلقيها وامتصاص القيم الاجتماعية والنفسية منها، ومن هنا يتوقع أن تكون سـلوكيات الأفراد بعد ذلك انعكاسا لهذه القيم الأجنبية. جدول (٢٤).

جدول رقم (٢٥)يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا لمدى مشاهدة التليفزيون

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
المشاهدة	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يشاهد التليفزيون	٣١٠	٩٦،٩	١٧٩	٨٩،٥	٤٨٩	٩٤
لا يشاهد التليفزيون	١٠	٣،١	٢١	١٠،٥	٣١	٦
جملة	٣٢٠	٪١٠٠	٢٠٠	٪١٠٠	٥٢٠	٪١٠٠

جدول رقم (٢٦) يبين توزيع
عينتي الدراسة وفقا لاسباب
مشاهدة التليفزيون

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
التسلية والترفيه	١٦٥	٥٣،٢	٨١	٤٥،٣	٢٤٦	٥٠،٣
للإحاطة بالأحداث الجاريه	٥٠	١٦،١	٤٠	٢٢،٣	٩٠	١٨،٤
لتحصيل الثقافة	٥٦	١٨،١	٤٣	٢٤	٩٩	٢٠،٢
لشغل وقت ا لفراغ	٣٩	١٢،٦	١٥	٨،٤	٥٤	١١،١
أخرى	–		–		–	
أجمالي	٣١٠	١٠٠	١٧٩	١٠٠	٤٨٩	٪١٠٠

سادسا: مشاهدة التليفزيون: T.V VIEWING

(أ) التعرض للتليفزيون:

يوضح جدول (٢٥) عدو نتائج يمكن استخلاصها من البيانات الموجودة به، أولها أن مشاهدة التليفزيون لا تقل عم ٩٤٪ من أجمالي عينتي الدراسة وان كانت في عينة ٩٢ قد تزيد لتصل إلى ٩٦،٩٪ وتقل في عينة ١٩٩٤ بفارق ٧،٤٪ وهو فارق ذي دلالة يشير إلى تراجع مشاهدة التليفزيون نسبيا أمام التكنولوجيا الجديدة الدش التي فتحت المجال واسعا زادت من فرض الاختيار أمام المشاهد المصري. ومن جانب آخر تدل نسبة عدم مشاهدة التليفزيون ٦٪ على أن التليفزيون حتى الآن لم.يفقد تربعه على عرش التعرض لوسائل الأعلام وان كان الأمر يتعلق بمتغيرات عديدة أخرى، إلا أن المشاهدة قد لا تكون كثيفة HEAVY VIEWING وبالتالي فان نسبة ٩٤٪ ربما يشير إلى الظاهرة في إطارها العام.

(ب) أسباب ودوافع التعرض للتليفزيون:

من بيانات جدول رقم (٢٦) تبين أن الأسباب والدوافع التي تدفع الشباب وجمهور العينة المدروسة توزعت على الفئات التالية:

- التسلية والترفيه: نسبة ٥٠،٣٪ من جملة يتعرضون.
- الثقافة والمعرفة: نسبة ٢٠،٢٪ من جملة يتعرضون.
- للإحاطة بالأحداث الجارية: نسبة ١٨،٤٪ من جملة يتعرضون .
- لشغل وقت الفراغ: نسبة ١١،١٪ من جملة يتعرضون.

يتضح من هذه النسب سيادة دافع التسلية ENTERAINMENT MOTIVE على الدوافع الأخرى، بينما تراجع دافع المعرفة والتثقيف: AKNOULEDGE MOTTIVES ثم دافع المراقبة أو الأعلام والإحاطة بالأحداث الجارية يليه دافع نمضيه وقت الفراغ، وهذا يدل على أن التسلية والترفيه وتمضية الوقت هي الدوافع الأكثر قوة في مشاهدة التليفزيون، ولا توجد فوارق ذات دلالة بين عينتي الدراسة على طول عامين كاملين هي مدة الدراسة.

جدول (٢٧) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا لحجم مشاهدة التليفزيون

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		إجمالي	
حجم المشاهد	ك	٪	ك	٪	ك	٪
اقل من ساعة	٣٠	٩،٧	٢٦	١٤،٥	٥٦	١١،٥
من ساعة إلى ساعتين	٥٤	١٧،٤	٣٨	٢١،٢	٩٢	١٨،٨
ساعتين إلى ثلاث ساعات	٨٦	٢٧،٧	٥٩	٣٣	١٤٥	٢٩،٧
٣ ساعات فاكثر	١٤٠	٤٥،٢	٥٦	٣١،٣	١٩٦	٤٠
جملة	٣١٠	٪١٠٠	١٧٩	٪١٠٠	٤٨٩	٪١٠٠

جدول (٢٨) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا لمضمون ما يشاهدونه في التليفزيون

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		إجمالي	
المضمون التليفزيوني	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الدراما	٩٦	٢٦	٤٩	١٧،٥	١٤٥	٢١،٧
الأخبار	٦٤	١٦	٣٦	١٢،٩	.١٠٠	١٥
البرامج الثقافية	٦٤	١٦	٦٩	٢٤،٦	١٣٣	٢٠
البرامج الدينية	٤٨	١٣	٣٠	١٠،٧	٧٨	١١،٧
برامج المنوعات	٤٧	١٢	٦٠	٢١،٤	١٠٧	١٦
الرياضة	٣٥	٩	١٢	٤،٣	٤٧	٧
برامج طوائف	٣٣	٨	٢٤	٨،٦	٥٧	٨،٥
أخرى تذكر	–		–		–	–
جملة	٣٨٧	١٠٠	٢٨٠	١٠٠	٦٦٧	تكرار

ج- حجم مشاهدة التليفزيون: AMOUNT OF T V VIEWING

يوضح جدول رقم (٢٧) حجم تعرض المبحوثين للتليفزيون، فقد وجد أن ٤٠٪ يشاهدون التليفزيون "٣ ساعات فاكثر وكانت النسبة في العينة الأولى أعلى من العينة الثانية ١٩٩٤. ثم كانت المشاهدة المتوسطة ٢-٣ ساعات في الترتيب الثاني ٢٩،٧٪ ولا توجد فوارق ذات دلالة بين عينتي الدراسة في هذا الخصوص أما المشاهدة الخفيفة LIGHT VIEWING فكانت في التدريب الثالث بنسبة ١٨،٨٪ ثم كانت المشاهدة النادرة بنسبة ١١،٥٪ وبشكل عام تعد المشاهدة المتوسطة هي النمط السائد بين المبحوثين، ولكن الإشارة الهامة في هذه النتيجة هو التراجع النسبي للمشاهدة بمرور الوقت من ٩٢ إلى ١٩٩٤، مما يؤكد ما سق أن ذكرناه من أن دخول وسائل جديدة قد يقلل من المشاهدة التليفزيونية أن لم يكن قد ألغاها تماما.

د- المضامين المفضلة في التليفزيون:

أوضحت نتائج التحليل أن الدراما تحظى باهتمام وتفضيل ما يقرب من ربع عينة الدراسة من مشاهدي التليفزيون تليها البرامج الثقافية بنسبة ٢٠٪ ثم برامج المنوعات بنسبة ١٦٪ والأخبار بنسبة ١٥٪ أما البرامج الدينية فقد جاءت في الترتيب الخامس بنسبة ١١،٧٪ وجاءت برامج الطوائف كالمراة والشباب والأطفال في الترتيب السادس بنسبة ٨،٥٪ يليها برامج الرياضة ٧٪ من جملة التكرارات أو التفضيلات.

جدول رقم (٢٩) يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا للتعرض للدراما الأجنبية في التليفزيون

العينة	عينة ١٩٩٢		· عينة ١٩٩٤		جملة	
أنواع الدراما	ك	٪	ك	٪	ك	٪
نادى السينما	١٢٠	٤٨	٦٧	٣٤،٩	١٨٧	٤٢،٣
اوسكار	٢٤	٩،٦	٧٢	٣٧،٥	٩٦	٢١،٧
المسلسلات الأجنبية	١٠٦	٤٢،٤	٥٣	٢٧،٦	١٥٩	٣٦
جملة	٢٥٠		١٩٢	٪١٠٠	٤٤٢	٪١٠٠

جدول رقم (٣٠) يبين توزيع عينتى
الدراسة وفقا السباب عدم الذهاب للسينما

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
أهمية الموضوعات التي تطرحها .	٤٠	١٦	١٦	١٠،٩	٥٦	١٤،٣
دقة التناول	٥٢	٢١	٢٣	١٥،٧	٧٥	١٩،٢
سرعة الإيقاع	٦٨	٢٨	١٥	١٠،٣	٨٣	٢١،٢
تنوع الأحداث	٢٢	٩	٢٨	١٩،٢	٥٠	١٢،٨
الإثارة	٢٠	٨	٢٢	١٥،١	٤٢	١٠،٧
الجاذبية والإبهار	١٧	٧	١٠	٦،٨	٢٧	٦،٩
واقعية الأداء	١٣	٦	١٠	٦،٨	٢٣	٥،٩
الجرأة والتحرر نسبيا	٨	٣	٨	٥،٥	١٦	٤،١
توقيت عرضها مناسب	٥	٢	١٤	٩،٦	١٩	٤،٩
أجمالي	٢٢٤	١٠٠	١٤٦	١٠٠	٣٧٤	٪١٠٠

(هـ) التعرض للدراما الأجنبية في التليفزيون:

تدل بيانات جدول رقم (٢٩) على أن الدراما الأجنبية تحظى بأهمية عالية بين المبحوثين في فترتي الدراسة وبخاصة الدراما التي تقدم من خلال برامج نادى السينمائية ٤٢،٣٪ وبرنامج اوسكار ٢١،٧٪ ثم المسلسلات بنسبة ٣٦٪، وترتفع نسب مشاهدة المسلسلات في عينة الفترة الأولى عنها في الفترة الثانية، بينما ترتفع نسب مشاهدة أفلام الاوسكار في عينة ١٩٩٤ عنها في عينة ١٩٩٢

أما هن أسباب تفضيل التعرض للدراما الاجنبية فيمكن ملاحظتها من بيانات جدول رقم (٣٠) الذي يوضح العلاقة بين فترتي الدراسة وأسباب مشاهدة الدراما الاجنبية وذلك على النحو التالي:

١- سرعة الايقاع الدرامي الأحداث.
٢- دقة تناول الموضوعات الاجتماعية.
٣- أهمية القضايا والموضوعات التي تطرحها الدراما الاجنبية.
٤- تنوع وثراء الأحداث في الدراما الاجنبية.
٥- قيم الإثارة والإبهار في العرض.
٦- جاذبية الشخصيات والأفكار والموضوعات.
٧- الجرأة والتحرر في معالجة القضايا عموما.

انظر رقم (٣٠)

ثامنا: التعرض للمسلسلات الاجنبية في التليفزيون المصري:

تزامن إجراء البحث في مرحلته الأولى مع عرض مسلسل "فالكون كريست" (١٩٩٢م)، بينما كان وقت أجراء البحث في ١٩٩٤، متزامنا مع عرض مسلسل الجريء والجميلات وفيما يلي عرض بعض النتائج:

أ- التعرض للمسلسلين:

يوضح جدول رقم (٣٢) توزيع عينة الدراسة في الفترتين (٩٢ - ٩٤) أن نسبة التعرض في الفترة الأولى ١٩٩٢م كانت ٨٨،٤٪ من أجمالي ٣٢٠ مفردة بينما كانت نسبة التعرض لمسلسل الجريء والجميلات ٥٥٪ ولعل الفارق بين النسبتين يوضح من تقديم عينة الدراسة للمسلسلين الذي حسم التفضيل لصالح فالكون كريست.

ب- حجم التعرض للمسلسلين:

يوضح جدول رقم (٣٣) حجم التعرض للمسلسلين وذلك على النحو التالي: وقد كانت نسبة من مشاهدوا المسلسلات في فترتي الدراسة مرة واحدة ١٧،٦٪ في جملة العينة وتكاد تتفق نسب من شاهدوا فالكون كريست والجرئ والجميلة (١٨٪، ١٦،٤٪) على التوالي.

وكانت المشاهدة لعدة مرات تزيد على ٥٣،٨٪ من إجمالي العينة، وأيضا كانت نسب مشاهدة المسلسلين عدة مرات متقاربة ٥٢،٩٪ لفالكون كريست ٥٦،٤٢٪ للجرئ والجميلة. أما المشاهدة بانتظام فقد كانت نسبتها ٢٨،٦٪ في العينة ككل. وأيضا يتفق المبحوثون في الانتظام في مشاهدة الدراما الاجنبية

التليفزيونية، وتشير هذه النتائج إلى ثبات نسبى فـــي حجـــم التعـــرض الكثيـــف للمسلسلات الاجنبية وهو ما يرتب إمكانية التأثر ولاتوحد مع قيم اجتماعيـــة ذات أبعاد مختلفة عن قيم مجتمعنا المصري.

جدول رقم (٣٢) يبين تعرض
عينتي الدراسة للمسلسلات الاجنبية

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك	٪	ك	٪	ك	٪
مسلسل فالكون كريست تعرض	٢٨٣	٨٨،٤	–	–	٢٨٣	٥٤،٤
لم تعرض	٢٧	١١،٦	١١٠	٥٥	٢٧	٥،٢
مسلسل الجرئ والجميلة						
تعرض	–	–	٩٠	٤٥	١١٠	٢١،٢
لم تعرض	–	–			٩٠	١٧،٣
جملة	٣٢٠	١٠٠	٢٠٠	١٠٠	٥٢٠	١٠٠

جدول رقم (٣٣) يبين توزيع عينتي
الدراسة وفقا لانتظام التعرض للمسلسلين
فالكون كريست، الجرئ والجميلة

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
عدد مرات الذهاب بالسينما	ك	٪	ك	٪	ك	٪
مرة واحدة	٥٦	١٨،١	١٨	١٦،٤	٧٤	١٧،٦
عدة مرات	١٦٤	٥٢،٩	٦٢	٥٦،٤	٢٢٦	٥٣،٨
بانتظام	٩٠	٢٩،٠	٣٠	٢٧،٢	١٢٠	٢٨،٦
جملة	٣١٠	١٠٠	١١٠	١٠٠	٤٢٠	١٠٠

جدول رقم (٣٤)
يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا لتقويم المسلسلين الأجنبيين.

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
عدد مرات الذهاب بالسينما	فالكون كريست		الجرئ والجميلة		ك	٪
سئ	١٦	٥	٢٢	٢٠	٣٨م	٩٪
متوسط	٣٢	١٠	١٦	١٤،٥	٤٨	١١،٤
جيد	١٤٠	٤٥	٤٧	٤٢،٧	١٨٧	٪
ممتاز	١٢٢	٤٠	٢٥	٢٢،٨	١٤٨	٤٤،٥
						٣٥
جملة	٣١٠		١١٠	١٠٠	٤٢٠	١٠٠

جدول رقم (٣٥)
بين التوحد مع شخصيات المسلسلين فى العينتين

العينة	١٩٩٢		١٩٩٤		جملة	
عدد مرات الذهاب بالسينما	فالكون كريست		الجرئ والجميلة		ك	٪
يتمنى أن يكون أحد شخصيات المسلسل	١٣٦	٤٣،٩	٥٢	٤٧،٣	١٨٨	٤٤،٨
لا يتمنى أن يكون أحد شخصيات المسلسل	١٧٤	٥٦،١	٥٨	٥٢،٧	٢٣٢	٥٥،٢
جملة	٣١٠	١٠٠	١١٠	١٠٠	٤٢٠	١٠٠

جدول رقم (٣٦) يبين توزيع عينتي الدراسة
وفقا للارتباط بالمسلسل الأجنبي

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	فالكون كريست		الجرئ والجميلة		ك	٪
يؤجل عمله ويشاهد المسلسل	١١٠	٣٥	٣١	٢٨،٢	١٤١	٣٣،٦
ينتهي من العمل دون مشاهدة المسلسل	١٣٠	٤٢	٣٩	٣٥،٥	١٦٩	٤٠،٢
يشاهد المسلسل في العمل	٢٦	٨	١٩	١٧،٣	٤٥	١٠،٧
يسجل حلقات ويشاهدها أخرى	٤٤	١٥	٢١	١٩،٠٠	٦٥	١٥،٥
جملة	٣١٠	١٠٠	١١٠	١٠٠	٤٢٠	١٠٠

هـ- الارتباط بالدراما الاجنبية:

فيما يتعلق بالارتباط بين الدراما الاجنبية وبين المشاهدين من حيث تأجيل أي عمل لمشاهدة المسلس، وجد أن ٣٣،٦٪ من إجمالي العينة يؤجلون أعمالهم من اجل المشاهدة بينما ٤٠،٢٪ تشغلهم أعمالهم عن رؤية المسلسل مما اضطرهم إلى تسجيل حلقات من المسلسل ثم مشاهدتها بعد الفراغ من العمل. وهناك من يشاهد المسلسل في أوقات الفراغ من العمل بنسبة ١٠،٧٪ وتدل هذه النتائج على ارتباط وثيق بين المبحوثين والمسلسلات الاجنبية المذاعة من خلال التليفزيون المصري في فترى الدراسة جدول : (٣٦)

جدول رقم (٣٧) يبين معرفة أفراد العينتين ببعض القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		جملة	
الأسباب	ك		٪	ك	ك	٪
موضوعات سياسية عرف	٧٤		٢٦		١٠٠	
لم يعرف	٢٤٦		١٧٤		٤٢٠	
موضوعات اقتصادية عرف	٥٦		٢٧		٨٣	
لم يعرف	٢٦٧٤		١٧٣		٤٣٧	
موضوعات فنية عرف	١٦		١٧		٣٣	
لم يعرف	٣٠٤		١٨٣		٤٨٧	
موضوعات ثقافية عرف	١٤		١٠		٢٤	
لم يعرف	٣٠٦		١٩٠		٤٩٦	
قضايا عالمية (أو بالوحدة) عرف	٢٩		١٥		٤٤	
لم يعرف	٢٩١		١٨٥		٤٧٦	
جملة متوسط المعرفة	٣٧،٨٪		١٩٪		٥٦،٨٪	

* مقياس التأثير المعرفي:

اعد مقياس للتأثير المعرفي شمل موضوعات سياسية داخلية وخارجية وموضوعات اقتصادية وأخرى فنية وموضوعات ثقافية، وقضايا عالمية ذات أهمية مثل الخلاف بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية بخصوص المفاعلات النووية وبرلمان اوروبا الموحدة، وقد بلغ متوسط المعرفة في العينة إلى ٣٧،٨٪ في عينة ١٩٩٢، ١٩٪ من عينة ١٩٩٤.

أما على مستوى المعرفة في كل مجال، فكانت المعرفة بالأمور السياسية بنسبة ١٩،٢٣٪، وكانت المعرفة بالمسائل الاقتصادية ١٦٪ بما الموضوعات الفنية فكانت ٦،٣٪، والموضوعات الثقافية ٤،٦٪ ، أما القضايا الدولية فكانت نسبة معرفتها ٨،٥٪ من إجمالي العينة في فترتي الدراسة. جدول رقم (٣٧).

خاتمة

مناقشة النتائج

يمكن استخلاص أهم اتجاهات التأثير الاجتماعي لوسائل الأعلام في مصر من خلال رصد جوانب كمية ونظرية عديدة، فقد أثبتت نتائج هذا البحث أن التعرض لوسائل الأعلام مرتفع نسبيا في عينتي الدراسة:

١- التعرض للصحف: ٨٦،٧٪ من إجمالي ٥٢٠ مفردة (٣)
٢- قراءة الكتب ٧٤،٦٪ من إجمالي (٤).
٣- الاستماع للإذاعة ٨٩٪ من إجمالي (٢)
٤- الذهاب إلى السينما ٢٨٪ من إجمالي (٦)
٥- مشاهدة التليفزيون ٩٤٪ من إجمالي (١)
٦- مشاهدة الفيديو ٤٩،٦٪ من إجمالي (٥)

يتضح من هذه البيانات سيادة التعرض المرئي المسموع من إذاعة وفيديو وتليفزيون.

- التخصص بين وسائل الأعلام:

أما المؤشر الثاني فيمكن تحديده في إطار التخصص في استخدم الجمهور لوسائل الأعلام بحيث كان الراديو في مجال الأخبار اكثر من التليفزيون والصحافة، بينما كان الترفيه والتسلية هي الدافع الأغلب في مشاهدة السينما ولا تليفزيون والفيديو في حين ارتبط التثقيف والمعرفة بالكتب والصحف بشكل عام.

- سيادة التليفزيون.

يعد التليفزيون اكثر مصادر الاتصال استخداما بين أفراد العينة حيث وصلت نسبة مشاهدة ٩٤٪ من أجمالي العينة في حين كان الذهاب للسينما ٢٨٪ والفيديو ٤٩،٦٪ والكتب ٧٤،٦٪.

جدول (٣٨) يبين الفارق في حجم التعرض لوسائل الأعلام في عينتي الدراسة

العينة	عينة ١٩٩٢		عينة ١٩٩٤		إجمالي	
التعرض للوسائل	ك	٪	ك	٪	ك	٪
قراءة الصحف اليومية	٢٩٧	٩٢،٨	١٥٤	٧٧	٤٥١	٪٨٦،٧
قراءة الكتب	٢٠٥	٦٤،١	١٨٣	٩١،٥	٣٨٨	٪٧٤،٦
الاستماع للإذاعة	٢٨٧	٨٩،٧	١٧٦	٨٨	٤٦٣	٪٨٩
الذهاب ال السينما	٩٦	٣٠	٥٠	٢٥	١٤٦	٪٢٨
مشاهدة التليفزيون	٣١٠	٩٦،٩	١٧٩	٨٩،٥	٤٨٩	٪٩٤
مشاهدة الفيديو	٢٠٠	٦٢،٥	٥٨	٢٩	٢٥٨	٪٤٩،٦
جملة		٧٢،٧		٦٦،٧		

* تأثير الدراما الاجنبية:

أكدت نتائج الدراسة ارتفاع نسبة من يتعرضون للدراما الاجنبية في مصر، حيث وصلت النسبة إلى اكثر من (٩٠٪) من إجمالي العينة، ولم يكن للمدة الزمنية بين فترتي الدراسة تأثير على هذه الجزئية.

وقد تأكدت المتابعة الكثيفة للدراما الأجنبية من خلال التليفزيون والفيديو والسينما، حيث وصلت نسبة التعرض لمسلسل "فالكون كريست" والفيديو والسينما، حيث وصلت نسبة التعرض لمسلسل "فالكون كريست" (٨٨،٤٪) من إجمالي العينة، بينما كانت نسبة التعرض لمسلس الجرئ والجميلة (٥٥٪)، وأبرزت النتائج ارتباطا وثيقا بين التعرض للمسلسلات لأجنبية، والتوحد مع شخصيات هذه المسلسلات، حيث وصلت إلى (٤٤،٨٪) من إجمالي العينة.

وفى تلك المرحلة من التحليل والتدخل يمكن حصر وقياس التأثير الاجتماعي للدراما الاجنبية من خلال عامين:

أولا:

خصوصية التليفزيون في حياة الأفراد الثقافية والترفيهية والإعلامية، فلقد دلت الدراسة على هذا الدور الخاص بتقديم عرض لجميع وسائل الأعلام والثقافة، وتفوق الأهمية التثقيفية والترفيهية للتليفزيون وسط تلك الوسائل الإعلامية والثقافية.

فإذا كانت الصحيفة تلعب دورا مميزا في ممارسة الديمقراطية الفكرية والثقافية في مصر، وذلك لدورها القيادي في تاريخ الفكر والثقافة في مصر، فكانت الأداة في يد الطبقة المثقفة والمفكرية للتعبير وإبداء الرأي في العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. فان هناك هوة كبيرة تفصل ما بين دور الصحيفة كمتلقي لطرح أفكار الطبقة المثقفة وصانعي القرار وبين الجمهور العريض من المواطنين، وذلك للعديد من الاعتبارات التي لا تخفى علينا جميعا وهى، معدلات الأمية المرتفعة وانخفاض معدلات القراءة حتى بالنسبة للمتعلم، والظواهر الاجتماعية الأخرى المعاكسة لإقامة جمهور الصحيفة والكتاب. تلك الاعتبارات تقف أذن عائقا دون تحقيق أهم أهداف العمل الصحفي وهو الديمقراطية الإعلامية وتصبح الصحافة وجميع الوسائل الثقافية المقروءة الموجهة أصلا لارشاد وتنمية الجمهور العريض، لا تصل سوى لفئة منتقاة ولا تمثل عدد أفرادها المجتمع بجميع فئاته. وتصبح الصحيفة وسيلة إعلامية محدودة الانتشار.

وهذا يعنى أن دائرة الاتصال، أو العمل الإعلامي، من خلال الصحيفة بالرغم من أهميتها وكفاءتها في تحليل الأخبار والأحداث المحلية والعالمية، دائر محدودة ومغلقة، وتنحصر في نطاق الفئة الواحدة. وقد تشير إحصائيات التوزيع بالنسبة لجريدتين مثلا كالأهرام والأخبار اليومية معدلات مرتفعة.

ثانيا:

سوء التخطيط والأعداد للبرامج الدرامية المحلية يعتبر من أهم الأسباب التي عن طريقها يتوجه الجمهور إلى البرامج الاجنبية وخاصة الدراما الاجنبية في التليفزيون والفيديو في المنزل كان أول في المقهى. تلك البرامج التي قد لا تتفق مع عادات المجتمع وقيمه وثقافته بل أن خطورة هذا الوضع تنحصر في أن تعرضه لهذه الأشكال لا تخضع لرقابة المجتمع، التي تمارس من خلال برامج التليفزيون المحلى.

فالتليفزيون يجب أن يكون أداة جيدة للتثقيف والتوعية وليس أداة لتفاقم مشكلات الثقافة والفكر في المجتمع.

فإذا كانت المشكلات الناتجة على مستوى البرامج التي نتحكم في تقديمها فما الذي ستفعله السياسة الإعلامية المصرية تجاه برامج التليفزيون الدولي المتنوعة التي قد يكون لها عواقبها السلبية وتأثيرها الضار على بعض فئات الجمهور لندرة عنصر يكون لها عواقبها السلبية وتأثيره وفاعلية القضايا خاصة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الفصل الثالث:

القنوات الفضائية الدولية
والهوية الثقافية العربية

"دراسة ميدانية على جمهور القنوات الفضائية فى مصر"

الفصل الثالث:

القنوات الفضائية الدولية
والهوية الثقافية العربية
"دراسة ميدانية على جمهور القنوات الفضائية فى مصر"(*)

المقدمة:

اصبح التقدم فى العلم والتكنولوجيا مظهرا من مظاهر العصر الحديث خاصة بعد الثورة الإلكترونية فى دول العالم الصناعى المتقدم فى الشرق والغرب وتداعيت آثار تلك الثورة الهائلة بعد هذا التحول والتمايز فى البناء الاجتماعي فى علاقات الإنتاج والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية .. والثقافية .. ليس فقط على المستوى الإقليمي بل على المستوى العالمى والدولى.

فلم تعد قوى الإنسان ومجهوده الجسدى هو المحرك لعملية الإنتاج، ولكن اصبح البحث والعلم والإبداع والتنظيم والإدارة هى الأساس فى علمية الإنتاج.

ومن افرازات تلك الثورة التكنولوجية الهائلة التقدم المذهل فى تكنولوجيا وسائل الأعلام والثقافة. فأصبحت تلك الأدوات وسائل فى يد الدول المتقدمة ليس فقط لمضاعفة قدرات الفرد على الخلق والابتكار فى المجالات الثقافية والعلوم، بل وسائل قادرة على تقديم الحلول والإجابات على التساؤلات العديدة التي يطرحها الفرد والجماعة فى شتى المجالات.

وتزداد يوما بعد يوم ملامح حضارة جديدة قوامها الرخاء المادي والمعنوى فى تلك الدول المتقدمة تظهر أثارها فى هذا المضمون الإعلامي والثقافى التي تبثها البرامج الإذاعية المختلفة والفقرات التليفزيونيةَ المبهرة وتنشرها صحفها ومجلاتها المصورة وكتبها المتعددة وأبحاثها المتعمقة ونظرياتها المتجددة عن الإنسان فى علم الفضاء والتكنولوجيا.

ومن هنا تظهر الهواة واسعة بين العالم النامى والعالم الصناعى المتقدم، لقد كشفت وسائل الأعلام والثقافة للدول النامية اتساع الهوة فيما بينها وبين تلك الدول التي تمتلك كل شئ من اجل رفاهية الإنسان ورخائه. وقد يفوتها أن تلك الإمكانيات الهائلة هى من صنع الفرد ونتيجة لكفاءته وقدرته على العمل والكفاح فى سبيل الاكتشاف والتقدم.

(*) دراسة نشرت بدورية معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة ١٩٩٤

فبينما يجنى الفرد فى دول العالم الصناعى المتقدم ثمـــار كفاحــه مــع الطبيعة والعلم فيطورها لخدمته ورفاهيته وليضاعف من قدراته وكفاءته، تقــف شعوب دول العالم النامى الأخر منبهرة بهذا التطور فـــى التكنولوجيــا محاولــة اقتناءها بأسعار باهظة وساعية إليها شكلا ومضمونا دون وعـــى كــاف أدارك لواقع التباين بين حضارة حديثة قوامها العمل والكفاءة الذهنية والجسدية القـــدرة على الابتكار، وبين حضارة أخرى لم تصل بعد مرحلة ما قبل الثورة الصناعية الأولى بإمكانيتها وخصائصها التقليدية والاجتماعية منها والاقتصادية الثقافية.

لقد أتاحت هذه الحضارة التكنولوجية والعلمية مجالات متعددة للأعـــلام فتعدد وتنوع المحتوى والشكل فى الوسائل الإعلامية المختلفة. وتعددت أشـــكال وأنماط الدراما الفيلمية من.خلال السينما والتليفزيون وازدادت إبهارا وعمقا فـــى التعبير عن الواقع المادى والمعنوى وتكاثرت البرامج العلمية والثقافية والرياضية وبرزت صناعة الأغنية فلم تعد صوتا وآلات موسيقية فقط بل تدخلت التكنولوجيا والكمبيوتر طرفا فى العملية التعبيرية والإبداعية.

كما أصبحت الوسائل الإعلامية والثقافية المكتوبة تعيش أيضـــا هــذا التطــور التكنولوجي مستفيدة ليس فقط بالأحداث والتطورات الثقافية والإبداعية المتعـــددة فى مختلف المجالات بل أيضا بالتقدم المذهل فى وسائل نقـــل ونشـــر الحـــدث. فأصبحت الكلمة المكتوبة والصورة الفيليمية شاهدين على هذا التقدم المذهل فـــى جميع المجالات الثقافية والادبية والفنية والسياسية والرياضية. [١٢]

ونتيجة لهذا التطور والتحديث والتفوق فى صناعة الثقافة "التليفزيونيـــة" تزايدت كثافة المشاهدة التليفزيونية واتســـعت دائرتهـــا اتســـاعا ملحوظـــا منـــذ السبعينات والثمانينات الى ان اصبحت فى التسعينات على راس قائمـــة وســـائل الاتصال الجماهيرى من حيث كثافة الانتشار. هذا التزايد الملحوظ هيأ الى تطلع الافراد الى مزيد من القنوات، خاصة بعد تزايـــد فاعليـــة الاقمـــار الصناعيـــة وانخفاض اسعار انتاج الهوائيات.

وواكب انتشار فكرة التليفزيون الدولى وقنواته المتعـــددة تزايـــد حـــدة الصراع الدولى بين الشرق والغرب وانهيار الاتحاد السوفيتى وانكســـار النظـــام الشيوعى والاشتراكى، ونشوب حرب الخليج وحروب البلقـــان .. والمجاعـــات

GABRIEL THOVERON. M. OLYFF LES MEDIAS A DE COUVRIR. VIE OUVRIERE. BRUX. BELEGIQUE. -1988. P 283.
EDGAR MORIN. SCIENCE AVEC CONSCIENCE. FAYARD. PARIS 1982. P 330.
١٢ _

والحروب الاهلية فى افريقيا. والاحداث المتلاحقة فى العالم العربى والدولى .. كل هذا ادى الى مزيد من التطلع والترقب والرغبة فى مزيد من المعرفة عن طريق الصورة والصوت والحركة اى من خلال البرامج الدولية التليفزيونية.

ادى هذا الى ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذى تقف الولايات المتحدة الامريكية علي قمته بفضل سيادته التكنولوجية والعلمية والاعلامية وهيمنتها على مصادر المعلومات وبفضل وكلات الانباء.[١٣]

فاصبح العالم الغربى وعلى راسه الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربية هو العالم الاول الذى يتحكم فى مصادر الاخبار والمعلومات المقروءة والمصورة، والمسموعه والمرئية، وصناعة البرامج والفيلم.

هذا التطور الهائل (فى مجالات الاعلام والتكنولوجيا وصناعة المعلومات) ادى الى الاتوازن بين الدول المتقدمة والمصدرة للتكنولوجيا والدول النامية الناقلة لها من الناحية العلمية والاقتصادية بل ادى الى احكام سيطرة المجتمعات الصناعية على اقتصاديات الدول الوسيطة والصغيرة واصبحت تهدد امنها الثقافي والايديولوجي. ولقد حققت تلك الدول المتقدمة فى مجالات تكنولوجيا الاتصال الجماهيرى والبث المباشر ونقل المعلومات بواسطة الاقمار الصناعية وتعدد قنوات الفضاء خطوة هائلة من التقدم. فالركيزة الاساسية لاستخدامات التكنولوجيا الحديثة. فى مجالات الاتصال الجماهيرى والاتصال الفضائى تتمثل فى استخدام الاقمار الصناعية للاتصال، سواء ما كان منها اقمارللتوزيع، تتعامل فقط مع محطات التليفزيون، او اقمار البث المباشر الى يصل ارسالها الى اجهزة الاستقبال فى المنازل.

فهذه النظم الدولية انشئت وتطورات بالعلم والاتقان فى مجالات البحث والتكنولوجيا فى مجالات الاتصالات. والجدير اضافته فى هذا الصدد ان تلك النظم الدولية اصبحت مملوكة لشركات اكثرها خاص. تعمل على توفير القنوات القمرية على المستويات الاقليمية او العالمية. "وكل من يريد ان يستخدمها مقابل اجر". وبالتالى ظهرت القنوات التليفزيونية الاقليمية التى تغطى عددا من الدول يضمها اقليم واحد كما هو الحال بالنسبه لاوربا او جنوب شرق آسيا، او الدول

---

[١٣] عبد الله الجاسر، "الاعلام العربى والنظام الاعلامى الجديد" ندوة العالم العربى وتحدياته فى ظل النظام العالمى الجديد. مركز الدراسات العربى والاوروبى، باريس يناير ١٩٩٣.

انظر ايضا، بول بالطا، "صورة الاعلام العربى ودور وسائل الاعلام الاوربية"، ندوة العالم العربى وتحدياته فى ظل النظام العالمى الجديد، مركز الدراسات العربى والاوربى، باريس يناير ١٩٩٣.

الامريكية. كما حدث بالنسبه للمنطقة العربية، كما ظهرت قنوات اخرى ودولية تصل الى دول العالم كله شرقه وغربه.[١٤]

هذا الوضع – التجارى – ادى الى قيام تنافس حاد بين القنوات لاجتذاب اكبر عدد من المشاهدين حتى تضمن القدر المناسب من الدخل عن طريق الاعلان او رسوم الاشتراك او منهما معا. وذلك بالنسبه للقنوات التجارية، اما بالنسبه للقنوات التى تهدف تحقيق اغراض سياسية او ثقافية او ايديولوجية، اى محاولة التاثير بهدف تبنى اتجاهات سياسية او اقتصادية لتحقيق غايات بعيدة المدى، اثيرت العديد من المناقشات حول هذه النقطة الهامة والتى تتخذ اتجاهين:–

الاول: ويتعلق باثار هذا التقدم التكنولوجي والعلمى المستمر فى دول العالم الاولى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية فى مجالات الاقمار الصناعية للاتصال الجماهيرى وتزايد هذا القدر من القنوات الفضائية المحملة بالعديد من البرامج والافكار والمعلومات، الاقليمية منها، والتى تغطى منطقة جغرافية محددة غالبا ما تتفق وتتواصل من خلال عادات وتقاليد ولغة متقاربة، او عالمية والتى تحلق بعيدا وتقتحم مجتمعات تختلف فى العديد من الاوجه، وفى التوجهات السياسية والاقتصادية والفكرية ...

ولقد اثار هذا التدفق الاعلامى والثقافى القاوم من الولايات المتحدة الامريكية قلق دولة عريقة فى ثقافتها فى اوربا الغربية مثل فرنسا، واصبحت فى موقف المدافع عن هويتها وثقافتها. فلقد علق "شارل البير ميشاليه" على هذه الظاهرة الاعلامية بانها من اخطر الظواهر تهديدا للامن الثقافى والايديولوجى والوحدة والهوية القومية داخل الاقليم الوطنى للدولة.[١٥]

فالشركات المتعددة الجنسيات الخاصة والتى تمتلك. هذه القنوات الفضائية الدولية والاقليمية تتسابق وتتصارع للوصول الى الاخبار والمعلومات المتعددة فتفوقها الاقتصادى والمادى يؤهلها لانفاق الاموال الطائلة بهدف المنافسه والربح

---

[١٤] سعد لبيب، "الاعلام وتكنولوجيا المعلومات"، مجلة الدراسات الاعلامية. المركز العربى للدراسات الاعلامية، القاهرة ١٩٩٤.

انظر فى هذا الصدد

- A. M. MATTELART PENSER LES MEDIAS EDT DECOUVERTE. 1986 P 393.

[١٥]

(1) YVES ACHILLE, I. BUENO, LES T.V., PUBLIQUES, EN QUETE D'AVENIR. PRESSES. UNIV. DE. GRENPBLE. 1994.

ومستفيدة فى ذلك بالضائقة المالية والمادية التى تعانى منها بعـــض المحطـات الوطنية الفرنسية فى فرنسا وبلجيكا خاصة. فبالتالى اصبحت تلك الشركات تمتلك ادوات هائلة للتسلط والسيطرة الفكرية والسياسية .. والاقتصادية .. فتفوقها فـــى صناعة الثقافة والخبر والمعلومة يؤهلها لمزيد من التدخـل والهيمنـة والتسـلط وتهديد الهوية والامن الثقافى.[٢٦]

هذا المنطلق حول القضايا التى يثيرها التطور التكنولوجى الهـائل فـى مجالات الاقمار الفضائية للاتصال وما تطرحه من تحديات متعددة امام القوميـة والهوية الثقافية يمكن اختزاله فى النقاط الاربع التاليه:-

اولا: وكالات الانباء العالمية وتفوقها فى جميـع المعلومـات وصناعة الخبر وتأكيد اللا توازن الاعلامى والثقافى وعدم التكافؤ فى مقومات الحوار بين الثقافات:

ولما كانت وكالات الانباء العالمية هى مصدر الاخبار والبرامج المتعددة التى تمد وتغذى القنوات الفضائية فهى اذن تعد مصدرا للقلق والتوتر. واثـارات هذه النقطة مناقشات متعددة حول مستقبل الثقافة والخصوصية القومية خاصة فى دول العالم النامى والدول الاقل تقدما فى اوربا فتفوق وكالات الانباء العالمية من الناحية التكنولوجية يؤدى الى سيطرة القنوات الفضائية على الخصوصية القومية.

ولولى الاثار المترتبة على هذا التفوق العلمـى والتكنولوجـى والتقنـى لوكالات الانباء هى امتلاكها لهياكل البنية الاساسية المتعددة لبناء صرح هـائل للمعلومات، قادر على اعادة الصياغة والتحليل والنشر الفورى، وامتلاك التقنيات الحديثة والخبرات المتنوعة لاعادة انتاج هذه المعلومات وصناعتها مـن خـلال الاشكال المتعددة لوسائل الاتصال الجماهيرى. وتنتج البـرامج والاخبـار فـى صورة تنافسية متعددة لمعالجة الاحداث من جميع جوانبها لجذب المتلقى ايا كانت هويته لتقنعه بالعديد من المفاهيم. ولقد هيأ لها هذا التفوق فى تجميع المعلومـات واعادة انتاجها فى قوالب متعددة وفقا لنظام مدروس ومنهج علمى متفـق عليـه لدراسة المجتمعات النامية منها والمتقدمة. فتطبق نظريات المعرفة وعلوم النفس والانثروبولوجيا الثقافية .. لتحليل الجوانب المتعددة للانسـان، حتـى تخاطبـه

---

(2) ANDRE VITALIS. MEDIAS ET. NOV. TECH. POUR UNE SCOCIO - POLITIQUE DES USAGES. EDT APOGEE 1994.
(3) BOURDON. J. HAUTE FIDELITY. POUVOIR TELEVISION. SEUIL. 1994.

بالمنطق الذى يتلاءم وهويته، وبالمثل تقوم بتحليل وتفسير الحياة السياسية للشعوب وتاريخها واحداثها وتطورها وتجمعاتها الاقليمية والجغرافية والسياسية. كل ذلك تقوم به وكالات الانباء العالمية. فهى تستخدم العلم والبحث العلمى للتحليل والصياغة والتعرف المستمر على قضايا الانسان فى المجتمعات المتعددة لتحكم قبضتها على الفكر والثقافة .. ويهيئ لها التطور التكنولوجى والتقنى والصناعى فى المجالات المتعددة تطوير الصورة والصوت والتكنيك، فتقدم هذه المعلومات فى قوالب مبهرة فتقتحم المجتمع لتقنعه بمنطلقاتها الفكرية دون مراعاة لشخصية وعادات وتقاليد وقيم الاخر، فهى قنوات تنطلق من خلال اهداف دعائية وايديولوجية خاصة بدول المصدر لترويج منتجاته وعلومه وسياسته، متباهية بتطوره وتفوقه العسكرى والصناعى والاجتماعى ....

ولقد طرحت فى اروقه اليونسكو ما يسمى بالنظام العالمى الجديد للحد من ظواهر الخلل الذى احدثته وكالات الانباء العالمية من تطوير لصناعة الاخبار والاحداث والمعلومات المتعددة وتوزيعها على القنوات الفضائية العالمية لتغذية برامجها. وتؤهلها لعمليات الهيمنة الفكرية. والثقافية والسياسية .. ولتحجيم مخاطر تلك التقنيات الاعلامية، وتوجيه سياستها الاعلامية بطريقة تراعى القيم والمبادئ والسلوكيات التى تسير عليها الانظمة الاجتماعية فى دول العالم الثالث. [١٧]

فقوام تلك الهيمنة والسيطرة هى ثقافة الاتصال الجماهيرى التى تبثها وكالات الانباء العالمية من خلال الاقمار الصناعية للاتصال والثوابت الفضائية الى دول العالم المتقدم والنامى فى نفس الوقت لتعلن عن سيادتها وهيمنتها فى مجالات المعلومات والثقافة. فهى المصدر شبه الوحيد للمعلومات الذى ياخذ شكل خبر او برنامج او فيلم تسجيلى او دعائى .. "ان ربع سكان الكرة الارضية الغربيين يهيمنون باعلامهم على ثلاثة ارباع الاجزاء الاخرى بما فى ذلك العالم العربى. ناهيك عن السيطرة التقنية عن طريق الاقمار الصناعية والبث المباشر والاذاعات الدولية والكتاب الدولى" وكلها معلومات استطاعت ان ترصدها كل يوم تلك الوكالات العالمية للانباء . [١٨]

١٧

- A ET MICHELE MATTELART PENSER LES MEDIAS.
- A MATTEART. LA CULTURE CONTRE LA DEMOCRATIE. DECOUVERTE. PARIS 1984.

١٨ عبد الله الجاسر، "الاعلام العربى والنظام الاعلامى الجديد بمرجع سابق.

انظر فى هذا الصدد:

ولهذا التسلط والتفوق فى تدفق الاخبار والبرامج المكتوبة والمقروءة والمرئية المسموعة مظاهر متعدد يمكن حصرها من خلال عدد الكلمات التى يمكن لوكالات الانباء العالمية رصدها وبثها فى اليوم الواحد.

فلقد اكدت الدراسات ان ٨٠٪ من تدفق المعلومات فى العالم تقود مسيرتها وكالات الانباء الاربع العالمية ("الاسوشيتيدبرس" ، "ويونايتدبرس" الامريكيتان، ووكالة "رويتر البريطانية"، ووكالة "الصحافة الفرنسية").

وعلى سبيل المثال نذكر ان اهم وكالتين عالميتين وهما امريكيتان ترصدان تقريبا عشرة ملايين كلمة يوميا "فيونايتدبرس" تنتج بمفردها اكثر من سبع ملايين كلمة يوميا وعدد المشتركين فى تلك الوكالة الامريكية العالمية سبعه الاف مشترك فى ٩٦ دولة فى العالم، وبها مايقرب من عشرة الاف صحفى ومعد برامج وكاتب سيناريو .. ومراسلون فى اكثر من اربع وخمسين دولة.

اما "اسوشيتيدبرس" فيعمل بها اكثر من الفين وخمسمائة صحفى ومراسل فى اكثر من ١٣٨ دولة فى العالم، وتصل اعداد الاشتراكات الى عشرة الاف فى ١٠٧ دولة.

وتلى ذلك فى المرتبة وكالة "رويتر" البريطانية، حيث يعمل بها خمسمائة صحفى و ٨٠٠ مخبر (ثمانمائة) ومراسل فى ثلاث وستين دولة، وعدد الاشتراكات بهذه الوكالة يصل الى سته الاف وخمسمائة فى اكثر من مائة وخمسين دولة، وتبث فى اليوم الواحد وترصد مليون ونصف المليون كلمة.

وتأتى فى المرتبة الرابعة وكالة الانباء الفرنسية، حيث تنتشر مراكز ارسالها المتعددة فى اكثر من ١٦٣ (مائة وثلاث وستين) دولة فى العالم ويصل عدد الاشتراكات اثنى عشر الف واربعمائة مشترك فى مائة وسبع واربعون دولة ويعمل بها ١٩٩٣ الف وتسعمائة وثلاثة وتسعين من الصحفيين والمراسليين والمحققين وترصد وتبث فى اليوم ما يقرب من ستمائة الف كلمة. [١٩]

هذا التفوق فى المعلومات الاعلامية الصحفية منها والفيليمية والاذاعية يسبقها تفوق اخر فى مجالات التأليف والنشر والابداع فى مختلف مجالات البحث العلمى بكافة مجالاته، فمن اصل ٥٠٠ الف كتاب مصدر فى العالم سنويا. وباستثناء الولايات المتحدة الامريكية التى تصدر نصف هذا العدد تقريبا فى

• MATTELART CUTURE LA DEMOCRATIE. DECOUCERTE

1- ALBERT SAMUEL. COMPREDRE LINFORMATION, COLLECTION EVEIL, PARIS 1985.

السنه فان ١٨ دولة فى المتوسط تصدر ١٢٥ الف كتاب اى ما يعادل ٢٥٪ من المجموع العام. وان اربع دول متوسطية تصدر ٨٠٪ من ١٢٥ الف كتاب، فرنسا بمفردها ٣٥ الف كتاب سنويا واسبانيا ٣٠ الف كتاب وايطاليا ١٩ الف كتاب، ويوغوسلافيا سابقا ١٢ الف كتاب، وتأتى تركيا في المرتبة الخامسة اذ تصدر ٧ الاف كتاب، اما المجموعة العربية التى تضم ٢٠٠ مليون نسمه، فانها لا تصدر سوى ٢٪ اى عشرة الاف كتاب وتاخذ مصر حصة الاسد اى ما يعادل النصف من هذه الكمية .." [٢٠]

ويؤكد هذا العنصر الاخير كما يشير "بول بالطا" ان الدول النامية اصبحت لا تنتج وتصيغ اخبارها وثقافتها بمفردها، بل اصبحت دول اخرى تتولى عنها هذه المهام وتقوم بصياغة جانب كبير من اخبارها بكل ما تحمله من قيم وفكر واحداث جارية سياسية واقتصادية واجتماعية.

فاصبح الخطاب الاعلامى الغربى يدعم افكار تساند سياسته ومصالحه ويروج لقيم وثقافات قد تهدد فى المدى البعيد عناصر ورموز وثقافة دول العالم النامى والدول الاقل تفوقا فى صناعة الخبر وثقافة الاتصال الجماهيرى.

فالثورة العلمية والتكنولوجية واستخدامتها فى مجالات الاعلام والاتصال الجماهيرى والمعلومات وتمركزها فى عدد قليل من الدول الصناعية المتقدمة عن طريق وكالات الانباء العالمية ادت الى خلق قضايا ثقافية متعددة لعل اخطرها تلك المرتبطة بعملية عدم التكافؤ فى مقومات الحوار بين الثقافات اى عدم التكافؤ فى توزيع المعلومات والمعرفة.

ثانيا: قنوات الفضاء التليفزيونية وتأكيد حدة الصراع الفكرى والايديولوجى..واثارة قضايا الامن القومى فى الشمال والجنوب:-

ازدادت التحديات التى تواجهها ليس فقط شعوب دول العالم النامى، ولكن ايضا دول وشعوب العالم المتقدم فى اوربا، نظرا للمتغيرات العالمية والاقليمية والمحلية التى حدثت بصورة مذهلة. فغيرت من موازين القوى فى الشرق والغرب ... وهذا ما اكدته العديد من الدراسات [٢١] والتى تلقى جانبا كبيرا من

---

[٢٠] بول بالطا/ "صورة الاعلام العربى ودور وسائل الاعلام الاوربية" مرجع سابق.

[٢١]

1- DOMINIQUE VOLTON, ELOGE DU GRAND PUBLIC. UNE THEORIE CRITIQUE DE LA TELEVISION PARIS FLAMMARION. ABOUT. 1990. 316 P.

انظر ايضا :

مرجع سابق

المسئولية على الاعلام الامريكى فى الولايات المتحـــدة الامريكيـــة، وخاصـــة الاعلام والاتصال الجماهيرى عبر القنوات الفضائية الدولية والتى تغذيها وكالات الانباء العالمية بالعديد من البرامج المصورة المرئية المسموعه وتغطى جوانـــب متعددة سياسية وثقافية واجتماعية وتاريخية واقتصادية .. فاصبحت لتلك القنوات طاقات هائلة وقدرات واسعة للهيمنة والتســلط الفكــرى والثقــافى والمعرفــى، واصبحت فى العقد الاخير من القرن العشرين احد مصـــادر وادوات الصـــراع الثقافى والايديولوجى بين الدول المتقدمة فى اوربا فيمـــا بينهـــا، وبيـــن الـــدول المتقدمة ودول العالم النامى.

وحتى نتفهم حقيقة هذا الصراع يجب الاشارة الـــى ان طبيعـــة النظـــام الدولى الراهن لا تزال تقوم على مبدأ الامن القومى، اى حماية حـــدود الدولـــة الداخلية والخارجية. ويعكس هذا المبدأ نفسه على وسائل الاعلام والثقافة المتعددة لتأكيد هذا المبدأ فى الدول المتقدمة والنامية على السواء.

ولكن تلك القدرة على حماية الحدود وحماية الامن القومى، ليست متكافئة لتحقيق تلك الحماية الثقافية، اى حماية قيمها وثقافتها واخبارها واعلامهـــا مـــن الاختراق والتشويه. وكما ذكرنا من قبل ان قدرات الـــدول العظمـــى وخاصـــة الولايات المتحدة الامريكية، الاعلامية والثقافية والتكنولوجيـــة هيـــأت لوســـائل اتصالها اختراق الحدود القومية، واصبح هناك اعلام عالمى يقـــوم علـــى مبـــدأ الاتقان فى توصيل الخبر مستغلين فى ذلك تقنيات وفنون مبهرة لها قدرة علـــى الامتاع والتأثير فى نفس الوقت. فالصورة والصوت والخـــبر والمعلومـــة كلهـــا وضعت فى اطار اعلامى وثقافى وفنى يوجه غالبا غايات لتحقيق اهداف مستترة بعيدة المدى تخدم سياسة وايديولوجية الدول المتقدمة.[٢٢]

وتصبح شعوب الدول النامية والدول الاقل تفوقا فى مجالات التكنولوجيا وصناعة الاتصال الجماهيرى امام تيار اعلامى مغرض لا يمكن تلافى تـــأثيره على العقبات المختلفة.

وولد هذا الوضع صراعا فكريا جادا بين الدول المتقدمة فـــى صناعـــة الاعلام والثقافة والدول الاخرى الاقل تقدما، ويمكـــن صياغـــة هـــذا الوضـــع

- YVES AVHILLE, TELEVISIONS PUBLIQUE
- A. ET MICHELE MATTELART. PENSER LES MEDIAS

[٢٢] مرجع سابق

1- EDGAR MORIN. SCIENCE AVEC CONSCIENCE.

المتصارع من خلال تحليل فكرة الحرية والمساواة وحق التعرض لبرامج القنوات الفضائية للاعلام والاتصال الجماهيرى.[٢٣]

اكدت الدراسات الاعلامية على ان الاعلام والاتصال الجماهيرى كانا فى الماضى القريب ادوات هامة لتأكيد مبادئ حقوق الانسان، حول مبدأ الحرية والمساواة والحق فى التعرض للثقافة والاعلام، واذا كان هذا المبدأ فى الماضى اساسا وركيزة للتقدم الفكرى والثقافى، اصبح فى الفترة الحديثة يعرض المجتمعات لمزيد من الصراع الايديولوجى والعنصرى خاصة فى تلك الدول الاقل تفوقا فى صناعة الثقافة والاعلام الجماهيرى فتعرض تلك الدول لمضمون وثقافة الاتصال الجماهيرى للدول المتقدمة، يطرح مسألة الاستقلال الثقافى كتحد من التحديات الكبرى التى اضيفت امام الدول والشعوب الاقل تقدما فى الشمال والجنوب [٢٤]. بل اصبحت هذه المسألة مصدرا من مصادر القلق والتوتر حتى فى الاقطار المتقدمة من القارة الاوربية. ففكرة الامن القومى، والامن الثقافى، اى حماية الثقافة القومية من الاختراق والذوبان فى الثقافات الاخرى، وهو ما يتعارض مع مبدأ حقوق الأنسان فى التعرض لمضمون الثقافة والاعلام.

ففكرة الامن القومى والثقافى تعنى اليوم عدم التبعية للغير، تبعية ثقافية تنال من الهوية الوطنية والقومية. ولكن فى ظل تفوق دول فى العلوم والتكنولوجيا وفنون صناعة الثقافة الى جانب تلك المقدرة الفائقة فى توسيع دائرةالانتشار، والبث عن طريق الاقمار الصناعية للاتصال وتعدد القنوات الفضائية للاتصال، اصبحت تلك الثقافة الوافدةيمكن التقاطها من خلال الدش" او الهوائى، فاصبح الوضع اكثر تعقيدا واصبحت المطالبة بالاستقلال الثقافى تطابق تماما فكرة المطالبة بالاستقال السياسى والاقتصادى، فالتليفزيون الدولى لايحقق بواسطة القنوات الفضائية الاخذ والعطاء الثقافى اى التواصل الفكرى والثقافى، ذلك "لان العلاقة منذ البداية غير متوازنة. "فالغلم والتكنولوجيا او التقانة" وهما عنصران من عناصر الثقافة لا وطن لهما، وبالتالى فهما لا يدخلان فى علاقة جوهرية مع الهوية الوطنية والقومية. وبعبارة اخرى ان عدم امتلاكها ومن ثمة الاضطرار الى استيرادهما لا ينال مبدئيا على الاقل من الكيان الوطنى او القومى لا على المستوى السيادة ولا على مستوى الهوية، غير انه عندما يتحولان الى وسيلة يوظفها اهل ثقافة معينة فى اختراق ثقافات اخرى بقصد التوسع والهيمنة فان الامر يختلف هنا ونكون فعلا ازاء تبعية ثقافية تفرضها الثقافة المالكة للعلم

---

[٢٣] انظر هذا الصدد المرجع السابق

- A MATTELART. LA CULTURE CONTRE LA DEMOCRATIE

[٢٤] (١)، (٢) محمد عابد الجابرى، الثقافة العربية اليوم، مسألة الاستقال الثقافى. المستقبل العربى العدد (١٧٤) – ١٩٩٣

والتقانة على الثقافات التى لا تملكها او تتوفر عليهما بمستوى ادنى ... وهذا ما حاصل فعلا فى عالم اليوم .. فالهيمنة الثقافية من طرف القوى المالكة .. اصبحت تخدم الهيمنة الاقتصادية والسياسية وهكذا فالاختراق الثقافى ليس خطرا على الهوية وحدها بل انه سيهدف من وراء الهيمنة الثقافية فرض التبعية الاقتصادية والسياسية" [٢٥]

وكان يجب على تلك الدول المهيمنة والمسيطرة على ثقافة الاتصال [٢٦] الجماهيرى وكما يسميها البعض "الدول التى تمارس الامبريالية الثقافية على العالم اجمع بما فيها (دول اوربا الغربية). ويعنون الولايات المتحدة الامريكية". وكان يجب اذا على تلك الدول الامبريالية ان تحمى هذا الحق المكتسب من خلال تاكيد وترويج مبادئ متعددة كمبدأ الحق والحرية والمساواة فى الاتصال والتعرض لمضمون ثقافة الاتصال ومن بينها ثقافة التليفزيون. فمن خلال تدعيم مبادئ حرية الفرد والحق فى الاختيار فان لتلك الدول المصدرة للتكنولوجيا والاعلام والاتصال الجماهيرى فى ثنايا تطبيق حقوق الانسان، فهلا تحمى صناعتها الثقافية التى تبثها برامج التليفزيون الدولى والقنوات الفضائية، والتى تعتبر اداته الحديثة والهامة لبث افكار جديدة وتصدرها للعالم بهدف غزو اسواق جديدة وثقافات وكيانات تستطيع تحطيم ارادتها بالمنطق والابهار والمعلومات والبرامج المتعددة [٢٧].

ونؤكد هنا مع "فولتون" ان الدول الكبرى تحمى ليس فقط افكارها بل تعممها فى اطار اوسع مستفيدة فى ذلك بثورة الاتصالات والتطور المستمر فى الاقمار الصناعية والقنوات الفضائية العالمية التى تضاعف من امكانيات تعميم هذاالفكر الغربى فى صور مختلفة واشكال متعددة من البرامج والمعلومات.

ويمكن القول اذا ان الدول الكبرى تنظر الى القنوات الفضائية للاتصال الجماهيرى ونشر الثقافة كاحد الانجازات الكبرى التى تحقق استراتيجيتها الثقافية والسياسية وتدعم افكارها الاقتصادية [٢٨] فهى احدى المنجزات التى حققتها

---

[٢٥] انظر ايضا فى هذا الصدد المراجع السابقة:

- A.M. MATTELART, PENSER LES MEDIAS.
- YVES. ACHILLE, LES TV. PUBLIGUES

[٢٦] المصدر نفسه

[٢٧] مرجع سابق DOMINQUE VOLTON - POBLIC

[٢٨] دومنيك فولتون، ELOGE DU GRAND PUBLIC

بمجهود طويل وشاق من العمل والعلم والاتقان والبحث العلمى والتى يجب عليها حمايتها بكل الطرق والوسائل حتى ولو كان هذا على حساب دول وشعوب العالم الثالث.

هكذا يعتقد مفكرو وكتاب الغرب للدفاع عن شرعية الدول المتقدمة وحقها فى دعم افكارها ومنطقها واستراتيجيتها التوسعية.

ثالثا: "الاستثمار فى صناعة الاتصال الجماهيرى وتاكيد الصراع بين الشرق والغرب [٢٩]

وينظر الى وسائل الاتصال الجماهيرى كاحد المصادر الهامة للاستثمار والربح، وتترقب نظرا لذلك الجماعات والشركات الدولية المتعددة الجنسيات الدخول كشريك لتمويل مشروعات الاتصال الجماهيرى وصناعة الثقافة فى معظم دول العالم. ففى اوربا الشرقية وبعد تصفية وانهيار الاتحاد السوفيتى، كان امام هذه الشركات الفرصة الكبرى للانقضاض وشراء اهم الصحف الوطنية واقامة محطات خاصة للاذاعة والتليفزيون تبث عبر القنوات الفضائية للاتصال. فابتداء من اوائل ١٩٩٠ بدات هذه الجماعات فى تنفيذ مخطط واسع للهيمنة والانتشار فى اوربا الشرقية، اما فى اوربا الغربية فكانت حركة الاستثمارات فى دول كاسبانيا والبرتغال واليونان مثلا انشط كثيرا من الدول الاخرى الاوربية الغربية فاصبحت تلك الشركات الدولية تسيطر الى حد اكبر مساحة من المضمون الاعلامى فى وسائل الاتصال الجماهيرى، وتبثها عن طريق القنوات الفضائية الدولية للاذاعة والتليفزيون وكان من نتائج هذا الاجراء ان اصبح الاعلام الوطنى والثقافة الوطنية فى وضع غير متوازن وغير متكافئ من حيث الجودة والتنوع والاتقان وكثافة المعلومات ... فلا بد ان تهيمن ثقافة الطرف الاقوى اقتصاديا وتقنيا على ثقافات ومضمون وسائل الاعلام الجماهيرى للدول الاقل تفوقا .. هذا الوضع اذ يؤدى الى مزيد من الصراع.

ولعل وضع بلجيكا فى اوربا الغربية تقدم مثالا اكثر وضوحا لتلك العلاقة بين الهيمنة الاعلامية للدول الاجنبية عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات

---

[٢٩] انظر فى هذا الصدد المراجع التالية

- BOURDON J. HAUTE FIDELITY - POUVOIR. ET TELEVISION. SEUIL. 1994.
- CHAMART M. E ET KIFFER, LA TELEVISION DIX ANS D' HISTORIRE SECRETE. FLAMMARION. 1992.
- KOPP - P HA - TV - EN CONCURRENCE. ANTHROPOS. 1990.

والاعلام الوطنى، فهى كدولة صغيرة اوربية تفتقر الى الوحدة الثقافية والقومية بسبب انقسامها اللغوى والثقافى فهى من اكثر الدول الغربية عرضه للاختراق الاعلامى والثقافى من قبل الدول الاخرى فى اوربا وخاصة هولندا والمانيا وفرنسا.، هذا الى جانب القنوات الناطقة بالانجليزية والتنوع يعتبر من اكبر النسب فى اوربا الغربية. ولعل هذه القضية تتصدر اهتمام الباحثين والدارسين هناك لاعتبارها من اهم العوائق لاستمرار هيئة الاذاعة والتليفزيون البلجيكية بشقيها "الفراكوفون" والنيرلاندفون" RTBN - RTBF لتحقيق الوحدة والهوية القومية البلجيكية.[٣٠]

ويخلق هذا الوضع التنافسى بين القنوات الوطنية والقنوات الاخرى الدولية للاتصال ردود فعل عنيفة وصراع بين المستويين الشعبى والرسمى على السواء، لحث المسئولين فى مجالات الثقافة والاعلام لوضع صيغ اكثر حزما تحقق التوازن الثقافى والمحافظة على الهوية والوحدة القومية.

ولعل هناك وجها اخر من القضية يفسر هذا الوضع المتأزم فى اوربا الغربية. ومساندة وسائل الاعلام والثقافة الدولية خاصة القنوات الفضائية فى تاكيده وهو الميل الى العالمية والتكتل الاقتصادى. هذا العامل يضع الدول القومية امام اعتبارات ضيقة للغاية. اما الترابط والتبعية المتبادلة فى مقابل التخلى عن جزء من الهوية والسيادة الثقافية والسياسة القومية، او التقوقع والعزلة القومية والانغلاق الثقافى والاقتصادى. وتنعكس هذه الاوضاع على مضمون الاعلام وثقافة الاتصال الجماهيرى. وهذا ما يحث فى الاونة الاخيرة فى اوربا الغربية. ويخلق نوعا من الصراع الحاد، اما تقلص فى الدور الرائد للدولة الوطنية والامة فى صنع القرار، وبالتالى التبعية لمراكز التكتل الاوربى، او السيادة والعزلة الوطنية.[٣١]

ويخشى من هذا الوضع على المسألة الثقافية حيث "تؤدى الوحدة الاقتصادية والسياسية بين دول اوربا الغربية الى الغاء دور الدولة الوطنية فى حفظ واخصاب الثقافة الوطنية المؤسسة لهويتها كدول من نوع الدولة – الامة،

---

[٣٠] مرجع سابق - YVES ACHILLE, HES TELEVISIONS

[٣١]

2- ACHILLEYY ET MIEGE B. "THE LIMITS OF THE ADAPTATION. STRATGIES EUROPEAN POBLIC SERVICE TV. " IN MEDIA. CULTURE AND SOCIETY. SAGE. LONDON. VOL 16. 1994.

الامر الذى يهدد بانبعاث النعرات الاثنية والطائفية على مستوى القارة لاوربية .. مما سيجعل اوربا تتحول من مجموعة من الدول الوطنية المعتزة بثقافتها المتمسكة بهويتها الى فسيفساء من الاثنيات والطوائف والثقافات المنفردة لا يجمعها سوى سوق اقتصادية مشتركة" فى غياب الثقافة المشتركة المقومة للهوية، فلن يجمعها على الصعيد الثقافى شئ اخر غير ما تفرضه الهيمنة الاعلامية التجارية التى تمارسها الولايات المتحدة من خلال القنوات الدولية للاتصال الجماهيرى.

رابعا: الصراع الاوربى وتفسير المحنة والقضية التى تواجهها الثقافات القومية هناك وتخلق نوعا اخر من الصراعات السياسية:

فلقد ادى انهيار الاتحاد السوفيتى الىانحسار اهمية الفكر الاشتراكى والايديولوجية الماركسية لتحل محلها فلسفة الاقتصاد الحر وايديولوجية اليمين المتطرف المسيطر والموجه للفكر الاقتصادى والثقافى، وتؤكده وسائل الاعلام وتقنياته المتقدمة من خلال القنوات الفضائية، فكما كان يحدث فى عهد الثورة الصناعة، فالفكر الاوحد المسيطر كان الفكر الليبرالى المتطرف. هذا فى مقابل النزعة القومية والقطرية التى كانت سائدة فى اوربا منذ بدايات العشرينات من القرن العشرين وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية [٣٢]

ويظهر الان وبشدة هذا المد الجديد الاقتصادى والثقافى الذى يريد استعادة فكرة القوميات والحفاظ عليها. وقد يشكل هذا الوضع المتصارع خطرا كبيرا على الوحدة الاوربية ويقضى عليها تماما، لكن سلاح مقاومة اوروبا الموحدة هو الاعلام والدعاية ونشر الثقافة الاوربية الموحدة مستغلة فى ذلك القنوات الفضائية للاتصال وتركز تلك السياسة الاعلامية الاوربية على التليفزيون الدولى تركيزا مكثفا لتحقيق تلك الاهداف والغايات العاجلة. وهنا العديد من الامثلة على الوسائل المستخدمة لتحقيق تلك الاهداف، وهو تقديم تلك النزعات القومية المتعدد فى صورة سلبية، فتتنافس القنوات الفضائية للاتصال فى اوربا من خلال البرامج العديدة لمعالجة تلك القضية بصورة مكثفة فتلقى الاضواء على هؤلاء الذين يؤيدون الفكر القومى الوطنى، فتارة يعالجون اراءهم

٣٢

1- JEAN - MARIE DOMENCH. EUROPE: LE DFFICOLTUREL, LA DECOUVERTE, PARIS. 1990 .
P 127.

بموضوعية وتارة اخرى يحرضون الراى العام الاوربى تجاههم فيشككون فـــى نواياهم السياسية، ويتهمون هؤلاء بالنزعة الفاشية والنازية فى ميولهم [٣٣].

ولا شك ان تحيز الاعلام الغربى وخاصة التليفزيـــون الدولـــى لفكـــرة التكتلات الدولية والوحدة الاوربية اصبح جوهر المســـألة الثقافيـــة فـــى اوربـــا الغربية.

اذا يمكن القول ان هناك اربعة محاور اساسية تشكل وتعكـــس الاوجـــه المتعددة للصراع الاوربى، وياخذها الاعلام الدولى وقنوات الاتصال الفضائيـــة خاصة التليفزيونية محورا لبرامجه المكثفة. وكلها تؤدى الى عنصر واحد وهـــو الصراع بكل اشكاله اما الصراع من اجل تحقيق القومية الاوربية مقابل الانطواء على الذات الوطنية، او رفض اوربا. ام التجانس العرقى والدينـــى اى رفـــض الاقليات الدينية وتنقية اوربا مثال حرب البوسنة" ورفض الهجـــرة الـــى اوربـــا والاضطهاد العنصرى.

خامسا: قنوات التليفزيون الدولى والهوية العربية:

ولاشك ان ما قدمنا فى النقاط السابقة يوضح ويؤكد الاهـــداف الثقافيـــة والاقتصادية والسياسية للدول المسيطرة فى الغرب ولا شك ان لهذه السياســـات الاعلامية والثقافية دلالتها وانعكاساتها المتعددة على الاوضاع الثقافية والاعلامية اى على الهوية والذاتية الثقافية العربية.

فالقضية التى نود طرحها فى تلك النقطة تتعلق بالقضايا التى يمكـــن ان تثيرها قنوات الاتصال الدولية على مجتمعات وشعوب دول العالم النامى ومصر بصفة خاصة، فهى المحور والهدف الذى يشكل تحليلنا منذ البداية.

لقد اصبحت ثقافة الاتصال الجماهيرى بمفهومها الغربى احـــد عنـــاصر التسلط الفكرى والثقافى، (وكما اوضحنا من قبل فى النقاط السابقة)، والتى يمكن ان تؤثر تاثيرا سلبيا على الثقافة والهوية العربية برموزها المتعددة.

ولعل السؤال الملح فى هذه النقطة هو الى اى مدى تهدد قنوات الفضـــاء الدولية بكل ما تحمله من برامج ثقافية ودرامية وفنية ومعلومات واخبار الهويـــة الثقافية والذات الوطنية العربية خاصة فى مصر؟

وحتى يمكن الرد الموضوعى على هذا السؤال نقوم بتحليل النقاط التالية:

١- الديموقراطية والحق فى الاتصال من منظور عربى.

---

[٣٣] انظر ايضا فى هذا الصدد

- H.P CATHALA. LA TEMPS DELA DESINFORMATION. STOCK, PARIS 1986. P 271.
- A MATTELART, CULTRE LA DEMOCRATIE, DECOUVERTE. PARIS 1984.

٢- الدراسة الميدانية لجمهور القنوات الفضائية فى مصر.

تلك النقاط سوف تضع امامنا مسارا لخطة مستقبلية للاعلام العربى على المستوى القطرى والمستوى الاقليمى العربى.

ولحصر هذا الاطار المترامى نقدم تحليلنا، وكما سبق ان اشرنا فى النقطتين التاليتين:

١- الديموقراطية والحق فى الاتصال.

٢- الدراسة الميدانية على جمهور القنوات الفضائية فى مصر.

طالبت دول العالم النامى منذ سسنوات قليلة على صعيد المؤتمرات الدولية بالديمقراطية والحق فى الاتصال كرد فعل على مخاوف تلك الدول المنتمية الى العالم النامى لرد انعكاسات السيطرة الاعلامية للدول الكبرى عن طريق ثقافة الاتصال الجماهيرى ومضمون الوسائل الاعلامية والدولية، للاعتراض علىسياسة تصدير تلك الثقافة الاستهلاكية والمواد الاخبارية التى تتدفق من مصدر واحد عن طريق تلك الوسائل الحديثة. والتى لا يأخذ مضمونها اعتبارا للمنطلقات التنموية والثقافية التى يحتاجها الفرد فى دول العالم النامى، فتتدفق البرامج من منطلق واحد ووجهة نظر واحدة دون الاخذ فى الاعتبار وجهات النظر المتعددة الصادرة من دول العالم النامى.[٣٤]

هذه المطالبة كان الهدف منها يتركز فى ايجاد صيغة دولية لحماية حق الدول النامية فى الاتصال والديموقراطية الفكرية، اى ايجاد وتخصيص مساحة معقولة للاعلام القومى فى الدول النامية للتعبير عن قضاياها الحقيقية، وللدفاع عن وجهات نظرها، بدلا من تلك النظرة الاحادية.

ولكن وكما اشرنا من قبل ان منطق القوة والسيطرة الذى يفرضه التميز والتطور المستمر العلمى والتكنولوجى والصناعى والاقتصادى يجب ان يقابله تميز اخر مقابل له حتى يمكن تحقيق هذه المبادئ كالحق فى الاتصال والديموقراطية الثقافية. فما الذى يمكن ان تفعله الدول العربية مجتمعه للدفاع عن قضايا ثقافية وايدلوجية يروجها ويثيرها الاعلام الغربى المتفوق فى الصناعة والتكنولوجيا وعبر القنوات، وتعبر الحواجز والحدود القومية وتبث من خلال التليفزيون فى الحدود القومية - وعبر تلك البرامج الدولية.

---

[٣٤] انظر فى هذا الصدد المراجع السابق،

- A M MATTELART. PENSER LES MEDIAS
  LACULTURE CONTRE LA DEMOC

RATIE لنفس المؤلف السابق

ماذا فعل الاعلام العربى لمواجهة هذه الدعاية الكاذبه ضد الاسلام دنيا وثقافة وايديولوجية. لقد اصبحت تلك النقطة من اهم التحديات التى تواجهها الدول الاسلامية بصفة عامة والعربية ومصر على وجه الخصوص. فبانهيار الشيوعية العالمية .. "يزداد الاتجاه المسيطر فى العقلية الغربية فى الدول المتقد[٣٥]مة نحو اعتبار الاسلام الخصم الذى سيحل محل الشيوعية، كعدو للغرب. فمنذ انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتى يكثف الغرب الدراسات خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية ومؤسسات بحوثه الاستراتيجية فى مختلف المجالات، لمحاولة التعرف على الخصم البديل الذى سيحل محل الاتحاد السوفيتى ويصبح وبمثابة الاخر اى الطرف الطرف او الاطراف المعادية للغرب ولنمط حياته الغربية الامريكية.٢٤

والاوربية، ولقد كان الاتحاد السوفيتى لوقت قريب هو الشيطان الاكبر او الخطر الاحمر الذى يعمل الغرب على مقاومته، وكانت اجهزة الاعلام والدعاية وثقافة الاتصال بكل امكانياتها الجبارة التقنية والثقافية والبحثية وبرامجها المتنوعة المبهرة من الناحية الفنية والفكرية تتجه لترسيخ هذه الافكار منذ فترة طويلة.

اما الان وبعد انهيار تلك القوى المعادية للمجتمع الغربى الاوربى والامريكى فى الولايات المتحدة كان لابد من ملء هذا الفراغ، وهناك بدائل متعددة لملئه اى هناك اكثر من مرشح، الخطر الاصفر والذى يرمز الى النهضة الاقتصادية فى شرق اسيا ومثل انتشار الاسلحة النووية فى عالم الجنوب وانتشار الارهاب الموجه ضد المصالح الامريكية وغرب اوربا، فالتركيز الان يقع على الاسلام بصورة خاصة. [٣٦] وهم فى ذلك يجندون الجهد والمال والبحث العلمى لايجاد الصيغ المناسبة والبراهين المنطقية التى يمكنها الاقناع وتاكيد تلك الصورة الخاطئة.

فلقد بدأوا يضعون العديد من الدلالات والرموز لهذا الخطر المزعوم "كالخطر الاخضر" "فهو ضخم ومخيف ومعاد للغرب ويتغذى على الفقر والسخط وينتشر فى بقاع عديدة من العالم مما يسمح باظهار خرائط العالم الاسلامى على شاشة التليفزيون باللون الاخضر كما كانت الدول الشيوعية تظهر باللون الاحمر. [٣٧]

---

(١) محمد عابد الجابرى "الاستقلال الثقافى" . مرجع سابق.

[٣٦] ذات المصدر السابق نقلا عن احمد موصلى

[٣٧] ذات المصدر السابق نقلا عن

وتؤكد العديد من الدراسات الاستطلاعية فى الغـــرب الاوربـــى، منـــذ منتصف الثمانينات هذه الصورة عن العربى والاسلام بصفـــة عامـــة، وتؤكــد بموجبه ان ٥٥٪ من الفرنسيين الذين اجرى معهم الاستطلاع يعتبرون الاســـلام "بمثابة عامل للحرب"، واستطلاع ثالث اجرى عام ١٩٨٩ من قبل "وكالة ايثوب" بطلب من صحيفة لومند وراديو لوكسمبورج، وتناول اوضـــاع المســلمين فـــى فرنسا، وتنتمى هذه الفئة الى ابناء وشعوب العـــالم العربـــى بنســبة ٥٠٪ مـــن مجموعة المسلمين فى فرنسا) ، ولقد تبين بموجـــب هـــذا الاســتطلاع ان كــل فرنسيين اثنين من اصل ثلاثة، لديهما صورة سلبية عن الاسلام.[٣٨]

تلك الصورة القاتمة التى يحاول الاخر بثها فى الفكر والوعـــى القومـــى الغربى، تضع الدول العربية والاسلامية ومصر بصفة خاصة واعلامهـــا امـــام تحديات عديدة وقضايا يجب مواجهتها بموضوعية وطرحها على الـــراى العـــام القومى خاصة من خلال قنوات التليفزيون.

٢- الدراسه الميدانية على جمهور القنوات الفضائية فى مصر:

وحتى نتحقق من تلك التحديات التى تواجه الهوية والثقافة القومية نقـــوم باجراء دراسة ميدانية على عينة من جمهور القنـــوات الفضائيـــة فـــى مصـــر لاستكمال ما بداناه من دراسة حول التحديات التى تطرحها قنـــوات التليفزيـــون الفضائية على الهوية والثقافة القومية وحتى يمكن وضع التدابير والبدائل اللازمة لرسم سياسة مستقبلية للمواجهه والتصدى.

جمهور القنوات الفضائية فى مصر : دراسة ميدانية:

منهجية الدراسة:

فى اطار الدراسات الوضعية استخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعى بشقيه الوصفى والتحليلى للوصول الى بيانات علمية حـــول الظـــاهرة موضـــع الدراسة،وهى التعرض للقنوات الفضائية فى مصر من حيـــث حجـــم التعـــرض وانماطه والمضمون الاكثر جذبا للمشاهدين واثار امتلاك الدش على التعـــرض للاعلام المصرى، وتاثيره ايضا على قيم واتجاهات المشاهدين:

DAVID JGNATIUS "MUSLMAN IN THE WEST SIGHTS THE WRON WASHGDTON POST CRUSADF, 8/3/1992.
- H.P. CATHALA, LE TEMPS DELA DESINFORMATION.

[٣٨] نول بالطا. "صورة الاعلام العربى ودور وسائل الاعلام الاوربية" ندوة العالم العربى مرجع سابق.

انظر ايضا

مرجع سابق

- H.P. CATHALA, LE TEMPS DELA DESINFORMATION

مجتمع الدراسة:

يشكل كل مالكى الدش مجتمع الدراسة، وقد تم تحديد هذا المجتمع بناء على اهداف الدراسة.

اختيار العينة:

وقع اختيارنا على محافظة الجيزة لاجراء المسح على عينة مكونة من ١٥٠ مفردة تمثل اكثر من ٦٪ من مالكى الدش. ويمثل هذه العينه ذكورا واناثا وطلبة جامعة وموظفين واصحاب اعمال حرة.

اداة جمع البيانات:

تم تصميم صحيفة استقصاء مكونة من ٤٢ سؤالا لقياس حجم التعرض واثار هذا التعرض على متغيرات مثل استخدام وسائل اخرى والقيم والاشباعات التى تتحقق من خلال هذا الاستخدام.

فروض الدراسة:-

الفرض الاول:

هناك علاقة ارتباطية بين التعرض للقنوات الاجنبية من ناحية وبين معرفة اللغة الاجنبية للمبحوثين من ناحية اخرى.

الفرض الثانى:

فى اطار الغزو الثقافى يتوقع ان تحظى البرامج الترفيهية وبنسب مشاهدة اكبر من التعرض للاخبار والبرامج الثقافية.

الفرض الثالث:

يعد التعرض للقنوات الفضائية فى مصر احد العوامل التى تهدد الامن الثقافى والهوية الثقافية فى المجتمع.

الفرض الرابع:

تحظى المعلومات الواردة عبر القنوات الفضائية بمصداقية اكبر من البرامج المحلية.

نتائج الدراسة:

اولا: توصيف عينة الدراسة:

توضح الجداول (أ)، (ب)، (ج) توصيف عينة الدراسة فمن حيث النوع توزع عينة الدراسة على الذكور ٧٥ مفردة. ومن حيث المستوى الاقتصادى توزعت العينة على مستويين هما متوسط (دخل اكثر من ٥٠٠ جنيه شهريا) ومرتفع (دخل الاسرة اكثر من ١٠٠٠ جنيه شهريا) فكان المستوى المتوسط ٤٠ مفردة بنسبة ٢٦،٧٪ وكان المستوى المرتفع بنسبه ٧٣،٣٪ من جملة العينة

ولم يوجد من مالكى الدش او ممن يتعرضون له مستويات اقتصادية يقل دخلها عن ٥٠٠ جنيه شهريا. مما يلفت الانظار الى ان اسعار الدش مازالت فوق طاقة المستويات الشعبية فى مصر.

اما من حيث العمل او الوظيفة،توزعت العينة الى ٧٥ مفردة من طلاب الجامعة فى كليات الاثار والتجارة والاقتصاد بجامعة القاهرة، وكان عدد الموظفين بقطاع الاعمال والحكومه ٢٠ مفردة، ثم اصحاب المهن الحرة ٥٥ مفردة بنسبة ٣٦،٧ من اجمالى حجم العينة.

ثانيا: نتائج الدراسة:

١- أ- ملكية الدش

اوضحت الدراسة ان ملكية الدش بين افراد العينة تمتد لاكثر من سنة بين ٦٠٪ من العينة بينما تصل من لاتتجاوز ملكيتهم للدش لمدة سنه نسبه ٦٠٪ وهذا يعنى ان هذه الظاهرة مازالت فى بداية تطورها وانتشارها بين المواطنين فى مصر. اما من حيث المستوى الاقتصادى وملكية الدش فقد تبين ان ذوى المستويات الاقتصادية المرتفعة كانت اكثر استجابة لامتلاك الدش باعتبارهم مقتنون مبكرين للمستحدثات التكنولوجية انعكاسا لوضع هذه الفئة فى المجتمع، كما اوضحت الدراسة ان ذوى المستويات المتوسطة كانوا فى معظمهم متاخرين فى شراء الدش.

وكذلك كان النوع الاكثر انتشارا بين افراد العينة الذين شملتهم الدراسة هو الدش قطر ٢٤٠سم وذلك بنسبه ٤٤٪ من حجم العينة. بينما الدش قطره ٣،٥ متر والذى يعد نموذجا قديما نسبيا ينتشر بين ٢٠،٧٪، فى حين انواع مثل BENJAMIN والمصانع الحربية المتحرك، وغيرها منتشرة بين ٣٥،٣٪ من حجم عينة الدراسة.

وايا كان النوع فان الملاحظ اتجاه تصنيع الدش محليا ورخص ثمنه مما يفتح الباب لتكهنات بامكانية انتشاره فى سنوات قليلة حتى بين الفئات ذات الدخول المتوسطة، وهذا المؤشر المتوقع يفرض على مخططى الاتصال مسئولية الاعداد لمواجهة الاثار الثقافية والاجتماعية المتوقعة لاتساع دائرة استقبال ارسال القنوات الفضائية الاجنبية فى مصر.

ج- طريقة شراء الدش:

كشفت الدراسة ان شراء الدش "نقدا" بعد هو الاسلوب الاكثر اتباعا بين افراد العينة وكان ذوى المستوى الاقتصادى المرتفع اكثر شراء بالنقد من ذوى المستوى المتوسط وان كانت الطريقة الثانية "بالتقسيط" ايضا قد اتبعت فى امتلاك الدش، اى ان تيسير امتلاك الدش لم يعد يعوقه طريقة الدفع، مما يؤكد ما ذهبنا

اليه من احتمال انتشار الدش يمكن ان يحقق توزيع استقبال القنـــوات الفضائيـــة على نطاق شعبى PU[ULAR فى وقت قريب، فكيف يمكن تصور الاثار المحتملة على الاطفال والمراهقين وذوى المستوى الثقافى والتعليمى المحدود.

د- مصدر شراء الدش:

توضح بيانات الدراسة ان اكثر من نصف المبحوثين قد حصلـــوا علـــى الدش من مصر بنسبه ٥٢،٧٪ من العينة، فى حين كان شراء الدش من الخارج بنسبة ٤٧،٣٪، وقد تركز معظم من اشتروا الدش من الخارج فى رجال الاعمال ذوى الاعمال الحرة ربما لكثرة اسفارهم واطلاعهم على احدث ما فى الاســـواق العالمية.

هـــ- دوافع امتلاك الدش:

كما توضح الدراسة ان اسباب ودوافع شراء الدش بين افراد العينة قد توزعـــت الاسباب او الدوافع الى ثلاثة دوافع رئيسية هى:

- شراء الدش من اجل الانفتاح على العالم الخارجى بنسبه ٥٠٪.
- شراء الدش لان القنوات المحلية المصرية هابطة ودون المستوى المطلـــوب، وذلك بنسبة ٢٣،٣٪ من العينة.
- بناء على طلب الاولاد وذلك بنسبه ٦،٧٪ من العينة.

وهكذا يتصدر الدافع الى المعرفة والاطلاع على احداث وقضايا المجتمع الدولى ودوافع امتلاك الدش وتعد هذه النتيجة على درجة كبيرة من الاهمية، اذا توضح البيانات ان ٢٣،٣٪ قد اشتروا الدش لعدم رضاهم عن برامج التليفزيون المصرى، وهناك سبب اخر اظهرته اجابات المبحوثين وهو ان الحاح الابناء كان وراء الدش كنوع من انواع التقليد لزملائهم وسمة من سمات الطبقـــة او الفئـــة الاجتماعية التى ينتمى اليها هؤلاء الابناء، ولعل هذه النتائج توضـــح ان جيـــل الشباب اكثر ارتباطا بهذه التكنولوجيا من حيث التعرض فهل يمكـــن ان نتوقـــع ظهور جيل تربى على هذه المضامين الوافد ويتخلى تدريجيا عن قيمة الذاتية؟ ان هذه النتيجة مع بقية النتائج يمكن ان تكون مؤشرات لاختبار الفرضية التى تقول: ان التعرض للقنوات الفضائية هى من احد العوامل التى تهـــدد الامـــن الثقـــافى المصرى والهوية الثقافية فى المجتمع.

و- عدد القنوات التى يشاهدها المبحوثون:

توضح بيانات الدراسة ان اعداد القنوات الاجنبية التى يتعرض لها المبحوثون عبر الدش وعدد اللغات الاجنبية التى يتقونها، وقد تبين ان الاكثر الماما باللغات الاجنبية يشاهد اكثر من ٨٠ قناة اجنبية، والذين يشاهدون ١٠ - ٢٠ قناة نسبتهم ٢٠٪ من جملة العينة، معظمهم ممن لا يعرفون سوى لغة واحدة مع اللغة العربية.

اما الفئة الثانية التى تشاهد من ٢٠ - ٤٠ قناة اجنبية فنسبتهم تصل الى ٣٩،٣٪ اما من يشاهدون ٤٠ - ٦٠ قناة فنسبتهم فى العينة ٢٤٪ بينما من يشاهدون اكثر من ذلك فتصل نسبتهم الى ١٣،٣٪،٠هذه النتائج تفيد ان الذين يشاهدون اكثر من ٢٠ قناة اجنبية يصل الى ٨٠٪ من جملة العينة، ومعنى هذا ان السيطرة الثقافية للمضمون الاجنبى الدرامى، والبرامج الترفيهية والاخبارية وغير ذلك من برامج المنوعات، قد تبعد الافراد عن واقعهم الثقافى فتزداد امكانيات تمييع الذات الثقافية العربية وتزداد احتمالات تهديد الامن الثقافى والفكرى عن. والشباب المصرى يواجه قضايا متعددة على المستوى الثقافى والتعليمى والاقتصادى. فازمة التعليم وقضايا البطالة تؤثر على معنويات الشباب، وتصيبه بالاحباط وافتقاد الهدف. فينقاد مجبرا الى البرامج المختلفة للتليفزيون الدولى، ولعل هذه النتيجة تفيد فى اختيار فرض الامن الثقافى الذى ينسق مع نظرية الغزو الثقافى.

٣- عادات وانماط التعرض للقنوات الفضائية فى مصر:

أ- استمرارية التعرض: EXPOSURE

كشفت الدراسة ان الذين يشاهدون القنوات الفضائية يوميا "دائما" نسبتهم ٥١،٣٪ اى اكثر من نصف عينة الدراسة يحرصون على مشاهدة القنوات الفضائية كل يوم بينما هناك نسبة ٢٨،٧٪تشاهد هذه القنوات بعض ايام الاسبوع.

وبينما الطلبة هم الاكثرر تعرضا يوميا فان رجال الاعمال والموظفين يشاهدون بعض الايام وهناك نسبة ٢٠٪ من المبحوثين يشاهدون على فترات متقطعة وبشكل عام هناك ٨٠٪ *يشاهدون بكثافة اى اكثر من ٤ ساعات يوميا.*

وكما يبدو من الدراسة فان الطلبة واصحاب الاعمال الحرة اكثر كثافة فى مشاهدة القنوات الفضائية. وهذه الكثافة سوف يكون لها تاثير على التعرض للتليفزيون المصرى، ومن هنا فان سيطرة المضمون الاجنبى على محصلة قيم ومعارف المبحوثين واردة محتملة بينما يتخلى الفرد بشكل غير واعى عن قيمة الثابتة.

ب- فترات التعرض:

اوضحت الدراسة فيما يتعلق بالفترات الاكثر تركيزا من حيث التعرض للقنوات الفضائية لدى المبحوثين، هى ان التركيز الاساسى يقع فى فترتى المساء والسهرة وذلك بنسبة ٨٠٪، حيث يشاهد ٤٣،٣٪ من العينة فى فترة المساء يليها من يشاهدون فى السهرة بنسبة ٣٧،٣٪ اما من يشاهدون فى فترتى الظهيرة والصباح فنسبتهم على التوالى هى ٩،٤٪، ١٠٪

فاذا كانت فترات المشاهدة الرئيسية هى المساء والسهرة لمالكى الدش فان ذلك يعنى التعرض للقنوات الفضائية على حساب القنوات المحلية، مما يؤكد سيادة نمط ثقافى اجنبى على محصلة معارف هؤلاء المبحوثين.

ج- نمط المشاهدة:

كما هو مبين فان نمط المشاهدة الاسرية هو النمط السائد بين افراد العينة ولا توجد فروق ذات دلالة بين الذكور والاناث ولا بين المهن المختلفة فى هذا الشأن، فهناك نسبة ٣٢،٧٪ اى اكثر من نصف العينة يفضلون النمط الجماعى للمشاهدة بينما هناك ٣٣،٣٪ من العينة يشاهدون بشكل فردى، وهو ما يعنى ان ثلث العينة ومعظمهم من الطلبة يفضلون انماط فردية للمشاهدة ولعل هذا يرجع فى جزء منه الى المضمون الذى يفضله الشباب من الجنسين حيث تعرض هذه القنوات مواد وافلام وعروض قد لا يكون من المعتاد ان يتعرض لها الشباب فى ظل رقابة اسرية، ومن هنا تأتى خطورة نمط المشاهدة الفردية الذى تتاح فيه للفرد حرية اكبر فى اختيار المضامين المثيرة والجذابة وهى بكل تاكيد ليست سوى برامج استهلاكية تنمى فى الافراد سلوك غير سوى. واذا نظرنا الى نمط المشاهدة-مع الاصدقاء وذلك بنسبة ١٤٪ فانه يكون لدينا ما يقرب من نصف العينة يشاهدون القنوات الفضائية بطريقة منفردة.

د- حجم المشاهدة:

تفيد بيانات الدراسة ان حجم المشاهدة بين افراد العينة يتراوح ما بين خمس ساعات اسبوعيا واكثر من ٢٠ ساعة فى الاسبوع، وبشكل اكثر تفصيلا فان المشاهدة الكثيفة خمس ساعات يوميا فى المتوسط بنسبه ٣٠٪ من العينة وهم يشاهدون اكثر من ٢٠ ساعة اسبوعيا فى حين افاد ٣٢٪ انهم يشاهدون اكثر من عشر ساعات فى الاسبوع، واخيرا هناك نسبه ٣٨٪ تشاهد مشاهدة متوسطة وبالطبع تختلف مشاهدة الطلبة عن اولئك الذين يعملون فى الاعمال الحرة وايضا الموظفين، حيث تتاح للطلبة العطلات وهم بعد الدراسة يكونون اكثر فراغا من الفتية الاخرين. وخطورة هذه النتائج سوف تتضح عند مناقشة اثار التعرض على قيم ومعارف هؤلاء المبحوثين، وعلى سلوكهم المتوقع واتجاهاتهم نحو الاشخاص والاشياء ورموز الحياة الثقافية والاجتماعية.

هـ- جنسية القنوات الفضائية:

اوضحت نتائج التحليل ان القنوات الاوربية قد جاءت فى الترتيب الاول من حيث كثافة استقبالها فى العينة وان نسبة ٥٥،٣٪ من جملة التكرارات حظيت بها القنوات الاوربية، بينما كانت القنوات الامريكية فى الترتيب الثانى بنسبة ٣٦،٥٪، ثم جاءت القنوات الروسية فى المؤخرة بنسبة ١،٤٪، ولعل هذا يرجع الى ضعف الالمام باللغة الروسية، فى حين تتقدم القنوات الناطقة بالانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية وهى فى معظمها تدرس فى النظام التعليمى المصرى وقد وجد ان هناك ارتباط بين معرفة اكثر من لغة اجنبية وبين التعرض لانواع معينة من القنوات فالذين يعرفون الفرنسية والانجليزية يتعرضون للقنوات الاوربية على سبيل المثال. وقد جاءت القنوات الاسيوية بما فيها القنوات الفضائية العربية فى ترتيب متاخر مما يدل على صحة الفرض الذى وضعناه والذى يقول ان "هناك علاقة ارتباطية بين التعرض لانواع معينة من القنوات الفضائية وبين معرفة المبحوث لاكثر من لغة اجنبية".

- كما تؤكد هذه النتيجة الفرض الذى يقول ان التعرض للقنوات الاوربية عموما يفوق التعرض للقنوات المصرية والعربية

وقد توزعت اسباب تفضيل القنوات الاوربية والامريكية على النحو التالى:

١- لجاذبية هذه القنوات ومستوها الرفيع بنسبة ٥٩،٤٪

٢- لان المبحوث يفهم ولغتها ٣٩،١٪ من المشاهدين.

٣- اسباب اخرى بنسبة ١،٥٪ من المشاهدين.

وترتفع نسب الطلبة الذين يشاهدون القنوات الاوربية والامريكية عن بقية افراد العينة، ولعل ذلك يرجع الى ان القنوات الامريكية اكثر انتشارا واكثر تطورا واكثر قدرة على مخاطبة الشخصية العربية ومعرفة مفاتيح التاثير عليها.

و- المضمون الذى يتعرض له المبحوثون:

افترضت الدراسة ان المضمون الترفيهى يحظى بالتفضيل الاكبر مقارنة بالتفضيل الخاص بالمضمون السياسى والثقافى"

وفى ضوء هذا الفرض توضح الدراسة عدة نتائج هى:

اولا: ان المضمون الترفيهى والترويحى من دراما ومسلسلات وبرامج المنوعات ومسلسلات اجتماعية SOAP OPERAS وبرامج المغامرات تحظى باهتمام ٤٣٪ من عينة الدراسة، فى حين تحظى برامج الرياضة والاطفال بنسبة ٢١،٨٪ من التفضيلات، وتأتى البرامج الثقافية الجادة فى الترتيب الثالث بنسبه ١٨،٨٪ يليها فى الترتيب الاخير البرامج السياسية والاخبارية بنسبة ١٦،٤٪ هذه النتائج تؤكد

الفرض الذى تقدم ذكره من ان الدش اساسا يستخدم للتسلية وقضاء وقت الفراغ بشكل لا يمثل عبئا على المشاهد وتاتى المواد الجادة المتصلة بالمعرفة والثقافة فى المؤخرة، مع ان القنوات الفضائية تسهم فى نشر وتنفق المعرفة من الشمال الى الجنوب بشكل فاق توقع الخبراء فى هذا المجال.

ز - مشاهدة القنوات بدون معرفة اللغة:

يفترض الاطار النظرى للدراسة ان اللغة التليفزيونية كاللغة السينمائية لها مفردات ورموز تكنولوجية وانشائية عامة يفهمها كل الناس من كل الثقافات تقريبا ولا تمثل اللغة اللفظية عقبة كبيرة امام فهم المضمون الاجنبى القادم عبر القنوات الفضائية. وان هناك ٥٠،٩٪ من العينة يشاهدون القنوات التى يعرفون لغتها فقط، وهناك ٣٣،٩٪ من العينة يشاهدون قنوات لا يعرفون لغتها، وهناك نسبة ١٥،٢٪ يشاهدون كل القنوات دون معرفة لغتها، اى نصف العينة تقريبا يشاهدون قنوات بدون معرفة اللغة اللفظية لهذه القنوات، وهذا يؤكد ان اللغة اللفظية ليست معوقا رئيسيا لفهم الثقافة الاجنبية المصورة تليفزيونيا فى شكل دراما ومسلسلات اجتماعية وسلاسل وافلام وعروض وبرامج مختلفة. فاللون والحركة والابهار الفنى والتقنى ينجذب اليه المشاهد.

٣- تاثير الدش على الامن الثقافى المصرى:

"افترضت الدراسة ان القنوات الفضائية تشكل تهديدا للامن الاعلامى والثقافى المصرى من حيث تاثيرها على حجم وعادات التعرض للاعلام المصرى ومن هنا يفترض ان كثافة التعرض للمضمون الاجنبى تشكل على المدى البعيد تهديدا للهوية الثقافية فى مصر.

وقد ثبت صحة هذا الافتراض من خلال النتائج التى نعرضها على النحو التالى:

أ- مشاهدة التليفزيون المصرى

ان مشاهدة التليفزيون المصرى فى عينة مالكى الدش تصل الى ٧٤٪ من العينة اى ان هناك ٢٦٪ من هؤلاء لا يشاهدون التليفزيون المصرى، ولعل الاناث كما هو واضح اكثر اعراضا عن مشاهدة التليفزيون بدرجة ملحوظة عن الذكور.

ومن الملاحظ فى بحوث الاستماع والمشاهدة ان نسب مشاهدة التليفزيون لا تقل عادة عن ٩٠٪، ولكن متغير امتلاك الدش قد اثر بشكل ملحوظ على التعرض للتليفزيون من الناحية الكمية والكيفية.

ب- تاثير امتلاك الدش على حجم المشاهدة:

من الدراسة يمكن استخلاص عدة نتائج اولها ان نسبة التاثير الكامل على المشاهد التليفزيونية يصل الى ٣٠،٧٪ من اجمالى حجم العينة. ثم "التاثير الى حد ما" او حجم التاثير المتوسط بنسبة ٣٦٪ اى ان العينة قد تاثرت احجام مشاهدتها للتليفزيون المصرى بفعل امتلاك الدش والهروب معه الى عالم اخر وثقافة اخرى.

ج- تقوم ثقافة المبحوثين للبرامج الاجنبية:

كشفت الدراسة عن تقويم المبحوثين للفارق بين البرامج الاجنبية والبرامج المحلية وتبين ان المبحوثين الذين يمتلكون الدش يتجهون الى تفضيل البرامج الاجنبية لاسباب تتعلق بالتطور والناحية الفنية العالية والاثارة. والحرية والتحرر نسبيا، وهذه الاسباب تعكس عدم قدرة التليفزيون المصرى على اشباع حاجات وطموحات هؤلاء المبحوثين وقد كان الاناث اكثر تفضيلا للنواحى الفنية والابهار فى البرامج الاجنبية بينما كان الذكور اكثر تفضيلا للاثارة والتحرر فى البرامج الاجنبية.

د- تاثير امتلاك الدش على الاستماع للاذاعة:

تاثر الاستماع للاذاعة بعد امتلاك الدش بدرجة ملحوظة فبعد ان كان الاستماع للاذاعة بنسبة ٦٩،٣٪ فى العينة، فقد تراجع ليصبح بنسبة ٥٢٪ فى العينة، اى ان امتلاك الدش قد اثر على الاستماع للاذاعة بنسبة ١٧،٣٪.

الفارق بين نسب الاستماع للاذاعة المصرية قبل وبعد امتلاك الدش، فبينما كان الذكور يستمعون بنسبة ٥٧،٣٪ للاذاعة قبل امتلاك الدش، صارت نسبة استماعهم للاذاعة بعد شرائه بنسبة ٥٤،٧٪ بفارق نسبه ٢،٦٪، وبينما كانت نسبه استماع الذكور قبل امتلاك الدش ٥٧،٣٪، صارت نسبه استماعهم للاذاعة بعد شرائه بنسبة ٥٤،٧٪ بفارق نسبه ٢،٦٪، وبينما كانت نسبة استماع الاناث قبل امتلاك الدش ٨١،٣٪، فقد صارت بعد امتلاكه بنسبة ٤٩،٣٪ بفارق ذى دلالة قدرة ٣٢٪ وهو ما يؤكد ان الاناث كن اكثر تاثرا من الذكور فى تخفيض نسبة تعضهم للاذاعة كمصدر للمعرفة والترفيه والتثقيف.

هـ- امتلاك الدش وعادة قراءة الصحف:

تبين من تحليل بيانات هذا الجدول ان تاثير الدش على قراءة الصحف كان طفيفا وبخاصة لدى الذكور وان كان ذو دلاله لدى الاناث، بينما كان الاناث يقرأن الصحف قبل امتلاك اسرهن للدش بنسبة ٦٠٪ فقد انخفضت لتصل النسبة

الى ٣٧،٣٪ بعد امتلاك الدش فى حين لم تنخفض نسبة قراءة الذكور للصحف كثيرا.

وبشكل عام اذا اجمعت تاثير امتلاك الدش على عادات وانماط التعرض للتليفزيون والتى تراجعت بفارق نسبى قدره ٢٠٪ بعد امتلاك الدش، الى نسبة تراجع عادة الاستماع للاذاعة بفارق نسبى قدره ١٧،٣٪، اضفنا اليها الفارق النسبى لقراءة الصحف وهو ١٥٪ فانه يمكن تاكيد صحة الغرض الذى سبق الاشارة اليه من ان امتلاك الدش قد ادى الى تهديد عادات التعرض للاعلام الوطنى مما قد ينتج عنه تخلى تدريجى عن التعرض للاعلام المصرى، وبهذا يمكن القول ان التهديد الثقافى ياتى من جانب التعرض الكثيف للقنوات الفضائية الاجنبية.

(٤) ارتباط معارف المبحوثين بالتعرض للقنوات الفضائية:

تفترض الدراسة ان معارف وقيم المبحوثين ترتبط بتعرضهم للمضمون الاجنبى وقد اعد مقياس يشتمل على ٦ درجات يشمل معارف عالمية ومحلية، وهذه المعارف تتصل بالسياسة والفن والادب والثقافة وبعض الامور العامة، وكما هو مبين فى جدول رقم (١٩) فان المعرفة عموما بالاحداث والاعلام تعد ضعيفة مقارنة بعدم المعرفة وايضا تعد معارف الذكور اكثر نسبيا من معارف الاناث، فبينما معارف الذكور تصل الى نسبة ٥٥،١٪ فان معارف الاناث وصلت الى نسبة ٤٤،٩٪.

ومن حيث المعارف بالامور الخارجية كانت جملة المعارف الخارجية بنسبة ٦٠٪ بينما المعرفة بالامور الداخلية تصل ٤٥،٨٪ مع الاخذ فى الاعتبار ان المعرفة فى المحيط الداخلى تركزت على وحدتين فقط هما نسبة الامية فى مصر والحاصل على جائزة الدولة التقديرية.

وان متوسط المعرفة بالامور الخارجية وصل الى ٢٧،٧٪ وكانت المعارف الداخلية بمتوسط ٤٠،٢٪ وهكذا يمكن القول ان الفرض القائل بان الذين يتعرضون للدش تكون معارفهم اكثر ارتباطا بالاشخاص والاحداث العالمية لم تثبت صحته بشكل تام وان العلاقة موجودة ولكنها علاقة ضعيفة.

(٤) التعرض للمضمون الاجنبى فى التليفزيون

أ- التعرض للدراما:

من قراءة الجدول رقم (٢٠) يتضح ان التعرض للدراما الاجنبية فى التليفزيون يصل الى نسبة ٥٦،٧٪ وهم يفضلون هذه المواد لاسباب عديدة منها:

١- ان المادة الاجنبية من مسلسلات وافلام مرتفعة المستوى من حيث النواحى الفنية والاخراجية بنسبة ٥٠،٦٪

٢- الاثارة والمتعة والجاذبية بنسبة ٤٩،٤٪
وكانت الدراما الاجنبية ممثلة فى :
أ- نادى السينما نسبة ٢٧،٦٪
ب- اوسكار ٢٩،٨٪
ج- اخترنالك ٢٠،٧٪
د- المسلسلاتالاجنبية ٢١،٩٪
ب- مشاهدة الاعلانات:
يتضح من اجابات المبحوثين ان نسبة ٤٦،٧٪ من العينة تشاهد اعلانات التليفزيون فى حين لايشاهدها ٥٣،٣٪ من العينة والذين يش ٥٣،٣٪ من العينة والذين يشاهدونها يذكرون اسباب ذلك ممثلة فى:
- التسلية والاستمتاع ونمطية الوقت بنسبة ٦٨،٦٪
- بهدف معرفة السلع والخدمات المتاحة فى السوق بنسبة ٣١،٤٪ ولا توجد فوارق ذات دلالة بين الذكور والاناث او بين المهن المختلفة فى العينة.
ج- التعرض للمسلسلات الاجنبية:
وقد تبين ان الذين يتعرضون لمشاهدة مسلسل الجرئ والجميلة ٧٣،٣٪ فى حين لا.
د- الشخصيات الاجنبية التى تحظى باعجاب المشاهدين:
تبين ان المبحوثين يتعلقون بابطال المسلسل الاجنبى بدرجة كبيرة فقد افاد المبحوثون بـ ٩٢ تفضيل لشخصيات مسلسل الجرئ والجميلة توزعت على عائلات المسلسل وذلك على النحو التالى:
- عائلة فورستر: بنسبة ٤٦،٧٪
- عائلة لوجان: بنسبة ٢١،٧٪
- عائلة سبكترا: بنسبة ٣،٣٪
- عائلة سبنسر: بنسبة ٢٨،٣٪
اما عن سمات هذه الشخصيات التى اعجب بها المبحوثون فكانت كما يوضحها جدول رقم (٢٢)
هى الخصائص الشخصية كالوسامة والقوة والذكاء وحسن المظهر وايضا الدور الاجتماعى كالحرص على الاسرة والابناء والايثار وغير ذلك من القيم التى عكستها احداث المسلسل.
وقد اوضحت النتائج ارتباطا وثيقا بين المبحوثين والدراما حيث يرى ٢٨٪ انه يجب تاجيل العمل لمشاهدة المسلسل الاجنبى، كما يفيد ١٧،٣٪ انهم

يشاهدونه فى العمل او اثناء اداء عملهم، وافاد ١٩،١٪ انهم يسجلون حلقات المسلسل ويشاهدونها بعد ذلك.

كل هذه النتائج مؤشرات للارتباط الوثيق بين جمهور القنوات الفضائية فى مصر بالمضمون الاجنبى الذى زادت كثافته كما بعد امتلاك الدش، وهذه النتائج تختبر عدة فروض تقدم ذكرها هى:

"ان البرامج الوافدة عبر الاقمار الصناعية تسهم فى تخلى المشاهدين تدريجيا عن قيم مجتمعهم لصالح القيم الاجنبية، وقد ثبت صحة هذا الفرض من خلال قياس معارف الافراد نحو موضوعات عالمية فكانوا اكثر تذكرا لها بدرجة ما توازى معرفتهم ببعض الامور الداخلية فى مصر.

اما الفرضية الثانية فتقول (ان القنوات الفضائية تشكل تهديدا للامن الثقافى المصرى من حيث تاثيرها المؤكد على تراجع عادات القراءة وتقلص حجم مشاهدة التليفزيون والاستماع للاذاعة بنسب ذات دلالة سبق ذكرها. ومن هنا ننبه على ضرورة طرح القضية لبحوث علمية نقدم حلولا اجتماعية وسياسية وحتى قانونية لمواجهة التشويه الثقافى القادم ومحاولة بناء نظام اعلام عربى يقاوم التفتيت الثقافى الذى يمكن ان تحدثه هذه القنوات المختلفة فى مضمونها وايدلوجياتها.

كما افترضت الدراسة ان المضمون الترفيهى يحظى بالتفضيل الاكبر مقارنة بالبرامج السياسية والثقافية، وقد تبينت صحة هذا الفرض حيث يفضل ٤٣٪ من العينة كل اشكال الترفيه والتسلية من مسلسلات وافلام واعلانات ورياضة وفنون وعروض متنوعة.

توصيف عينة الدراسة:

(أ) من حيث النوع

(أ)

النوع	ذكور		اناث		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
العدد	٧٥	٥٠	٧٥	٥٠	١٥٠	١٠٠

(ب) من حيث المستوى الاقتصادى

(ب)

المستوى	منخفض		متوسط		مرتفع		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
العدد	–	–	٤٠	٢٦،٧	١١٠	٧٣،٣	١٥٠	٪١٠٠

(ج) من حيث العمل
(ج)

العمل	طلبة		موظف حكومى		اعمال حره		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
العدد	٧٥	٥٠	٢٠	١٣،٣	٥٥	٣٦،٧	١٥٠	٪١٠٠

(٧٥) من طلبة كليات التجارة والاقتصاد والاثار.
(٥٥) من اصحاب الاعمال الحرة فى حى العجوزة.
(٢٠) من الموظفين فى الحكومة وقطاع الاعمال فى العجوزة.

ثانيا: نتائج الدراسة:
١- أ- ملكية الدش
من قراءة الجدول رقم (١) يتضح ان ملكية الدش بين افراد العينة تمتد لاكثر من سنة بين ٦٠٪ من العينة بينما تصل من لاتتجاوز ملكيتهم للدش لمدة سنه نسبه ٦٠٪ وهذا
جدول رقم (١) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا للنوع ووقت امتلاك الدش

النوع / مدة امتلاك الدش	ذكور		اناث	جملة
	ك	٪	ك	ك
منذ سنه	٤٠		٥٠	٩٠ ٪٦٠
من سنتين الى ثلاث سنوات	٣٥		٧٥	٦٠ ٪٤٠
اجمالى	٧٥		٧٥	١٥٠

يعنى ان هذه الظاهرة مازالت فى بداية تطورها وانتشارها بين المواطنين فى مصر. اما من حيث المستوى الاقتصادى وملكية الدش فقد تبين ان ذوى المستويات الاقتصادية المرتفعة كانت اكثر استجابة لامتلاك الدش باعتبارهم مقتنون مبكرين للمستحدثات التكنولوجية انعكاسا لوضع هذه الفئة فى المجتمع، ويوضح جدول (٢) ان ذوى المستويات المتوسطة كانوا فى معظمهم متاخرين فى شراء الدش.

جدول رقم (٢) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا للمستوى الاقتصادى وفقط امتلاك الدش

المستوى / مـــدة امتـلاك الدش	متوسط ك	مرتفع ك	جملة ك	٪
منذ سنه فأقل	٢٥	٧٥	١٠٠	٧٥٪
من سنتين الى ثلاث سنوات	١٥	٣٥	٥٠	٢٥٪
جملة	٤٠	١١٠	١٥٠	١٠٠٪

ب- نوع الدش:
يبيم جدول رقم (٣) نوع الدش لدى افراد العينة

النوع / نوع الدش	ذكور	اناث	جملة ك	٪

يوضح الجدول رقم (٣) ان النوع الاكثر انتشارا بين افراد العينـــة هـــو الدش قطر ٢٤٠سم وذلك بين ٤٤٪ سم وذلك ٤٤٪ من حجم العينة. بينما الدش قطره ٣،٥ متر والذى يعد نموذجا قديما نسبيا ينتشر بين ٢٠،٧٪، فى حين انواع مثل BENJAMIN والمصانع الحربية المتحرك، وغيرها منتشرة بين ٣٥،٣٪ مـــن حجم عينة الدراسة.

وايا كان النوع فان الملاحظ اتجاه تصنيع الدش محليا ورخص ثمنه مما يفتح الباب لتكهنات بامكانية انتشاره فى سنوات قليلة حتـــى بيـــن الفئـات ذات الدخول المتوسطة، وهذا المؤشر المتوقع يفرض على مخططى الاتصال مسئولية الاعداد لمواجهة الاثار الثقافية والاجتماعية المتوقعة لاتساع دائرة استقبال ارسال القنوات الفضائية الاجنبية فى مصر.

ج- طريقة شراء الدش:
من بيانات جدول رقم (٤) يتبين ان شراء الدش "نقداً" بعد هو الاسلوب الاكـــثر اتباعا بين افراد العينة وكان ذوى المستوى الاقتصادى المرتفع اكثر شراء بالنقد من ذوى المستوى المتوسط وان كانت الطريقة الثانية "بالتقسيط" ايضا قد اتبعـت فى امتلاك الدش، اى ان تيسير امتلاك الدش لم يعد يعوقه طريقة الدفـــع، ممـــا يؤكد ما ذهبنا اليه من احتمال

جدول رقم (٤) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا للمستوى الاقتصادى وطريقة شراء الدش

المستوى/ طريقة شراء الدش	متوسط ك	مرتفع ك	جملة ك	٪
بالنقد	٢٠	٥٩	٧٩	٥٢،٧
بالتقسيط	٢٠	٥١	٧١	٤٧،٣
جملة	٤٠	١١٠	١٥٠	١٠٠٪

انتشار الدش يمكن ان يحقق توزيع استقبال القنوات الفضائية على نطاق شعبى PU[ULAR فى وقت قريب، فكيف يمكن تصور الاثار المجتملة على الاطفال والمراهقين وذوى المستوى الثقافى والتعليمى المحدود.

د- مصدر شراء الدش:
توضح بيانات الدراسة ان اكثر من نصف المبحوثين قد حصلوا على الدش من مصر بنسبه ٥٢،٧٪ من العينة، فى حين كان شراء الدش من الخارج بنسبة ٤٧،٣٪، وقد تركز معظم من اشتروا الدش من الخارج فى رجال الاعمال ذوى الاعمال الحرة ربما لكثرة اسفارهم واطلاعهم على احدث ما فى الاسواق العالمية.

هـ- دوافع امتلاك الدش:
يوضح جدول رقم (٥) اسباب ودوافع شراء الدش بين افراد العينة وقد توزعت الاسباب او الدوافع الى ثلاثة دوافع رئيسية هى:
- شراء الدش من اجل الانفتاح على العالم الخارجى بنسبه ٥٠٪.
- شراء الدش لان القنوات المحلية المصرية هابطة ودون المستوى المطلوب، وذلك بنسبة ٢٣،٣٪ من العينة.

- بناء على طلب الاولاد وذلك بنسبه ٦،٧٪ من العينة.

وهكذا يتصدر الدافع الى المعرفة والاطلاع على احداث وقضايا المجتمع الدولى ودوافع امتلاك الدش وتعد هذه النتيجة على درجة كبيرة من الاهمية، اذا توضح البيانات ان ٢٣،٣٪ قد اشتروا الدش لعدم رضاهم عن برامج التليفزيون المصرى، وهناك سبب اخر اظهرته اجابات المبحوثين وهو ان الحاح الابناء كان وراء الدش كنوع من انواع التقليد .

جدول رقم (٥) يبين توزيع عينة الدراسة

وفقا للنوع واسباب شراء الدش

النوع / نوع الدش	ذكور	اناث	جملة ك	٪
للانفتاح على الثقافات الاخرى	٣٤	٤١	٧٥	٥٠٪
لعدم الرضا عن البرامج المحلية	١٥	٢٠	٣٥	٢٣،٣٪
بناء على طلب الاولاد	١٨	١٢	٣٠	٢٠٪
اخرى	٨	٣	١١	٧،٣٪
اجمالى	٧٥	٧٥	١٥٠	

لزملائهم وسمة من سمات الطبقة او الفئة الاجتماعية التى ينتمى اليها هؤلاء الابناء، ولعل هذه النتائج توضح ان جيل الشباب اكثر ارتباطا بهذه التكنولوجيا من حيث التعرض فهل يمكن ان نتوقع ظهور جيل تربى على هذه المضامين الوافد ويتخلى تدريجيا عن قيمة الذاتية؟ ان هذه النتيجة مع بقية النتائج يمكن ان تكون مؤشرات لاختبار الفرضية التى تقول: ان التعرض للقنوات الفضائية هى من احد العوامل التى تهدد الامن الثقافى المصرى والهوية الثقافية فى المجتمع.

و- عدد القنوات التى يتعرض لها المبحوثون:

يوضح جدول رقم (٦) اعداد القنوات الاجنبية التى يتعرض لها المبحوثون عبر الدش وعدد اللغات الاجنبية التى يتقونها، وقد تبين ان الاكثر الماما باللغات الاجنبية يشاهد اكثر من ٨٠ قناة اجنبية، والذين يشاهدون ١٠ - ٢٠ قناة نسبتهم ٢٠٪ من جملة العينة، معظمهم ممن لا يعرفون سوى لغة واحدة مع اللغة العربية.

اما الفئة الثانية التى تشاهد من ٢٠ - ٤٠ قناة اجنبية فنسبتهم تصل الى ٣٩،٣٪

جدول رقم (٦) يبين توزيع عينة الدراسة

وفقا لعدد القنوات ومعرفة اللغات الاجنبية

عدد القنوات / عدد اللغات الاجنبية	لغة اجنبية واحدة	اكثر من لغة اجنبية	جملة ك	٪
للانفتاح على الثقافات الاخرى	٢٠	١٠	٣٠	٢٠
لعدم الرضا عن البرامج	٣٠	٢٩	٢٩	٣٩،٣
المحلية	١٦	٢٠	٢٠	٢٤
بناء على طلب الاولاد	٩	١٦	١٦	١٣،٣
اخرى				
اجمالى	٧٥	٧٥	١٥٠	١٠٠٪

اما من يشاهدون ٤٠ - ٦٠ قناة فنسبتهم فى العينة ٧٤٪ بينما من يشاهدون اكثر من ذلك فتصل نسبتهم الى ١٣،٣٪، هذه النتائج تفيد ان الذين يشاهدون اكثر من ٢٠ قناة اجنبية يصل الى ٨٠٪ من جملة العينة، ومعنى هذا ان السيطرة الثقافية للمضمون الاجنبى الدرامى، والبرامج الترفيهية والاخبارية وغير ذلك من برامج المنوعات، قد تبعد الافراد عن واقعهم الثقافى فتزداد امكانيات تمييع الذات الثقافية العربية وتزداد احتمالات تهديد الامن الثقافى والفكرى عن. والشباب المصرى يواجه قضايا متعددة على المستوى الثقافى والتعليمى والاقتصادى. فازمة التعليم وقضايا البطالة تؤثر على معنويات الشباب، وتصيبه بالاحباط وافتقاد الهدف. فينقاد مجبرا الى البرامج المختلفة للتليفزيون الدولى، ولعل هذه النتيجة تفيد فى اختيار فرض الامن الثقافى الذى ينسق مع نظرية الغزو الثقافى.

٣- عادات وانماط التعرض للقنوات الفضائية فى مصر:

أ- استمرارية التعرض: EXPOSURE

يوضح جدول رقم (٧) ان الذين يشاهدون القنوات الفضائية يوميا "دائما" نسبتهم ٥١،٣٪ اى اكثر من نصف عينة الدراسة يحرصون على مشاهدة القنوات الفضائية كل يوم بينما هناك نسبة ٢٨،٧٪تشاهد هذه القنوات بعض ايام الاسبوع. وبينما الطلبة هم الاكثرر تعرضا يوميا فان رجال الاعمال والموظفين يشاهدون بعض الايام وهناك نسبة ٢٠٪ من المبحوثين يشاهدون على فترات متقطعة وبشكل عام هناك ٨٠٪ يشاهدون بكثافة اى اكثر من ٤ ساعات يوميا.

جدول (٧) يبين توزيع العينة وفقا لكثافة المشاهدة والوظيفة

الوظيفة/ عدد القنوات	طلبة	موظفون	اعمال حره	جملة	
	ك	ك	ك	ك	٪
يوميا	٣٧	٥	٣٥	٧٧	٥١،٣
بعض الايام	٢٠	٤	١٩	٤٣	٢٨،٧
على فترات متقطعة	١٨	١١	١	٣٠	٢٠
	٧٥	.٢٠	٥٥	١٥٠	١٠٠٪

وكما يبدو من الجدول فان الطلبة واصحاب الاعمال الحرة اكثر كثافة فى مشاهدة القنوات الفضائية. وهذه الكثافة سوف يكون لها تاثير على التعرض للتليفزيون المصرى، ومن هنا فان سيطرة المضمون الاجنبى على محصلة قيم

ومعارف المبحوثين واردة محتملة بينما يتخلى الفرد بشكل غير واعى عن قيمة الثابتة.

ب- فترات التعرض:

يوضح جدول رقم (٨) الفترات الاكثر تركيزا من حيث التعرض للقنوات الفضائية لدى المبحوثين، ويبدو ان التركيز الاساسى يقع فى فترتى المساء والسهرة وذلك بنسبة ٨٠٪، حيث يشاهد ٤٣،٣٪ من العينة فى فترة المساء يليها من يشاهدون فى السهرة بنسبة ٣٧،٣٪ اما من يشاهدون فى فترتى الظهيرة والصباح فنسبتهم على التوالى هى ٩،٤٪، ١٠٪

جدول رقم (٨) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا للعمل ومواعيد مشاهدة القنوات الفضائية

المهنة / اوقات المشاهدة	طلبة ك	موظفون ك	اعمال حره ك	جملة ك	٪
الفترة الصباحية	١١	١	٣	١٥	١٠
فترة الظهيرة	٨	٤	٢	١٤	٩،٤
فترة المساء	٢٩	٧	٢٩	٦٥	٤٣،٣
فترة السهرة	٢٧	٨	٢١	٥٦	٣٧،٣
	٧٥	٢٠	٥٥	١٥٠	١٠٠

فاذا كانت فترات المشاهدة الرئيسية هى المساء والسهرة لمالكى الدش فان ذلك يعنى التعرض للقنوات الفضائية على حساب القنوات المحلية، مما يؤكد سيادة نمط ثقافى اجنبى على محصلة معارف هؤلاء المبحوثين.

ج- نمط المشاهدة:

نوضح بيانات جدول (٩) انماط تعرض المبحوثين للقنوات الفضائية والنوع

النوع / نمط المشاهدة	ذكور ك	اناث ك	جملة ك	٪
مشاهدة فرديه	٣٠	٢٠	٥٠	٣٣،٣
مشاهدة مع الاسرة	٣٦	٤٣	٧٩	٥٢،٧
مشاهدة مع الاصدقاء	٩	١٢	٢١	٥٢،٧
اجمالي	٧٥	٧٥	١٥٠	

كما هو مبين فان نمط المشاهدة الاسرية هو النمط السائد بين افراد العينة ولا توجد فروق ذات دلالة بين الذكور والاناث ولا بين المهن المختلفة فى هذا

الشأن، فهناك نسبة ٣٢،٧٪ اى اكثر من نصف العينة يفضلون النمط الجماعى للمشاهدة بينما هناك ٣٣،٣٪ من العينة يشاهدون بشكل فردى، وهو ما يعنى ان ثلث العينة ومعظمهم من الطلبة يفضلون انماط فردية للمشاهدة ولعل هذا يرجع فى جزء منه الى المضمون الذى يفضله الشباب من الجنسين حيث تعرض هذه القنوات مواد وافلام وعروض قد لا يكون من المعتاد ان يتعرض لها الشباب فى ظل رقابة اسرية، ومن هنا تأتى خطورة نمط المشاهدة الفردية الذى تتاح فيه للفرد حرية اكبر فى اختيار المضامين المثيرة والجذابة وهى بكل تاكيد ليست سوى برامج استهلاكية تنمى فى الافراد سلوك غير سوى. واذا نظرنا الى نمط المشاهدة مع الاصدقاء وذلك بنسبة ١٤٪ فانه يكون لدينا ما يقرب من نصف العينة يشاهدون القنوات الفضائية بطريقة منفردة.

د- حجم المشاهدة:

تفيد بيانات جدول رقم (١٠) بان حجم المشاهدة بين افراد العينة يتراوح ما بين خمس ساعات اسبوعيا واكثر من ٢٠ ساعة فى الاسبوع، وبشكل اكثر تفصيلا فان المشاهدة الكثيفة خمس ساعات يوميا فى المتوسط بنسبه ٣٠٪ من العينة وهم يشاهدون اكثر من ٢٠ ساعة اسبوعيا فى حين افاد ٣٢٪ انهم يشاهدون اكثر من عشر ساعات فى الاسبوع، واخيرا هناك نسبه ٣٨٪ تشاهد مشاهدة متوسطة وبالطبع تختلف مشاهدة الطلبة عن اولئك الذين يعملون فى الاعمال الحرة وايضا الموظفين، حيث تتاح للطلبة العطلات وهم بعد الدراسة يكونون اكثر فراغا من الفتية الاخرين. وخطورة هذه النتائج سوف نتضح عند مناقشة اثار التعرض على قيم ومعارف هؤلاء المبحوثين، وعلى سلوكهم المتوقع واتجاهاتهم نحو الاشخاص والاشياء ورموز الحياة الثقافية والاجتماعية

جدول رقم (١٠) يبين توزيع عينة
الدراسة وفقا للمهنة وحجم المشاهدة للقنوات الفضائية

الوظيفة / عدد القنوات	طلبة	موظفون	اعمال حره	جملة	
	ك	ك	ك	ك	٪
اقل من عشر ساعات اسبوعيا	٣٠	٢	٢٥	٧٥	٣٨٪
اقل من عشرين ساعة اسبوعيا	٢٦	١	٢١	٤٨	٣٢٪
٢٠ ساعة فاكثر اسبوعيا	١٩	١٧	٩	٤٥	٣٠٪
اخرى	-	٠	-	-	
	٧٥	٢٠	٥٥	١٥٠	١٠٠٪

هـ- جنسية القنوات الفضائية:

اوضحت نتائج التحليل ان القنوات الاوربية قد جاءت فى الترتيب الاول من حيث كثافة استقبالها فى العينة وكما يوضح جدول رقم (١١)، فان نسبة

٥٥،٣٪ من جملة التكرارات حظيت بها القنوات الاوربية، بينما كانت القنوات الامريكية فى الترتيب الثانى بنسبة ٣٦،٥٪، ثم جاءت القنوات الروسية فى المؤخرة بنسبة ١،٤٪، ولعل هذا يرجع الى ضعف الالمام باللغة الروسية، فى حين تتقدم القنوات الناطقة بالانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية وهى فى معظمها تدرس فى النظام التعليمى المصرى وقد وجد ان هناك ارتباط بين معرفة اكثر من لغة اجنبية وبين التعرض لانواع معينة من القنوات فالذين يعرفون الفرنسية والانجليزية يتعرضون للقنوات الاوربية على سبيل المثال. وقد جاءت القنوات الاسيوية بما فيها القنوات الفضائية العربية فى ترتيب متاخر مما يدل على صحة الفرض الذى وضعناه والذى يقول ان "هناك علاقة ارتباطية بين التعرض لانواع معينة من القنوات".

جدول رقم (١١) يبين توزيع عين الدراسة
وفقا لجنسية القنوات الفضائية ومعرفة اللغات الاجنبية

معرفة اللغات/ جنسية القنوات	لغة اجنبية واحدة	اكثر من لغة اجنبية	جملة ك	جملة ٪
القنوات الاوربية	٣٠	٨٥	١١٥	٥٥،٣
القنوات الامريكية	٣٧	٣٩	٧٦	٣٦،٥
الروسية	١	٢	٣	١،٥
الاسيوية (والعربية)	٤	١٠	١٤	٦،٧
	٨٦ تكرار	٤٧ تكرار	١٣٣ تكرار	١٠٠٪

الفضائية وبين معرفة المبحوث لاكثر من لغة اجنبية"

- كما تؤكد هذه النتيجة الفرض الذى يقول ان التعرض للقنوات الاوربية عموما يفوق التعرض للقنوات المصرية والعربية.

وقد توزعت اسباب تفضيل القنوات الاوربية والامريكية على النحو التالى:

١- لجاذبية هذه القنوات ومستوها الرفيع بنسبة ٥٩،٤٪

٢- لان المبحوث يفهم ولغتها ٣٩،١٪ من المشاهدين.

٣- اسباب اخرى بنسبة ١،٥٪ من المشاهدين.

وترتفع نسب الطلبة الذين يشاهدون القنوات الاوربية والامريكية عن بقية افراد العينة، ولعل ذلك يرجع الى ان القنوات الامريكية اكثر انتشارا واكثر تطورا واكثر قدرة على مخاطبة الشخصية العربية ومعرفة مفاتيح التاثير عليها.

و- المضمون الذى يتعرض له المبحوثون:

افترضت الدراسة ان المضمون الترفيهى يحظى بالتفضيل الاكبر مقارنة بالتفضيل الخاص بالمضمون السياسى والثقافى"

وفى ضوء هذا الفرض يوضح الجدول التالى بعض المؤشرات التى تؤكد صحة هذا الفرض.

جدول رقم (١٢) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا للنوع والمضمون الاجنبى

النوع / نمط المضمون الاجنبى	ذكور	اناث	جملة	
	ك	ك	ك	٪
المواد السياسية والاخبارية	٣٦	١٢	٤٨	١٦،٤
المواد الثقافية	٣٣	٢٢	٥٥	١٨،٨
المواد الترفيهية (دراما منوعات)	٨١	٤٥	١٢٦	٤٣،٠
برامج الرياضة والاطفال	٤٩	١٥	٦٤	٢١،٨
اجمالى	١٩٩	٩٤	٢٩٣ تكرار	١٠٠٪

توضيح بيانات الجدول السابق عدة نتائج هى:

اولا: ان المضمون الترفيهى والترويحى من دراما ومسلسلات وبرامج المنوعات ومسلسلات اجتماعية SOAP OPERAS وبرامج المغامرات تحظى باهتمام ٤٣٪ من عينة الدراسة، فى حين تحظى برامج الرياضة والاطفال بنسبة ٢١،٨٪ من التفضيلات، وتأتى البرامج الثقافية الجادة فى الترتيب الثالث بنسبه ١٨،٨٪ يليها فى الترتيب الاخير البرامج السياسية والاخبارية بنسبة ١٦،٤٪ هذه النتائج تؤكد الفرض الذى تقدم ذكره من ان الدش اساسا يستخدم للتسلية وقضاء وقت الفراغ بشكل لا يمثل عبئا على المشاهد وتاتى المواد الجادة المتصلة بالمعرفة والثقافة فى المؤخرة، مع ان القنوات الفضائية تسهم فى نشر وتنفق المعرفة من الشمال الى الجنوب بشكل فاق توقع الخبراء فى هذا المجال.

ز- مشاهدة القنوات بدون معرفة اللغة:

يفترض الاطار النظرى للدراسة ان اللغة التليفزيونية كاللغة السينمائية لها مفردات ورموز تكنولوجية وانشائية عامة يفهمها كل الناس من كل الثقافات تقريبا ولا تمثل اللغة اللفظية عقبة كبيرة امام فهم المضمون الاجنبى القادم عبر القنوات الفضائية. وكما يوضح جدول رقم (١٣) هناك ٥٠،٩٪ من العينة يشاهدون القنوات التى يعرفون لغتها فقط، وهناك ٣٣،٩٪ من العينة يشاهدون قنوات لا يعرفون لغتها، وهناك نسبة ١٥،٢٪ يشاهدون كل القنوات دون معرفة لغتها، اى نصف العينة تقريبا يشاهدون قنوات بدون معرفة اللغة اللفظية لهذه القنوات، وهذا يؤكد ان اللغة اللفظية ليست معوقا رئيسيا لفهم الثقافة الاجنبية.

المصورة تليفزيونيا فى شكل دراما ومسلسلات اجتماعية وسلاسل وافلام وعروض وبرامج مختلفة. فاللون والحركة والابهار الفنى والتقنى ينجذب اليه المشاهد.

جدول رقم (١٣) يبين توزيع العينة
وفقا لمشاهدة القنوات ومعرفة اللغة والمهنة

الوظيفة/ عدد القنوات	طلبة ك	موظفون ك	اعمال حرة ك	جملة ك %
مشاهد القنوات التى يعرف لغتها	٢٨	٧	٢٢	٥٧
يشاهد بعض القنوات التى يعرف لغتها	٢٩	٢	٧	٣٨
مشاهد كل القنوات بدون معرفة لغتها	١٤	-	٣	١٧
	٧١	٩	٣٢	١١٢

٣- تاثير الدش على الامن الثقافى المصرى:

"افترضت الدراسة ان القنوات الفضائية تشكل تهديدا للامن الاعلامى والثقافى المصرى من حيث تاثيرها على قيم وعادات التعرض للاعلام المصرى ومن هنا يفترض ان كثافة التعرض للمضمون الاجنبى تشكل على المدى البعيد تهديدا للهوية الثقافية فى مصر.

وقد ثبت صحة هذا الافتراض من خلال النتائج التى نعرضها على النحو التالى:

أ- مشاهدة التليفزيون المصرى

يوضح جدول (١٤) ان مشاهدة التليفزيون المصرى فى عينة مالكى الدش تصل الى ٧٤٪ من العينة اى ان هناك ٢٦٪ من هؤلاء لا يشاهدون التليفزيون المصرى، ولعل الاناث كما هو واضح اكثر اعراضا عن مشاهدة التليفزيون بدرجة ملحوظة عن الذكور.

جدول (١٤) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا لنوع ومشاهدة التليفزيون

النوع / المشاهدة	ذكور	اناث ك	جملة ك	٪
يشاهد التليفزيون المصرى	٥٣	٥٨	١١١	٧٤
لايشاهد	٢٢	١٧	٣٩	٢٦
اجمالى	١٩٩	٩٤	٢٩٣ تكرار	٪١٠٠

ومن الملاحظ فى بحوث الاستماع والمشاهدة ان نسب مشاهدة التليفزيون لا تقل عادة عن ٩٠٪، ولكن متغير امتلاك الدش قد اثر بشكل ملحوظ على التعرض للتليفزيون من الناحية الكمية والكيفية.

ب- تاثير امتلاك الدش على حجم المشاهدة:

يوضح جدول (١٥) العلاقة بين امتلاك الدش
وتاثير ذلك على حجم مشاهدة التليفزيون

المهنة/ التاثير	طلبة	موظفون	اعمال حرة	جملة	
	ك	ك	ك	ك	٪
تاثير كامل	٣٠	٥	١١	٤٦	٣٠،٧
تاثير متوسط	٤٠	٢	١٢	٥٤	٣٦
لم يؤثر	٥	١٣	٣٢	٥٠	٣٣،٣
	٧٥	٢٠	٥٥	١٥٠	٪١٠٠

من الجدول يمكن استخلاص عدة نتائج اولها ان نسبة التاثير الكامل على المشاهد التليفزيونية يصل الى ٣٠،٧٪ من اجمالى حجم العينة. ثم "التاثير الى حد ما" او حجم التاثير المتوسط بنسبة ٣٦٪ اى ان العينة قد تاثرت احجام مشاهدتها للتليفزيون المصرى بفعل امتلاك الدش والهروب معه الى عالم اخر وثقافة اخرى.

ج- تقوم ثقافة المبحوثين للبرامج الاجنبية:

يوضح جدول (١٦) تقويم المبحوثين للفارق بين البرامج الاجنبية والبرامج المحلية

النوع / تقويم البرامج	ذكور	اناث	جملة	
	ك	ك	ك	٪
البرامج الاجنبية افضل من الناحية الفنية	٢٣	٣٩	٦٢	٤١،٣
البرامج الاجنبية اكثر اثارة وفائدة واكثر تحررا من البرامج المحلية	٥٢	٣٦	٨٨	٥٨،٧
جملة	٧٥	٧٥	١٥٠	٪١٠٠

وفقا لبيانات جدول (١٦) تبين ان المبحوثين الذين يمتلكون الدش يتجهون الى تفضيل البرامج الاجنبية لاسباب تتعلق بالتطور والناحية الفنية العالية والاثارة. والحرية والتحرر نسبيا، وهذه الاسباب تعكس عدم قدرة التليفزيون المصرى على اشباع حاجات وطموحات هؤلاء المبحوثين وقد كان الاناث اكثر تفضيلا للنواحى الفنية والابهار فى البرامج الاجنبية بينما كان الذكور اكثر تفضيلا للاثارة والتحرر فى البرامج الاجنبية.

د- تاثير امتلاك الدش على الاستماع للاذاعة:

تاثر الاستماع للاذاعة بعد امتلاك الدش بدرجة ملحوظة فبعد ان كان الاستماع للاذاعة بنسبة ٦٩،٣٪ فى العينة، فقد تراجع ليصبح بنسبة ٥٢٪ فى العينة، اى ان امتلاك الدش قد اثر على الاستماع للاذاعة بنسبة ١٧،٣٪.

جدول رقم (١٧) يبين توزيع العينة وفقا للاستماع للاذاعة
قبل وبعد امتلاك الدش

النوع	قبل امتلاك الدش				بعد امتلاك الدش			
	ذكور		اناث		ذكور		اناث	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يستمع للاذاعة	٤٣	٧٥،٣	٦١	٨١،٣	٤١	٥٤،٧	٣٧	٤٩،٣
لا يستمع للاذاعة	٣٢	٤٢،٧	١٤	١٨،٧	٣٤	٤٥،٣	٣٨	٥٠،٧
	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠

ويوضح جدول رقم (١٧) الفارق بين نسب الاستماع للاذاعة المصرية قبل وبعد امتلاك الدش، فبينما كان الذكور يستمعون بنسبة ٥٧،٣٪ للاذاعة قبل امتلاك الدش، صارت نسبة استماعهم للاذاعة بعد شرائه بنسبة ٥٤،٧٪ بفارق نسبه ٢،٦٪، وبينما كانت نسبه استماع الذكور قبل امتلاك الدش ٥٧،٣٪، صارت نسبه استماعهم للاذاعة بعد شرائه بنسبة ٥٤،٧٪ بفارق نسبه ٢،٦٪، وبينما كانت نسبة استماع الاناث قبل امتلاك الدش ٨١،٣٪، فقد صارت بعد امتلاكه بنسبة ٤٩،٣٪ بفارق ذى دلالة قدرة ٣٢٪ وهو ما يؤكد ان الاناث كن اكثر تاثرا من الذكور فى تخفيض نسبة تعرضهم للاذاعة كمصدر للمعرفة والترفيه والتثقيف.

هـ- امتلاك الدش وعادة قراءة الصحف:

جدول رقم (١٨) يبين توزيع عينة الدراسة
وفقا لقراءة الصحف قبل وبعد امتلاك الدش

النوع	قبل الدش				بعد امتلاك الدش			
	ذكور		اناث		ذكور		اناث	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
يقرأ الصحف	٤٥	٦٠	٤٥	٦٠	٤٠	٥٣،٣	٢٨	٣٧،٣
لا يقرأ الصحف	٣٠	٤٠	٣٠	٤٠	٣٥	٤٦،٧	٤٧	٦٢،٧
	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠	٧٥	٪١٠٠

تبين من تحليل بيانات هذا الجدول ان تاثير الدش على قراءة الصحف كان طفيفا وبخاصة لدى الذكور وان كان ذو دلاله لدى الاناث، بينما كان الاناث يقرأن الصحف قبل امتلاك اسرهن للدش بنسبة ٦٠٪ فقد انخفضت لتصل النسبة

الى ٣٧،٣٪ بعد امتلاك الدش فى حين لم تنخفض نسبة قراءة الذكور للصحف كثيرا.

وبشكل عام اذا اجمعت تاثير امتلاك الدش على عادات وانماط التعرض للتليفزيون والتى تراجعت بفارق نسبى قدره ٢٠٪ بعد امتلاك الدش، الى نسبة تراجع عادة الاستماع للاذاعة بفارق نسبى قدره ١٧،٣٪، اضفنا اليها الفارق النسبى لقراءة الصحف وهو ١٥٪ فانه يمكن تاكيد صحة الغرض الذى سبق الاشارة اليه من ان امتلاك الدش قد ادى الى تهديد عادات التعرض للاعلام الوطنى مما قد ينتج عنه تخلى تدريجى عن التعرض للاعلام المصرى، وبهذا يمكن القول ان التهديد الثقافى ياتى من جانب التعرض الكثيف للقنوات الفضائية الاجنبية.

(٤) ارتباط معارف المبحوثين بالتعرض للقنوات الفضائية:

تفترض الدراسة ان معارف وقيم المبحوثين ترتبط بتعرضهم للمضمون الاجنبى وقد اعد مقياس يشتمل على ٦ درجات يشمل معارف عالمية ومحلية، وهذه المعارف تتصل بالسياسة والفن والادب والثقافة وبعض الامور العامة، وكما هو مبين فى جدول رقم (١٩) فان المعرفة عموما بالاحداث والاعلام تعد ضعيفة مقارنة بعدم المعرفة وايضا تعد معارف الذكور اكثر نسبيا من معارف الاناث، فبينما معارف الذكور تصل الى نسبة ٥٥،١٪ فان معارف الاناث وصلت الى نسبة ٤٤،٩٪.

ومن حيث المعارف بالامور الخارجية كانت جملة المعارف الخارجية بنسبة ٦٠٪ بينما المعرفة بالامور الداخلية تصل ٤٥،٨٪ مع الاخذ فى الاعتبار ان المعرفة فى المحيط الداخلى تركزت على وحدتين فقط هما نسبة الامية فى مصر والحاصل على جائزة الدولة التقديرية.

جدول رقم (١٩) يبين معارف المبحوثين
ببعض الامور الفنية والادبية والثقافية الداخلية والخارجية

	ذكور		ذكور		جملة	
	عرف	لم يعرف	عرف	لم يعرف	عرف	لم يعرف
الحاصل على جائزة نوبل ١٩٩٣	١٥	٦٠	١٠	٦٥	٣٥	١٢٥
الفيلم الفائز بظاوسكار ١٩٩٤	١٩	٥٦	١٦	٥٩	٣٥	١١٥
الفيلم الفائز فى كان ١٩٩٤	١٥	٦٠	١٧	٥٨	٣٢	١١٨
ملكة جمال الكون ١٩٩٤	١٦	٥٩	٢٢	٥٣	٣٨	١١٨
نسبة الامية فى مصر	٣٦	٣١	٢٥	٥٠	٦١	٨١
الحاصل على جائزة الدولة التقديرية فى الادب ١٩٩٣	١٨	٥٧	٧	٦٧	٢٥	١٢٥
اجمالى	١١٩	٣٣١	٩٧	٣٥٢	٢١٦	٦٨٤

وان متوسط المعرفة بالامور الخارجية وصل الى ٢٧،٧٪ وكانت المعارف الداخلية بمتوسط ٤٠،٢٪ وهكذا يمكن القول ان الفرض القائل بان الذين يتعرضون للدش تكون معارفهم اكثر ارتباطا بالاشخاص والاحداث العالمية لم تثبت صحته بشكل تام وان العلاقة موجودة ولكنها علاقة ضعيفة.

(٤) التعرض للمضمون الاجنبى فى التليفزيون

أ- التعرض للدراما:

من قراءة الجدول رقم (٢٠) يتضح ان التعرض للدراما الاجنبية فى التليفزيون يصل الى نسبة ٥٦،٧٪ وهم يفضلون هذه المواد لاسباب عديدة منها:

جدول رقم (٢٠) يبين توزيع العينة وفقا للتعرض للدراما الاجنبية والنوع

النوع/ التعرض للدراما الاجنبية	ذكور	اناث	جملة	
	ك	ك	ك	٪
يتعرض	٤٣	٤٢	٨٥	٥٦،٧٪
لايتعرض	٣٢	٣٣	٦٥	٤٣،٣٪
جملة	٧٥	٧٥	١٥٠	١٠٠٪

١- ان المادة الاجنبية من مسلسلات وافلام مرتفعة المستوى من حيث النواحى الفنية والاخراجية بنسبة ٥٠،٦٪

٢- الاثارة والمتعة والجاذبية بنسبة ٤٩،٤٪

وكانت الدراما الاجنبية ممثلة فى :

أ- نادى السينما نسبة ٢٧،٦٪

ب- اوسكار ٢٩،٨٪

ج- اخترنالك ٢٠،٧٪

د- المسلسلات الاجنبية ٢١،٩٪

ب- مشاهدة الاعلانات:

يتضح من اجابات المبحوثين ان نسبة ٤٦،٧٪ من العينة تشاهد اعلانات التليفزيون فى حين لايشاهدها ٥٣،٣٪ من العينة والذين يش ٥٣،٣٪ من العينة والذين يشاهدونها يذكرون اسباب ذلك ممثلة فى:

- التسلية والاستمتاع ونمطية الوقت بنسبة ٦٨،٦٪

- بهدف معرفة السلع والخدمات المتاحة فى السوق بنسبة ٣١،٤٪ ولا توجد فوارق ذات دلالة بين الذكور والاناث او بين المهن المختلفة فى العينة.

ج- التعرض للمسلسلات الاجنبية:

يوضح جدول رقم (٢١) نسب التعرض للمسلسلات الاجنبية في التليفزيون

النوع / التعرض	ذكور	اناث	جملة	
	ك	ك	ك	٪
يتعرض	٥٢	٥٨	١١٠	٪٧٣،٣
لايتعرض	٢٣	١٧	٤٠	٪٢٦،٧
جملة	.٧٥	٧٥	١٥٠	٪١٠٠

وقد تبين ان الذين يتعرضون لمشاهدة مسلسل الجرئ والجميلة ٧٣،٣٪ فى حين لا.

د- الشخصيات الاجنبية التى تحظى باعجاب المشاهدين:

تبين ان المبحوثين يتعلقون بابطال المسلسل الاجنبى بدرجة كبيرة فقـــد افاد المبحوثون بــ ٩٢ تفضيل لشخصيات مسلسل الجرئ والجميلة توزعت على عائلات المسلسل وذلك على النحو التالى:

- عائلة فورستر: بنسبة ٤٦،٧٪
- عائلة لوجان: بنسبة ٢١،٧٪
- عائلة سبكترا: بنسبة ٣،٣٪
- عائلة سبنسر: بنسبة ٢٨،٣٪

اما عن سمات هذه الشخصيات التى اعجب بها المبحوثون فكانت كما يوضحهـــا جدول رقم (٢٢)

جدول (٢٢) يبين توزيع العينة وفقا للنوع واسباب الاعجاب بالشخصيات

النوع / الخصائص	ذكور	اناث	جملة	
	ك	ك	ك	٪
- الخصائص والمزايا الشخصية لابطال	٢٩	٣١	٦٠	٪٥٤،٥
المسلسل الاجنبى	-	-	-	
- الدور الاجتماعى الذى يقوم به الشخصيات	٨	١٤	٢٢	٪٢٠
- توصيفات اخرى الجمال / الابهار	١٥	١٣	٢٨	٢٥،٥
جملة	٥٢	٧٥	١١٠	٪١٠٠

هى الخصائص الشخصية كالوسامة والقوة والذكـــاء وحســن المظهــر وايضا الدور الاجتماعى كالحرص على الاسرة والابناء والايثار وغير ذلك مــن القيم التى عكستها احداث المسلسل.

وقد اوضحت النتائج ارتباطا وثيقا بين المبحوثين والدراما حيث يرى ٢٨٪ انه يجب تاجيل العمل لمشاهدة المسلسل الاجنبي، كما يفيد ١٧،٣٪ انهم يشاهدونه في العمل او اثناء اداء عملهم، وافاد ١٩،١٪ انهم يسجلون حلقات المسلسل ويشاهدونها بعد ذلك.

كل هذه النتائج مؤشرات للارتباط الوثيق بين جمهور القنوات الفضائية في مصر بالمضمون الاجنبي الذي زادت كثافته كلما بعد امتلاك الدش، وهذه النتائج تختبر عدة فروض تقدم ذكرها هي:

"ان البرامج الوافدة عبر الاقمار الصناعية تسهم في تخلي المشاهدين تدريجيا عن قيم مجتمعهم لصالح القيم الاجنبية، وقد ثبت صحة هذا الفرض من خلال قياس معارف الافراد نحو موضوعات عالمية فكانوا اكثر تذكرا لها بدرجة ما توازي معرفتهم ببعض الامور الداخلية في مصر.

اما الفرضية الثانية فتقول (ان القنوات الفضائية تشكل تهديدا للامن الثقافي المصري من حيث تاثيرها المؤكد على تراجع عادات القراءة وتقلص حجم مشاهدة التليفزيون والاستماع للاذاعة بنسب ذات دلالة سبق ذكرها. ومن هنا ننبه على ضرورة طرح القضية لبحوث علمية تقدم حلولا اجتماعية وسياسية وحتى قانونية لمواجهة التشويه الثقافي القادم ومحاولة بناء نظام اعلام عربي يقاوم التفتيت الثقافي الذي يمكن ان تحدثه هذه القنوات المختلفة في مضمونها وايدلوجياتها.

كما افترضت الدراسة ان المضمون الترفيهي يحظى بالتفضيل الاكبر مقارنة بالبرامج السياسية والثقافية، وقد تبينت صحة هذا الفرض حيث يفضل ٤٣٪ من العينة كل اشكال الترفيه والتسلية من مسلسلات وافلام واعلانات ورياضة وفنون وعروض متنوعة.

الفصل الرابع:

النص السينمائى والتليفزيونى
واهميته فى العملية النقدية

دراسة فى المنهج الاجتماعى مع التطبيق على
"الفلاح الفصيح و "ليالى الحلمية"

الفصل الرابع :

النص السينمائى والتليفزيونى واهميته فى العملية النقدية دراسة فى المنهج الاجتماعى مع التطبيق على "الفلاح الفصيح" و"ليالى الحلمية" (*)

تقديم

تطرح هذه الدراسة قضية مهمة ترتبط الى حد كبير بقضايا مصيرية خاصة فى دول العالم العربي ، وهى قضايا الثقافة والهوية القومية ، فى عصر تعددت فيه وسائل الاتصال الجماهيرى وتطورت تكنولوجيا اتصالات الفضاء بكل انواعها الاخبارية والدرامية الروائية والثقافة والاعلامية .... بحيث اصبحت فيه الثقافة القومية محاصرة من جميع جوانبها بثقافات وافدة من الدول المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا ، بشكل قد يهدد كيانها وهويتها ...فى مجتماعات يحتل فيها الفيلم السينمائى والمسلسل التليفزيونى مكانة مرموقة للتثقيف والترفيه والتأثير الاجتماعى والفكرى .

فمعدلات الامية الثقافية والفكرية والتعليمية ، تفضل الغالبية العظمى الصوت والصورة الفيلميين على الكلمة المطبوعة ،وتخضع لتأثير الفيلم بما لديه من إمكانات للابهار والتأثير والاقتناع ......

وهذا هو حال المجتمعات السمعية حيث تنقاد معظم الجماهير الامية الى المعلومات والانماط الثقافية السينمائية والتلفزيونية (الفيديو) المزئية دون مناقشة ، لاسباب متعددة لايسعنا هنا تحليلها . ونحن فى هذا البحث سنهتم بعنصر واحد من عناصر عملية الانتاج الثقافى وهو عملية النقد السينمائى والتليفزيونى انطلاقا من النص المكتوب المعد للمعالجة السينمائية والتليفزيونية وذلك كيما نتمكن من التعامل مع النصوص السينمائية والتليفزيونية على انها جزء من التراث الفكرى والثقافى للمجتمع يمكن رصده ونقده ودراسته وتحليله وتفسيره ، لتحديد اهمية بعض الاعمال الفيلمية ، القادرة على بناء نماذج خاصة فى اطار نمطى يتعرف غليه الجميع ، اذا ما نفذ فى عمل سينمائى او تليفزيونى.

(*) دراسة نشرت بدورية الفكر العربي - العدد ٧٨ - بيروت ١٩٩٤

فى ثنايا ايضاح بعض النماذج الاجتماعية بانعكاساتها اللغوية الفليمية الايضاحية ، يكتسب هذا العمل صفة الدلالة الفكرية للتعبير عن جوهر المجتمع سواء فى فترة زمنية حاضرة او تاريخية سابقة .... فيساهم هذا العمل عن طريق دلالته الفكرية الى حد بعيد فى تأكيد هوية المجتمع وترسيخ عناصر جوهره وذلك بالمواجهة والايضاح .... اذ ينبغى التعامل مع تلك النصوص والنظر اليها على انها ذات مضمون فكرى وثقافى يعبر عن المجتمع وتراثه الثقافى والمعرفى ، وليس على انها مجرد مشروع كتابى لتنفيذ فيلم يتكون من صور جذابة وحوار منمق ساحر ، ذلك ان النص المعد للمعالجة السينمائية والتليفزيونية ما هو الا وثيقة فكرية تطرح سمات مجتمع له دلالته الخالصة ولغته المميزة القابلة للنقد والدراسة والتحليل والتفسير.

ولما كانت كل دراسة نقدية يجب ان تستند الى منهج علمى موضوعى ، فستكون مهمتنا الاساسية اللاحقة هى محاولة وضع اسس منهجية لدراسة نصوص السينما والتليفزيون وتحليلها ونقدها انطلاقا من منظور اجتماعى . لاستخلاص اسلوب للدراسة والنقد يطبق فى ما بعد على عمل سينمائى وهو " الفلاح الفصيح " لشادى عبد السلام واخر تليفزيونى " ليالى الحلمية " لاسامة انور عكاشة فهما من الاعمال التى تخضع فى المقام الاول للوظيفة النقدية للمجتمع وليس للوظيفة التجارية الاستهلاكية ، هذا دون اهمال لمتطلبات الابداع الفنى والجمالى السينمائى منه و التليفزيونى.

اولا- مقدمة فى المنهج :

تعترض صياغة نظرية علمية لدراسة وتحليل نصوص السينما والتليفزيون من منظور اجتماعى عربى جملة صعوبات نوجزها فى نقطتين :

أ- ضرورة ارتباط هذه المناهج والدراسات بالواقع الاجتماعى وبدقائق مجريات الاحداث والظواهر الاجتماعية المتعددة التى يتطلب صوغها شروطا ترتبط بمتطلبات البحث العلمى الاجتماعى المادى التكنولوجى منه والبشرى المنهجى .

ب- ضرورة الربط بين تلك المناهج الاجتماعية التى تحلل بنية القضايا والظواهر الاجتماعية ، وتلك النظريات التى تحلل وتناقش قضايا الابداع والتعبير والنقد كنظريات اللغة واللسانيات ونظريات علوم لاسلوب وعلم اجتماع النصوص والبنيوية والشكلية وروافدها المتعددة ....وكلها تنبع من هذا التطور الهائل فى نظريات علم الاجتماع التى صيغت فى اوروبا فى القرن التاسع عشر

كمحاولة للسيطرة على ما فرضه التطور العلمى والتكنولوجى والاجتماعى .....
وهذا يتطلب البحث والسعى العلمى الدؤوب الى ايجاد ادوات التحليل والتفسير وعلى وجه الخصوص تفسير الظواهر المختلفة فى جميع مناحى الحياة الفكرية والثقافية والادبية والفنية .

ان استخلاص نظرية لنقد نصوص السينما والتليفزيون خاصة بالمجتمع العربي يقتضى التنقيب والفحص المتقنين لهذا التراث النظرى لعلم الاجتماع ونظرياته وروافده فى مجالات اللغة واللسانيات ونقد النصوص كالبنيوية والشكلية وعلم الاسلوب .....الخ .

ونحن في هذا الصدد نؤكد على اهمية علوم الاسلوب والاشارة وعلم اجتماع النص كإفرازات وعلامات بارزة للتطور الهائل الذى حدث فى علم الاجتماع بصفة عامة وللرغبة الاكيدة فى تحليل النصوص المتعددة للوسائل الادبية والفنية رغبة فى تحجيم الاخطار التى قد يحدثها التطور فى التكنولوجيا الاتصال والعلام والثقافة عبر الاقمار الصناعية للبث المباشر عابرة الثقافات والمجتماعات .

ومن اسباب اهتمامنا بتلك العلوم هو اعتقادنا بأن لكل معنى ادبى او فنى وظيفة اجتماعية ايديولوجية معينة ومحددة فالبحث فى مضمون تلك النصوص المعدة لتلك الوسائل المرئية والمسموعة من خلال ادوات منهجية وعلمية ، خصوصا الادوات الكيفية ، سيفيدنا إفادة هائلة فى تحديد المذاهب والاتجاهات والاهداف المتعددة التى يمكن ان تتبناها تلك الاعمال الفيلمية وفقا للفترات الزمنية التى انتجت خلالها مع الاشارة الى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية المحددة التى خضعت لها.

انطلاقا مما تقدم ، نتناول الاعمال الفنية والفكرية بالدراسة والتحليل ، ليس فقط باعتبارها مضمونا ادبيا او فكريا تتداخل فيه مجموعة من العلاقات الثقافية التى تحمل فكرا او معانى فى صورة دلالات ورموز وانما باعتبارها ايضا شكلا يحتوى على خصائص التقدم التكنولوجى الصناعى والعلمى . .

وترتبط دراسات مقومات الشكل والمضمون بتلك البحوث التقدمية الخاصة بدراسة الاسس العامة التى تحكم المضمون الثقافى والفكرى وتلقى الضوء على بعض الجوانب المرتبطة بعمليات الابداع وامكانات تناول الفكر واخضاعه لامكانات العرض : اى مدى ارتباطه بالاسس والمقومات الفكرية والثقافية وايضا العلمية ، كون الفكر والفن هما تماما كالعلوم والفلسفة ، بحث جاد فى جوهر واعماق المجتمع والانسان .

وتنظر تلك الدراسات الى العمل الفنى السينمائى والتليفزيونى كمؤسسة متكاملة تنطوى على مجموعة من الاحداث والممارسات الت تلقى الضوء على بنية

اجتماعية وفكرية الى جانب من جوانبها من منظـار ان الاعمـال الفنيـة هـى انعكاس للواقع الانسانى ، بعلاقاته وسـلوكياته وتفاعلاتـه المتعـددة بـالاطر الاجتماعية والسياسة والايديولوجية والقيم التى تحكمها ، بهدف إحداث تـأثيرات مباشرة او غير مباشرة على المشاهد المستقبل لتلك الاعمال .

وهذا نشير الى اهمية الادوات العلمية للمناهج الكيفية التى طبقت علـى النصوص الادبية والتى امكن بفضل علمـاء الاجتمـاع وبوجـه خـاص رواد مدرستى " استراسبورغ " و" باريس " الى تأصيل الدراسـات الخاصـة بـالفيلم المرئى والمسموع كنتاج فكرى وفنى ، وذلك بوضع هذه الاعمال فـى اطارهـا الاجتماعى والفكرى الثقافى .....

مما تقدم وللوقوف على اهمية تلك المناهج الكيفية فى ما يتعلق بدراسة وتحليـل نصوص السينما والتليفزيون ..... نجد أن هناك منهجين للدراسة :

أ- دراسة النصوص من الداخل . اى دراسة النسق الداخلـى لمعرفـة الكوامن الداخلة فى تحديد مقومات الابداع الفكرى والفنى .

ب- دراسة النظام الخارجى للبنية اللغوية . والمقصود اعتبـار النظـام اللغوى
(الفيلمى) ظاهرة اجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الاجتمـاعى الثقـافى والعلمى والاقتصادى ، فى النظر الى ان هذا النظام او السياق اللغـوى يسـتمد كيانه واطاره من الاطار العام للمجتمع .

فتطور نظام القيم والسلوك والمعرفة يؤثر تـأثير كبـيراَ علـى البنيـة السيميولوجية للفيلم ، نظرا لان لغة الصورة المتحركة هـى انعكـاس لسـياق اجتماعى ولغوى وفكرى ارحب واوسع افرزه ، ليس فقط المضمون لبنية لغوية واحدة بل لبنية كل اللغات السابقة شكلا ومضمونا.

ولا يفهم من ذلك انه يمكن استبدال منهج محل اخر ، إنما يمكن ان ننتقل من منهج الى اخر نظرا لانهما يتناولان جانبين او وجهين لعملة واحدة ، وهـى النشاط الانسانى الفنى والفكرى والعلمى والتكنولوجى .

الغاية الاولى من هذه المناهج الكيفية هى التعرف على وظيفـة العمـل واهدافه الحقيقة الواضحة منها والمستترة .... مما يفيد كثيرا فى التعرف علـى جزئيات بنية العمل اللغوية الفكرية منها والفنية وكيفية توظيفهـا لتحديـد دلالـة العمل ودوافعه ....

هذا المنهج الكيفي الذى يؤكد على القيمة الجمالية والابداعية للعمل الى جانب قيمته الفكرية " يأخذ فى الاعتبار عامل الكيف الى جانب عامل الكم .....
هذا على عكس علم الاجتماع الامبيريقى للادب الذى يهمل كثيرا من الاحيان الارتباط بين الكم والكيف ، فيدرس قيمة العمل من الناحية الكمية بمعزل عن قيمة هذا
الانتاج وتأثيراته الكيفية على المستقبل او على الوعى الجماعى [1]

ولعل للنص الفيلمى اهمية خاصة فى البحث والتحليل والدراسة فهو ليس الاطار العام الذى يحتوى على المستويات المتعددة للعمل الفكرية منها والفنية فحسب بل هو يعمل كمرشد مهم فى تحديد دلالة العمل الفكرية ....اذ لكل نص دلالات ورموز متجانسة تعكس واقعا وتتفاعل بشكل صريح او ضمنى مع هذا الواقع ، فهو يشير الى الاساس الايديولوجى للفئة الاجتماعية التى يتعاطف معها الكاتب محاولا ان يعكس اصولها النفسية والاجتماعية.

فاستخلاص دلالة العمل الفكرية تمثل اساس الدراسة التحليلة التفسيرية وتمثل نقطة الوصل بين قضايا المجتمع المحددة والفكر المقدم فى هذا العمل الفكرى ، اين نقطة الوصل بين الطبقة المثقفة القادرة على التفاعل الفكرى وبين قضايا المجتمع المتعددة وتجسيدها فى مفردات لغوية يكسها النص الفيلمى .

١- الدلالة الفكرية والاشارات السمعية والبصرية

ان تحديد مفهوم الدلالة الفكرية فى السينما والتليفزيون لربما يفتح لنا مجالا للدراسة والتحليل والنقد العلمى الموضوعى للعمل السينمائى والتليفزيونى بصفة عامة والقائم على المنهج الكيفى ....فاذا حللنا عناصر الدلالة الفكرية ، اى عناصر ومفردات النص الفيلمى(*) نجد ان مكوناته ما هى الا مكونات لبنية اللغة السينمائية او التليفزيونية والتى عن طريقها طرحت معان وافكار متعددة يمكن تشكليها او انتقاء بعضها للتعبير عن دلالة العمل الفكرية .... هذه الوحدة اللغوية اتبع فى تشكيلها بنية متكاملة ، تعكس نظاما خاصا تحكمه قوانين دقيقة للعمل الفنى خضعت للخلفية الاجتماعية والثقافية لكاتب النص والمبدع ...وايضا لخصائص البناء الاجتماعى والنسق المعرفى المتاح فى المجتمع وذلك لتأكيد

---

[1] (١)

PIERRE V. ZIMA . MANUEL DE Sociocritique , Paris, 1985, P. 368.
PIERRE MACHEREY: pour une Production Litteraire, EDITION MAS ERO , PARIS, `985
PATRICE PERIS DICTIONNAIRE du Theatre Ed Soeialcs, 1980
DESCOTES, M · ECRITURE de la Difference , PARIS, pectacles, 1975

معان وافكار قد يجهلها الجمهور المتلقى او لترسيخ افكار وقيم اجتماعية جديـــدة اولاعادة صوغ ذاكرة التاريخ والفكر الاجتماعى .
نخلص الى ان الدلالة الفكرية هى بنية معقدة من رموز متعددة بعضهـــا يتعلــق بالاشارات البصرية والاخر بالاشارات السمعية ....

ولكل مجتمع مذاق خاص فى عملية مخاطبة الجمهور عن طريق هـــذه الرموز فالتطور الاجتماعى الثقافى هو الذى يفرض نوعا خاصا مـــن عمليـــات التوزيع الاشارى بين الحواس المختلفة اى يفرض نوعا من التناغم والاتقان فـــى عملية التوزيع بين ما تصوره النغمات والكلمات وبيـــن مـــا تعكســـه الصـــورة للمواقف فى الزمان والمكان والطابع كما يقول جاكوب بسون : " ان الاشـــارات السمعية تستخدم الزمان فهى اشارات زمانية تميل الى ان تكون رمزية بطبيعتها لارتباطها بلغة الكلمات والاشارات المسموعة .... فهى تنتج بـــالجهد والاتقـــان المناسبين وبلغة الفن والصيغ الرئيسية للغة المنطوقة والموسيقى "[٢]
ونضيف مع صلاح فضل : " ان الكلمة كأساس للبنية اللغوية المنطوقة تحمل فى باطنها عوالم عديدة فهى البؤرة التى يتجمع فيها الموروث الثقافى والاجتمـــاعى والانسانى بكل ما لدينا من خصائص تشبه تلك التى كشفها العلم الحديـــث فـــى مشروع الهندسة الوراثية ".
وللتبسيط نقسم هذه الرموز الى مجموعتين :

المجموعة الاولى :

تتكون من مفردات لغات متعددة ، كالغة الموسيقى والغناء . ولغة الكلام كاللغة العربية المنطوقة الفصحى منها والعامية ، بالاضافة الى لغات المؤثرات الصوتية ..... ويتفاوت ادراك المتلقى لهذه البنية السمعية وفقا لتجاربه الســـابقة ومـــدى تفاعله مع الثقافة والعلم والمجتمع .

---

[٢] (*) يتكون النص الفيلمى المكتوب المعد للمعالجة السينمائية والتليفزيونية من جانبين : فكرى ولغوى . الجانب الفكـــرى يمكـــن التعبير عنه وفقا لمتطلبات وقواعد الكتابة الدرامية الروائية ، ويجسد هذا الشق الحوار او التعليق والمؤثرات الصوتية المختلفة ، اى كل ما هو مسموع . اما الجانب الاخر وهو جانب ادوات اللغة فيمكن التعبير عنه من خلال ادوات متعددة لتجسيد كل ما هـــو مرئى فيخضع هذا الشق للامكانات التقنية الخاصة لتجسيد خصوصية المكان ونوعية السلوك الاجتماعى ومظاهره المرئية .

(٢) صلاح فضل : علم الاسلوب ، مبادئه واجراءاته ، جدة ، النادى الادبى والثقافى . ١٩٨٨

المجموعة الثانية :

وتتكون مفرادتها من الاشارات البصرية او من مفرادات بصرية يتوافق فيها العديد من النظم التعبيرية والفنية الاكثر تطورا وتعميما ، اى انها ترتكز ليس فقط على علوم وفنون التصميم والاشارة بل ايضا تقنية التصوير والديكور وهندسة العمارة ، وفنون التمثيل والايقاع والالوان والتشكيل ، فهى رموز واشارات ترتبط بالمكان " فهى ايقونية او تمثالية بطبيعتها . فالاشارات البصرية المكانية تنتج بالاشكال الفنية بالرسم والنحت وفن العمارة "[٣]

ونحن بتأكيدنا على اهمية الاشارات السمعية لجانب مهم من هذا المزيج الفكرى والفنى للدلالة الفكرية ، فلارتباطها بتطور فى اللغة كنتاج فكرى وثقافى واقتصادى وحضارى انتجه المجتمع فى فترة من فترات تطوره التاريخى ، وتحكم تلك الاشارات القيم الاجتماعية كنتاج لتفاعل ثقافى واقتصادى وعلمى وحضارى.

وتلك الاشارات السمعية قد افرزت صيغا فكرية عبرت عنها العلوم والفنون السمعية والكتابية المطبعية والاداب بصفة عامة من خلال لغة المجتمع ، المكتوبة والمقرءوة وفنون الموسيقى والغناء .

واذا كانت علوم الاشارة اكدت على اهمية اللغة كانعكاس تاريخى ومعرفى وحضارى فانا نؤكد هنا على اهمية التراث الادبى وما حمله من تراث فكرى ومعرفى بالنسبة الى فنون السينما والتليفزيون ، وكونة ساعد كثيرا على اخراج كوامن الفكر الى مرحلة التعبير والتفاعل مع قضايا الانسان والمجتمع . ونقصد هنا ادب القصة.

وللاشارات اللغوية السمعية اهمية خاصة فى ما يتعلق باللغة الفيلمية المرئية والمسموعة فبخلاف تقاسمها بنية العمل الفيلمى برموزه واشاراته المتعددة ، فهى تتفرد بأهمية خاصة وهى ارتباطها الوثيق بالبعد المعرفى فهى التى تساعد على تحديد معانى الاشياء والصور المرئية ، فلا يمكن تصور اى نظام او بنية بصرية تتكون من مشاهد خارج نطاق اللغة ولنقرا دى سوسور الذى بدوره وحد بين الدلالة واللغة : ان عالم الدلالات ليس سوى عالم اللغة .[٤]



[٣] (٣) (٤) المصدر نفسه ص ٢٠– ١٥٠

[٤] (٣) (٤) المصدر نفسه ص ٢٠– ١٥٠

نخلص الى ان العناصر المرئية تقتضى رسالة لغوية مكتوبة او مسموعة مثلما فى مجال السينما والاعلانات وافلام الرسوم المتحركة وغيرها ، فهى لاتصبح نظاما ما لم تمر من خلال اللغة التى تعزل دلالتها وتسميها . وحسبما يرى بارت فان الحضارة واللغة هما صنوان متلازمان :" ان الحضارة المعاصرة هى حضارة الصورة المرئية ولكن وعلى الرغم من ذلك لم تتخل تلك الحضارة عن الكتابة التى تعزل دلالتها وتسميها اى لايمكن ان تتخلى اللغة الفيلمية عن الفكر المكتوب "

ولايضاح اهمية الاشارات السمعية نؤكد على ان تلك الاشارات واسلوب للتفاعل العاطفى والنفسى : فلقد اكدت علوم الاسلوب على اهمية الاشارات السمعية ليس كعوامل مهمة ومرجحة فى اخراج كوامن الفكر الى مرحلة التعبير و التفاعل اللغوى مع قضايا الانسان والمجتمع ، اى كوسيلة تعكس الافكار : بل ايضا على ما تعكسه وتثيره من عواطف ومشاعر واندفاعات وانفعالات فموضوعها لغة كل الناس كوسيلة للتعبير والفعل ، اى ان هذا المفهوم يشير الى اساس جميع الاجراءات التى تستخدم فى الاسلوب . وكما يضيف صلاح فضل : انه قد يصعب فى كثير من الاحوال ان نقول لماذا تؤثر فينا الكلمة بالذات او تلك البنية النحوية على وجه التحديد اكثر من غيرها التى لا تختلف عنها فى الدلالة ؟ . وربما كان ذلك يعود الى الفكرة نفسها بظلالها النشيطة كما لو قارنا كلمات مثل " مات " و" توفى " و "هلك " وانتقل الى جوار ربه او الى الرفيق الاعلى او لفظ انفاسه الاخيرة او ادركه اجله او فاضت روحه الخ ...... بالمقارنة بين الحالات والمواقف المتعددة ويمكن تصور مدى التأثير الذى تحدثه الكلمة بمصاحبة الصورة المرئية للدلالة على معنى محدد..... اذ يمكن التأكيد على اهمية النص المكتوب كإطار لغوى يفصل دلالة المعانى والافكار ويسميها اى يتفاعل مع المواقف والاحداث الاجتماعية فى صورة لغوية تحمل المعانى

° (٥، ٦) صلاح فضل : علم الاسلوب ، المصدر نفسه ، المعطيات نفسها .

انظر ايضا : صلاح فضل : شفرات النص ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ والمؤلف نفسه : النظرية البنائية للنقد الادبى

القاهرة ، ١٩٨٠ .

انظر ايضا ·

ROLAND BARTHE : Le Piaisir du Texte , Galimar, 1973.
MARTINET .· A : LES ELEMENTS DE LINGUISTIQUE Generales , Paris,1970.
J.DURAND : Vers une Esthetique de la Conception Theatrale. Presse de Lile , 1980.

الدارجة وتحدد الاطار الاجتماعى والايديولوجى للفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة .

٢- اهمية الادب القصصى فى عملية اعداد النصوص

بدا لنا ان اللغة المكتوبة او التراث الادبى المكتوب يمثل الاطار الفكرى للمجتمع ويعكس نتاج الانماط الاجتماعية فى صورة مفردات لغوية تضم المذاهب الفكرية والادبية والايديولوجية فى حقب التاريخ الاجتماعى والثقافى المتعاقبة .

فاللغة التى نعنى بها هى لغة التعاطف مع مصالح الفئات الاجتماعية المختلفة ، تعكس اصولها النفسية والفكرية والثقافية ، بذلك يمثل التراث الادبى بما يحتويه من فكر اجتماعى ، نقطة الوصل بين المجتمع بجملة قضاياه المتعددة والمتباينة فى اصولها الاجتماعية والطبقية وبين تلك الطبقة المفكرة والقادرة على اعادة صوغ تلك القضية من منطلق ادبى وفنى ، اى فى صورة دلالات ورموز هى فى واقع الامر الاطار المرجعى لبنية اللغةالفليمية ، سواء لغة الفيلم السينمائى او المسلسل التليفزيونى .

نخلص الى ان لغة القصة او ادب القصة كتراث فكرى يقدم مفردات النظام اللغوى الى الفيلم المرئى المسموع وخصوصا تلك المتصلة بجانب الفكر . بعناصره التفسيرية من سلوك وقيم وعادات وتقاليد ترتبط بالمجتمع . وهنا نؤكد على ان التراث المعرفى الادبى كوسيلة لغوية تسمى الافعال والاشياء والمفاهيم وتشير اليها وتؤكدها بصورة قاطعة . فالصورة المرئية لايمكنها القطع والتأكيد عما تحتويه من معان فى غياب الكلمة اللغوية المكتوبة او المقروءة كما هو الحال فى الاعلانات والصور الكاريكاتيرية والفيلم التسجيلى والروائى [٦] .... الخ .

---

[٦] (٥، ٦) صلاح فضل : علم الاسلوب ، المصدر نفسه ، المعطيات نفسها .

انظر ايضا : صلاح فضل : شفرات النص ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ والمؤلف نفسه : النظرية البنائية للنقد الادبى

القاهرة ، ١٩٨٠ .

انظر ايضا :

ROLAND BARTHE : Le Piaisir du Texte , Galimar, 1973.
MARTINET . A : LES ELEMENTS DE LINGUISTIQUE Generales , Paris,1970.
J.DURAND : Vers une Esthetique de la Conception Theatrale, Presse de Lile , 1980.

هنا يمكن لمس اهمية ما قدمته الحركات الادبية والفكرية فى مصر فى القرن التاسع عشر والتى كان لها فضل كبير فى تقديم الاطار الفكرى لهذه الوسيلة التكنولوجية الحديثة وجعلها اداة من الادوات اللغوية قادرة على وصف وتحليل السياقات الاجتماعية المختلفة وامدادها بعناصر فكرية تجسد مشكلات العصر .

ولعل الديمقراطية الفكرية التى عاشها المجتمع المصرى وسادت منذ بدايات القرن العشرين - اى منذ بداية المناداة بالتحرير السياسى والعسكرى من الاحتلال البريطانى وخاصة حركة سعد زغلول - والتى تلاقت مع هذا التيار الثقافى والفكرى - وحتى الستينات من هذا القرن - لها الاثر المهم فى الازدهار الفكرى والثقافى الذى طور وجدد فى المضمون الادب العربي وفى بزوغ ادب القصة الروائية والمسرح كاشكال حديثة للادب .

ولم يقتصر فضل هذه التيارات الفكرية على الادب فحسب ، بل شمل الحياة الاجتماعية والثقافة ، وهنا نشير الى اهمية مفكرى هذه الفترة وما بذلوه من جهد ثقافى وفكرى لترسيخ فكرة التجديد والتحديث ، ونخص بالذكر ما نادى به طه حسين فى كتاباته المتعددة وبخاصة كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " الذى قدم مشروعا حضاريا متكاملا لمفهوم الاصالة والمعاصرة ، وما يمكن ان يتبع لتحديث المجتمع والحياة ومن خلال هذا المشروع وكتاباته الاخرى مثل " الايام " و " المعذبون فى الارض " و " دعاء الكروان " .قدم دلالات ورموزا متعددة تصور القيم الاجتماعية الراسخة بوعى تاريخى واجتماعى ثاقب .وناقش قضايا اجتماعية وفكرية لا يجرؤ اخرون على خوض غمارها فى فترات زمنية اخرى . قد لايسود فيها المناخ الديمقراطى الذى يبيح للادب والفكر والثقافة المساهمة الفعالة والجذرية لتغير المجتمع نحو التقدم والتحديث.[٧]

وعلى الرغم من النقد الكبير الذى لاقاه المشروع الحضارى فى خمسينات هذا القرن ، الا ان هذا التيار الفكرى والثقافى استمر عطاؤه حتى الستينات بصورة متميزة ..... فتنوعت الكتابات الادبية حول القضايا الاجتماعية المتعددة وتباينت اتجاهاتها ، واصبح لكل اتجاه فكرى ادباؤه ومفكروه وقراؤه . فمن طه حسين و المنفلوطى وقاسم امين والعقاد الى نجيب محفوظ ومصطفى محمود ويوسف ادريس والشرقاوى واحسان عبد القدوس ويوسف السباعى ولويس عوض وصلاح عبد الصبور واحمد حجازى وسعد الدين وهبة ولطفى

---

[٧] (٧) احمد ابراهيم الهواري : نقد الرواية في الادب العربي الحديث في مصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٨ ، ص ١٢٠ - ١٢٣

الخولى يصف ويحلل الحياة المصرية بكل ابعادها بظلالها الاجتماعية والسياسية والعاطفية والنفسية الواقعية والرومانسية . فمن قضايا الحب والمرأة والشباب الى قضايا الفلاح والعامل والموظف الحكومى وطبقة الاثرياء فى الريف والحضر فأصبح الادب مرجعا اجتماعيا وفكريا يحدد منظومة القيم والاخلاق والعادات والتقاليد وتفاعلاتها فى النسيج الاجتماعى .

وقدمت هذه الحركات الاساس اللغوى الى الفيلم الروائى السينمائى والتليفزيونى ،ومثلت دعامته الفكرية . هذا اضافة الى ما قدمته تلك الحركات من خيال خصب يصف ويحلل بكل دقائقها ، فأفسح مجالا للاختيار والاقتباس ، من تلك الانماط الادبية الروائية المتعددة من الكلاسكية والرومانسية الى الواقعية . وذلك بفضل نخبة منتقاه من كتاب النصوص ومبدعى هذا الفن السينمائى والتليفزيونى الذين يتقنون فنون التصوير والاخراج والمونتاج والتمثيل .الا ان صفة الصناعة والتجارة واهمية عامل الربح المادى ولاسيما بالنسبة الى السينما الروائية فلم تحقق الامال المعقودة عليها من خلال تلك الوسيلة الجماهيرية والاكثر شعبية خصوصا فى الدول النامية .

وثمة ضرورة للتأكيد على ان الدلالة الفكرية للاعمال السينمائية تتكون من مزيج مركب تتفاعل فى مداخله اولا : الاشارات السمعية الفكرية وما تحتويه من ألفاظ تعبيرية وكلمات وموسيقى وايقاع ترتبط بالزمان والمكان والطابع . وهى دلالات تضرب فى اعماق تاريخ المجتمع وتطوره الثقافى والفكرى والاجتماعى .

ثانيا : الاشارات البصرية التى تصاحب فى تمازج تام تلك الدلالات والرموز الفكرية السمعية .فهى اشارات وصفية تستخدم فى تجسيدها الفنون التشكلية والمعمارية والديكور وايضا فنون التمثيل والاداء الحركى .

ونحسب ان النصوص المعدة للسينما والتليفزيون تمثل المستندات والترابط والضوابط الداخلية التى تعلن عن لغة الفئات الاجتماعية المتنوعة بكل ما تحمله من وصف وايقاع وتصنيف للاحداث والافعال وهى فى تتابعها الحركى والادائى .

ان النص الفيلمى يحمل ادوات الدلالة الفكرية وعناصرها ومكونات النسق اللغوى للعمل السينمائى او التليفزيونى بكل ما تحتويه من عناصر ومقومات فنية وفكرية او على الاقل يشير اليها ، تاركا امكانات تجسيدها واخراجها للفريق الفنى بقيادة المخرج المبدع .

ثانيا : نصوص السينما والتليفزيون من المنهج الى التطبيق على مقاطع من " الفلاح الفصيح " و " ليالى الحلمية "

لمسنا مدى اهمية المنهج الاجتماعى (الكيفى) لتحليل النص السينمائى والتليفزيونى والذى يحتاج تطبيقه الى دراسة نقدية لما يقدمه النص عن الواقع الاجتماعى والثقافى والسياسى الايديولوجى ، ورأينا الى اى حد استطاع النص الاقتراب من الواقع ...

وفى هذا الصدد يمكن تطبيق اى من الطرق او الابتعاد عنه . المرتبطة بهذا المنهج المتشعب الجوانب والاهداف كما يلى :

١- تحليل بنية الفيلم (اللغوية) وهذا يقتضى تحليل جانبين :
الاول . جانب الفكر .
الثانى . جانب ادوات الوسيلة .
هذا النمط من التحليل يقوم اساسا بالتركيز على هدف من اهداف النص او فكرة النص الرئيسية التى يرتكز عليها الكاتب فى نفسه .

٢- وفى تلك المرحلة من التحليل يمكن تتبع كيفية التعبير عن الافكار والرموز من خلال ادوات الفكر وادوات الوسيلة التقنينية ، اى من خلال ما استخدمه من الفاظ وكلمات تعبر عن المواقف وتتبع الاصول النفسية التاريخية والقيم وكيفية تزاوج الافكار بأدوات الوسيلة.

٣- تحليل الاطر المرجعية من اجتماعية وثقافية وفكرية ايدلوجية لفئات التحليل . هذا النمط من التحليل يقوم اساسا بحصر الاطر الاجتماعية والثقافية لموضوع النصوص السينمائية والتليفزيونية اى الاطار المرجعى للدلالة الفكرية.

هذا التحليل والدراسة لنصوص السينما والتليفزيون القائمة على المنهج الاجتماعى الى جانب احتياجه الى الدقة والحس الاجتماعى والمنهجى يتطلب ايضا إطارا فكريا يوجه هذا التحليل المفصل والذى يدور حوله الموضوع ، هذا اضافة الى توافر المعلومات والمعطيات والمراجع الرئيسية المتعددة الاجتماعية والادبية والفكرية المرتبطة بموضوع البحث .

ونظرا للصعوبات المنهجية المرتبطة بتطبيق بعض المراحل المرتبطة بهذه الطرق المنهجية وبصفة خاصة عامل الغموض الذى توصف به بعض النصوص فى تحليل الفكرة الاساسية وتقديمها وذلك لاسباب ترتبط فى معظم الاحيان اما بعدم وعى بعض كتاب النصوص بالقضايا التى يثيرونها ، واما بعدم

رغبة البعض فى التعمق فى بعض القضايا الفكرية الايديولوجية تجنبا لمـــا قـــد يلحق به وبعمله من اضرار مباشرة او غير مباشرة .

ونحن لن ندعى الريادة فى القيام بهذا النوع مـــن الدراســـات التحليليـــة لمضمون السينما والتليفزيون وذلك بتطبيق مناهج البحث الاجتماعيـــة الكيفيـــة ، ولكن على الاقل يمكننا القول ان هذا البحث هـــو بحـــث اســـتطلاعى وظيفتـــه الاساسية التعرف على ادوات الدراسة المنهجية الاجتماعية للنصوص ومصادرها وميادينها واهدافها فى مجالات الفيلم الروائـــى وبـــالاخص الفيلـــم والمسلســـل المصرى (العربي) وهو من ميادين الحديثة خصوصا فى العالم العربي .

- دراسة فى بنية الفيلم السينمائى والمسلسل التليفزيونى:

لعل من النتاجات الفيلمية فى السينما والتليفزيون المصرى المهمة والتى تركت بصماتها الواضحة فى الفكر الثقافى ، افلام شادى عبد السلام وصلاح ابو سيف ويوسف شاهين . هذا فى ما يتعلق بالسينما الروائيـــة ، امـــا فـــى مجـــال التليفزيون وفى الاعمال الحديثة فأن بصمة كل من اسامة انور عكاشة وصـــالح مرسى ويحيى العلمى واضحة فى مجالات الكتابـــة التليفزيونيـــة ومؤثـــرة فـــى قطاعات عريضة . ولم يكن هذا التأثير قاصرا على الجمهور المصرى فحســـب بل كانت له اثاره الواضحة عند جماهير الشعوب العربية بأسرها.

ونحن اذ نؤكد على ان هذه الدراسة استطلاعية ، فذلك لطابعها الريادى ، اذ ان وظيفتها استكشافية للادوات المنهجية وطرق ومجالات توظيفها واهدافهـــا وكيفية تطويعها للحصول على نتائج ممثلة وتعكس الواقع بموضوعية وصدق .

ولعل الفنون والاداب ، ويدخـــل فـــى هـــذا الاطـــار الفـــن الســـينمائى والتليفزيونى كفن ولغة ، هى من الادوات القادرة على رصد الواقع الاجتمـــاعى والفكرى للمجتمع من جميع منطلقاته التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

فقدرة هذه الادوات والوسائل هى الوصف والتحليل وتتبع الحقائق فائقـــة وعلى الاخص الفيلم السينمائى والتليفزيونى لكن الامر يتوقف هنا على شرطين :

١- توافر المعطيات والحقائق والدراسات الموضوعية التى عن طريقها يمكـــن نسج اعمال تتميز بالجدية والاهمية قد يســـاهم فـــى عمليـــة التنميـــة الفكريـــة والاجتماعية .

٢- والمعلومات الفكرية والاجتماعية تاريخية كانت او واقعية ، وادوات الوسيلة وتقنيتها وامكاناتها الفنية والتقنينية .

وفى تلك المرحلة من الدراسة ينحصر الاطار الفكرى للمنهج المقترح تطبيقه على بنية اللغة الفليمية والتى يعكسها النص السينمائى او التليفزيونى للفيلم الروائى او المسلسل فى المنهجية التالية :

١- رصد الافكار العامة والرئيسية من خلال الالفاظ والعبارات والكلمات كاشارات سمعية.

٢- الاشارة الى الاطارالمرجعى او الفكرى للعمل او الفكرة التى تشير اليها بعض العبارات والالفاظ بقدر المستطاع.

٣- تتبع الرموز الخاصة بأدوات التعبير المرتبطة بالاشارات البصرية التى تجسدها الصورة الفيلمية وذلك بقدر المستطاع.

ولما كانت البنية اللغوية للفيلم الروائى بنية مركبة المستويات وذلك يتضح من خلال النص الفيلمى وتشير اليه خصوصية الكتابة لتلك الوسائل المرئية المسموعة ، فهى كتابة مزدوجة اى ان طبيعتها تجنح نحو نظام مزدوج لانشاء وتأسيس نظامها الداخلى ، وذلك لمواجهة هذا التعدد فى مستويات بنيتها اللغوية فيمكن تطبيق هذا المنهج التحليلى الكيفى على بنية الفيلم اللغوية اما بتحليل وتتبع مستويات الفكر والتعبير السمعى ، او بتحليل وحصر مستويات التعبير البصرى ، وكل ذلك يجرى مع تتبع الاطار المرجعى لتلك الاشارات والعبارات السمعية البصرية .

ويمكن ايضاح عناصر هذا المنهج و تطبيقاته على بنية الفيلم من خلال الشكل التالى :

تطبيق المنهج الاجتماعى على مستويات بنية اللغة الفليمية

مستويات الفكر والتعبير السمعى	مستويات التعبير البصرى	الاطار المرجعى
- الكلمات والحوار - الموسيقى التصورية - الايقاع الحركى والمؤثرات الصوتية المختلفة	- الكاميرا وتحركها - زوايا الكاميرا - محتويات الصورة من : ديكور ...ملابس وازياء -فنون واداء وتمثيل	- الفترة الزمنية والتاريخية - تحديد الاطار الفكرى الايديولوجى والسياسى الاجتماعى والاقتصادى - الارتكاز على بعض الاعمال الادبية والتاريخية الخاصة بتلك الفترة

ثالثا : دراسة فى بنية فيلم " الفلاح الفصيح " " ومسلسل " ليالى الحلمية "

١- الفلاح الفصيح : قراءة فى تاريخ مصر الفرعونية

الاساس فى فكرة الفلاح الفصيح انها من الادبيات الاسطورية المصرية القديمة التى يرجع تاريخها الى نهاية الدولة القديمة وهى من الفترات المظلمة فى تاريخ مصر الفرعونية حيث اشتداد الظلم والطغيان يقوى الخيال الشعبى ساعيا الى تعويض هذا الاحساس بالالم والقهر عن طريق نسج قصص يدور صراعها ليس فقط بين بنى الانسان القوى منه والضعيف ، بل ايضا بين الانسان والالهة لتحقيق العدالة والحق ، فيتوجه الضعيف الى الالهة صاحبة القوة بالدعاء فهى القادرة على ارجاع الحق الى اهله وردع الظالم .... وكانت العدالة او فكرة العدالة تنبع من قوة الالهة او الاله ، كحام للعدل والحق . وكلما نمت قوة الاله وعظمت قدراته راج صيته واصبح محورا للاهتمام كحام للعدالة والحق فيزداد معتنقوه وتزيد شعبيته خصوصا بين الفقراء والضعفاء لينصف هؤلاء ويخيف مغتصبى حقوقهم .

ولعل قصة الفلاح الفصيح تنبع من تلك الفكرة التى تدور حول محاولة الفلاح الفصيح وهو من طبقة تجار الارض البسطاء التابعين لطبقة اصحاب الملكية الخاصة وهو من سكان حقل الملح بوادى النطرون لاسترجاع حقوقه (٨) التى سلبت ولما يئس الفلاح من عدم وجود صدى لشكواه امام الحاكم اخذ يهدد بتقديم شكواه الى الالهة مباشرة اى الاله انوبيس ..... اله الجبانة .

تلك القصة الشهيرة لدى دارس المصريات استلهمها شادى عبد السلام من مصدرين اساسيين :

من فكرة البردية الفرعونية التى تؤكد على مفاهيم العدالة والحق ، فى تلك الفترة من تاريخ مصر الفرعونية . تؤكدها عبارة واحدة " اقم العدل من اجل الاله الذى اصبح عدله قانونا للعدل فالعدل للخلود .وهو يهبط مع صاحبه الى القبر حينما يلفه كفنه ويوضع فى التراب فلا يمحى اسمه من الارض ، بها يذكر لانه اقام العدل وذلك هو شرع الاله " .

واستلهم الفاظها واحداثها من قصيدة شعرية كتبت من تسعة ابيات غنائية تحكى حادثة سرقة ارتكبها احد جباة الضرائب فى حق فلاح ، تاجر بسيط جاء من وادى النطرون الى الوادى ليبيع محصوله ، ويذهب الفلاح شاكيا الى الحاكم ، متوسلا اليه ببلاغة فائقة جعلت الحاكم " رينزى " يأمر بتدوين تلك الكلمات

البليغة التى ابهرته كيما يقرأها فى اوقات فراغه ، وانصف الفلاح وعوضه هـــو واسرته عن خسائره .

تلك المراجع والمصادر قدمها شادى عبد السلام من خلال عمل سينمائى متميز يقترب الى حد كبير من الواقع التاريخى . ولعل ثقافة المخرج والمؤلـــف ودراسته المتأنية لكتاب الموتى وللحضارة الفرعونية بمعالمها الاثرية والمعمارية ، هى التى قدمت له هذا الاطار الفكرى والفنى لتجسيد فكرة العدالة والحق .

وقد وقع اختيار شادى عبد السلام على اللغة العربية الفصحى لتكون لغة الحوار . وفى اعتقادنا انه لم يستطيع استرجاع اللغة العربية القديمـــة ويجعلهـا اساس الحوار فى الفيلم ، وذلك لعدم وجود من يستطيع التحدث بها ، فلـــم تقـم الابحاث والدراسات العديدة فى المصريات بتطور فى مجال فك اسرار مخـــارج الفاظ وصوتيات تلك اللغة ، ولم يجد المؤلف والمخرج ،- اى شادى عبد السلام - اقدم من اللغة العربية الفصحى لتكون لغة للاقناع والاخبار والتأثير

ويجمع هذا النسيج الفكرى الفنى الذى قدمه شادى عبد السلام فـــى هـذا العمل مصادر متعددة يفى بمتطلبات دلالة العمل الفكرية التى تعبر عن عنــاصر بنية اللغة الفيلمية . وتطبيقا لخطوات المنهج الـــذى افترضنـــاه نشـير الـــى ان مستويات الفكر والتعبير السمعى فيمكن من خلال قراءة عبارات النص المكتوب الوقوف على جوهر المعانى ، هذا بالطبع الى جـــانب الموســيقى التصويريـــة والايقاع الحركى والمؤثرات الصوتية المختلفة

ان تلك العناصر مجتمعة استطاعت الى حد بعيـــد ان توحـــى بالاطـــار التاريخى وتقدمه .

فبعد قراءة النص المكتوب للفيلم ، يمكن الاقرار بأن إنشاء وتأسيس بنية العمل اللغوية من خلال تلك الدلالات والرموز التى يحتويها نجدها قد تلاحمـــت بصورة تعكس بصدق جوهر المعانى والافكار المختلفة ، فتبـــدأ القصـــة بهـــذا المشهد الذى يدل على جوهر وشخصية المصرى القديم البســيط ونتلمـــس مـــن خلاله عناصر متعددة من اهمها مفهوم الترابط الاسرى وهـــو مـــن العلامـــات البارزة للحضارة المصرية القديمة . وشجاعة الفلاح وحبه . كما حصر المخرج والمؤلف الاشارة الى عظمة فنون الحضارة المصرية فجعـــل هنـــا الاشـــارات البصرية هى الغالبية على دلالة اللقطات فى هذا المشهد الاول :

الفلاح الفصيح

مشهد خارجي نهار
لقطة كاملة
(قرية سقارة ، صحراء) .
الفلاح يودع اسرته .
زوجته تصلح من وضع عقدها ذى الاغصان والزهور .
امه تجذب الطفل البالغ ثلاث سنوات .
والذى يرغب فى اللحاق بأبيه .
الفلاح يسحب قافلته الصغيرة من الحمير (اربعة) .
(مقتربا من الكاميرا)
انه مع الفلاح والقافلة .
ينظر الى الخلف (ل.م) تجاه عائلته اثناء سيره .
فلينج ، زووم للخلف مع اختفائهم فى الصحراء (ل.ع) .
رجل شرير السحنة (تحوت تخت)
جالسا بأسترخاء تحت شجرة الجميز .
بعد لحظة يتطلع الى اعلى ملاحظا شيئا .
رجلان جالسان فى الخلفية يتابعانه .
يهمسان له بشئ
تحوت يبتسم مفكرا.
تراك او زووم للامام

عندما يعتدل تحوت فى جلسته عيناه مثبتتان على ما يراه ، ثم ينهض واقفا بان مع تحوت الى ان يفاجئنا بظواهر السلب و النهب والاعتداء وكلها ظواهر تنم عن عدم الامان والتى لايمكن حدوثها الافى فترات من الضعف السياسى والاجتماعى .... ويواصل فى تجسيده هذه المعانى والافكار فى عدة لقطات امكن توظيفها للدلالة على تلك المفاهيم ، فجعل من تلك الحادثة بداية لتأكيد فكرته التى نسج حولها العمل وهى مناقشة فكرة العدالة ، فوظف الى جانب الصورة كأساس فى تقديم المعانى (كما فعل فى اللقطات التى اشرنا اليها) والحدث الدرامى الايقاع والاداء التمثيلى الى جانب الكلمة التعبيرية التى تدل على الظلم واغتصاب الحق – وهذا على عكس اللقطات السابقة التى لعبت فيها الاشارات البصرية الدور الاساسى فى التأثير على المشاهد عن طريق لقطات تقدم ملامح من الحياة الاجتماعية الهادئة والامنة فى ظل تلك الحضارة العريقة التى طالما كانت تفرض هذا الامن والاستقرار بالقوة والعدل والحق .

اما اللقطات او الدلالات التى تنافس فكرة العدالة والحق فجعلها لقطات كلامية يغلب عليها الطابع الدفاعى فى صور مرادفة كلامية بين (دفاع) و (هجوم) : دفاع فى شخص الفلاح وهجوم من حاشية الحاكم وموظفيه . وكان الدفاع كأى دفاع يلقى بلغة بليغة فالدفاع فى شخص الفلاح والذى يدافع عن حقوقه . مثاله لايملك من قوة فى تلك الحقبة المتردية من تاريخ مصر الفرعونية سوى كلمات بليغة فصيحة يقنع بها الحاكم . اختار بدقة تعبيراتها والفاظها ، فتارة تتوسل املة وراجية لتحقيق العدالة وتارة تنذر وتتوعد وتهدد بتقديم تلك الشكوى الى الاله " انوبيس " اله الجبانة ... وفى هذا تذكير وتهديد بالعقاب الكبير الذى يمكن ان يصدره الاله للانتقام والقصاص من المعتدى خصوصا فى القبر والحديث عن قدرة الاله الفائق القدرة هو ايحاؤه الى الفلسفة الام لحضارة مصر القديمة القائمة على العدالة والميزان وهى : فكرة البعث والحياة بعد الموت.

صوت الفلاح

(صائحا)

" ياعظمة الوالى ....

ياأعظم العظماء ......"

"..... لقد نصبت لكى تكون سدا للفقراء

يحميهم من الغرق ....

ولكن انظر اصبحت انت الطوفان ...."

" انى اشكو اليك

ولكنك لاتسمع شكواى

سأذهب واحمل شكواى منك

لانوبيس اله الجبانة "

هذا الانشاء واعادة التأسيس فى هذا العمل الفيلمى حصر خلاله المخرج والمؤلف شادى عبد السلام كل المعلومات والمعطيات عن تلك الفترة التاريخية لمصر الفرعونية للقيام بعملية إنشائية متكاملة من اعادة التأسيس ، فجعل تلك الاشياء والاشارات البصرية (المادية) التى تتشابه والواقع عن طريق زوايا الكاميرات وكادرات الديكور والاداء والتمثيل ، تنقل لنا احساسا معنويا تأثيريا من خلال الكلمة والموسيقى والايقاع .

ونحسب ان السينما المصرية اجادت تقديم حياة الفلاح وصراعه لتحقيق العدالة على عامل مهم وهو وجود هذا التراث الادبى الكبير المتعدد فى وجهات النظر ، لوصف واقع الفلاح المصرى حديثا وقديما ، ساندت هذا الفن السابع وامدته

بخيال وقدرة على تجسيد مواقف وسلوك وتبصير لفظى للعادات والتقاليد والقيم المتأصلة فى الريف المصرى ومعاناته والامه وقضاياه الاجتماعية .

فاقتبست وجهات نظر ادباء كثيرين فى العصر الحديث ، لعبد الرحمن الشرقاوى فى قصة " الارض " و " الايام " و" دعاء الكروان " فى ١٩٤١ لطه حسين و " يوميات نائب فى الارياف " ١٩٣٧ لتوفيق الحكيم و " زينب " ١٩١٣ لهيكل و " الحرام " ١٩٥٨ ليوسف إدريس .

فتلك المعالجة الادبية التفسيرية الكيفية للواقع الاجتماعى والنفسى والسياسى والاقتصادى لتلك الطبقة هى التى اعطت فرصا كبيرة لانجاح هذا النوع ليس فقط للفيلم السينمائى فحسب بل والمسلسل التليفزيونى .

٢–ليالى الحلمية : مناظرة تاريخية لتطور القيم

ويساعد مفهوم البنية اللغوية للعمل الروائى الفيلمى سينمائيا كان ام تليفزيونيا وكمنهج كيفى لتحليل تلك الاعمال باعتبارها مضمونا فكريا يقدم مفهوما مركبا ينطوى على العديد من العناصر والادوات توحى وتلمح بدلالات ورموز هى اعمق واقدر على تتبع المعانى المتعددة ، فتحلل المجتمع وظواهره المتلاحقة فى صورة اقرب الى الواقع ، بالصورة والصوت والايقاع ، اى من خلال اشارات بصرية ترتبط بالمكان ورموزه التاريخية والثقافية والاجتماعية واشارات اخرى سمعية .... وهى ترتبط بالكلمة وتأثيرها وتفيد الفاظها فى المكان والزمان توحى وتشير الى العديد من المفاهيم اللصيقة والخاصة بالمجتمع المصرى ينتهجها المتلقى لقربه ، ويرفرف على مخارجها واهدافها ودلالاتها .

فهناك الفاظ خاصة بكل فئة من فئات المجتمع ، الفلاح له خصوصيته فى التعبير الذى يختلف فى المكان والزمان وموقعه من السلم الاجتماعى والثقافى ، تلك الالفاظ والافعال والسلوك تختلف عن منطق الفاظ وافعال رجل الاعمال او الاقطاعى او التاجر او الموظف البسيط او العامل فى المدينة او القرية ، فكلمات الشهامة والصدق والبطولة تختلف عن كلمات الخداع والغش والنفاق فى المكان والزمان ، فى الماضى عنه فى الحاضر ، وكلها تخضع للاطار الثقافى والفكرى وللتطور الاقتصادى والاجتماعى والوضع السياسى فى المجتمع ، اى تخضع لقيم العصر تعكسه وتعبر عنه ولن نخوض فى تحليل دلالات هذا العمل الذى يطرح ازمة قضايا القيم بل نشير الى بعض مظاهرها كما ورد فى هذا العمل الوصفى الدقيق للحياة الاجتماعية من خلال تطور العادات والتقاليد والمفاهيم والسلوك لفئات المجتمع المختلفة ، بدءا من الطبقة الرأسمالية والبورجوزية وانتهاء بطبقة الفلاحين والعمال . وهى اهداف متقف

ومفكر اراد طرح قضايا عصره وبوجه خاص قضايا القيم والثقافة فكــــان أداؤه من اخراج وتصوير وعناص اخرى ترتبط بأدوات الوسيلة المتاحة مـــن صـــور وضوء وكادرات وزوايا والوان متعددة المستويات مـــن الاعمـــال التليفزيونيـــة النادرة .

ونحسب ان هذا العمل يكاد يكون ، متناولا لمصر بكل ما تمثله من قيـــم وسلوك وعادات وتقاليد عبر سنين تطور هذه القيم خلال قرن من الزمان تقريبا . كأن الكاتب يدعونا الى مواجهة النفس ويدفعنا الى التأمل فى ما اصابنا فى هـــذا القرن ، فهو قرن الانجازات الكبيرة والاحباطات الفظيعة وهـــى عبـــارة كـــان يرددها الكاتب دائما عن طريق احد ابطاله (على البدرى) ففى هذا القرن فى بداياته يؤكد المؤلف على اهمية ثـــورة سـعد زغلول وجعلها الشرارة الاولى لبناء نواة من المثقفين وحاملى القضية الوطنيـــة المصرية العربية من رجالات مصر فى الريف والمدن .

وجعل من حى الحلمية القديم بوتقة تنصهر فى داخلهـــا قيـــم المجتمـــع المصرى الاصيلة كما جعل من قهوة زينهم السماحى دلالة عمله الفكرية والمنقذ الرئيسى من الضياع او الحفاظ على القيم والثقافة الاصلية للمجتمع .

وكان لايمكن التعبير عن تلك الفترة الممتدة من تاريخ مصر المعـــاصرة من بدايات القرن العشرين الى التسعينات منه عن طريق العديـــد مـــن الرمـــوز والدلالات والاشارات السمعية والبصرية دون وضوح وعمق فى فكر الكـــاتب " فالفكر يسبق اللغة " مثلما اوضح سوسور رائد المدرسة البنيوية ، فتلـــك الادوات اللغوية اى الخاصة بأدوات الوسيلة هى التى تمارس تأثيرهـــا الخـــاص علـــى المتلقى.

وسأحاول فى هذه اللمحة التحليلية تقديم دراسة كيفية سريعة لتلك البنيـــة المركبة بالتركيز على جوهر العمل ، وذلك بالانتقال من مستوى الى اخر مـــن مستويات البنية اللغوية للتوصل الى تحديد مواقف هذا العمل من القضايا الخاصة بالقيم وتطورها فى تلك الفترة التاريخية الممتدة من بدايات القرن العشرين وحتى التسعينات منه .

وجسد الكاتب جمله بـــالصوت والصـــورة وادوات الوســيلة التعبيريـــة الاخرى وبالاخص الموسيقى والغناء ، فلقد جعل فى العديد مـــن المقـــاطع اداة تعبيرية درامية من الطبقة الاولى وبخاصة اصوات اصيلة فى ادائها ابتدءا مـــن عبد الوهاب وام كلثوم وعبد الحليم حافظ واستعان بأحد الاصوات الواعدة مدحت صالح الذى وظف اغنيته " كوكب ثانى " فى مشهد اخبارى عميق .

وكانت كل شخصية اداة من ادوات الكاتب المفكر اسامة انــور عكاشــة لنسج فكرته عن مصر منذ بدايات القرن العشرين ، زمن الانجازات العظيمة في مجالات الثقافة والفنون والعلم وما قدمته من وجود الهب حماس وقدرات نخبــة استطاعت التغيير والتطوير والحفاظ على القيم الاصيلة برغم ظـــروف البــلاد السياسية والاقتصادية الحرجة ، فكونت كوادر شعبية كانت لها مســاهماتها فــى بلورة مشروع قومى حقيقى الى ان اصطدمت تلك الحركـــات الرياديــة بواقــع الهزيمة مثلما حدث فى نهايات المرحلة الناصرية .

وتنتهى حلقات " ليالى الحلمية " بالتصالح بيـــن المــاضى والحــاضر لمواجهة المستقبل وبرغم النهاية السعيدة نسبيا " على " يعود الى " زهرة " وهما من رموز النخبة الوطنية المنتقاه الواعدة ويمثل انفصالهما وشقاؤهما دلالة علــى هزيمة تلك النخبة وصدمتها النفسية العميقة بواقع الهزيمة ، فهى عودة بعد لقــاء روحى وعاطفى اصطدم بواقع التغيير المرير والمفاجئ بعــد النكســة والتغــير القيمى الذى عاشه المجتمع المصرى والعربى منذ الخمسينات ، فهى عودة ليست بالضرورة الى الافضل او الاسوأ ولكنها عودة مريرة برغم علامـــات الابتهــاج والفرحة . عودة بعد ان تهالكت القوى الى واقع يتصـــدى لمقومـــات المــاضى فيفرض منطق الغلبة للاقوى والاكثر ثراء وليست الغلبة للاصلح اخلاقا وقيمـــا وثقافة وفكرا .

ولقد تعمد الكاتب فى المشهد الاخير ان يجمع اقطاب هذا النسيج ورموزه ودلالته المركبة ليواجهنا بنظرة شاملة لواقعنا الاجتماعى وكأنه يدعونا الى جدل نقدى مركب . فلقد جمع الاشياء ونقيدها وجمع الماضى والحاضر دلالـــة علــى المستقبل الذى يحمل الكثير من علامات الاستفهام عن الطريق الذى نسلك :

اما التخلى عن القيم الاصيلة ونمضى فى طريق فقدان الجذور والاصالة والضياء . واما التمسك بالاصالة والتشبث بقيم غابت وذهبت بعيدا لتجرفها رياح التطرف والتناقض والرذيلة والانحراف والارهاب ، وكلها بدائل قائمة وقائمـــة طرحها الكاتب فى الجزء الرابع والاخير برغم تلك النهاية التى تبدو سعيدة فـــى مشهد تركه مفتوحا دونما حسم وتأكيد لتلك النهاية .

فأن لم يشأ الكاتب التأكيد على الحاضر لارتباطه بالعديد من المتغـــيرات التى تحكمها ظروف لايتحكم فيها المجتمع النامى بل يدخل فى تشكيلها وصوغها

متغيرات خارجية ترتبط بأليات النظام العالمى الا انه لمح الى حاضر منقطع عن الماضى برغم وحود عناصر اصيلة عاجزة ، فأكد علي سـيادة قيـم وعـادات وتقاليد غربية تذيب وتبيد مفاهيم وقيم الشجاعة والاصالـة والبطولـة والتفـانى والصدق والحب .

فنجد سليمان غانم وهو من رموز الماضى لايجد احـدا ليقـص عليـه ذكرياته وامجاده الماضية سوى خادميه الاميين والخاليين من هموم العصر فـلا يدركان معانى الحديث واهمية مضمونه .... ويتوهان فى نوم عميق وحتى سليم البدرى رمز الرأسمالية الصناعية يقع فى حب حمدية الغازية السابقة وصاحبـة الكباريه والاعمال ايضا . فيجعل الماضى يذوب ويندثر . وبفعل فقـدان الـذات والقيم الاصيلة نجمت نهاتات مفجعة لا تتلاءم وامجادها السابقة .

الخاتمة

من التحليل المنهجى التطبيقى الذى قدمناه نحاول استخلاص النقاط التالية :
اولا .

التأكيد على اهمية التقدم والتطور العلمى والمنهجى فى مجالات الصورة الفيلمية كأدوات كيفية اتاحت فرص الاختيار والانتقاء لبعضهـــا لتتوافـق مـع منطلقاتنا في دراسة وتحليل جزيئات نصوص السـينما والتليفزيـون كانعكـاس فكرى وثقافى ، فأمكن بفضلها التمييز بين مفهوم البنية اللغوية والدلالات وعلـى الرغم من ان الدلالة الفكرية للفيلم تجمع فى ثناياها عناصر وقواعد البنية اللغوية الا ان الدلالة الفكرية تخص عناصر بعينها وفقا للاطـــار الفكـرى والمعرفـى والحسى للكاتب المفكر .

فمفهوم البنية هو عام بالضرورة لدخول عناصر متعددة ابداعية وجمالية خاصة بعلوم الصورة المتحركة وادوات التعبير المختلفة من صـــوت وصـورة وكاميرا . وفنون واخراج وتشكيل .....الخ .

اما الدلالة الفكرية وهى مفهوم خاص ودقيق ينطلق من ايديولوجية فكرية محددة خاصة بامفكر والكاتب فهى تخص اذن عناصر بعينها منتقاه وفقا للاطار الفكرى والمعرفى والحسى للكاتب المفكر .

ونحسب ان لقطة فيلمية واحدة فى بعض الاحيان تكفى لتلخيـــص فكـر الكاتب واهدافه . ويتوقف تعدد تلك القطاعات على تعدد وجهات نظـــر الكـاتب وغنى معرفته .
ثانيا .

. ان الفكر المرئى المسموع والتعبيرعنه بالصورة والصوت هو محصلـــة للتعبير الكتابى والتشكيلى، فالكلمة المكتوبة هى اســـاس المعرفـــة التكنولوجيـــة الحديثة وتمثل اساس الادراك الحسى والمنطقـــى . هـــذا الـــى جـــانب كونهـــا المرتكزات الفكرية والثقافية .

هنا نؤكد على انه ليس هناك فكر مرئى مسموع دون هذا الاطار المعرفى الذى يحتل فيه الادب بصفة عامة والادب القصصى بصفة خاصة دورا مهما وحاسما فى رسم الدلالة الفكرية للعمل فبدون هذا التعامل يصبح العمل الفيلمى تتابعا لصور مفرغة من اطارها الثقافى والمعرفى .

الفصل الخامس:

الدور الاجتماعي للمرأة العربية كما يصوره التليفزيون المصري دراسة تحليلية

الفصل الخامس:

الدور الاجتماعي للمرأة العربية كما يصوره التليفزيون المصري دراسة تحليلية

مقدمه:

يمكن التأكيد على أن تقديم نظرية نقدية لفاعلية العمليـــة الإعلاميـــة أو سلبياتها في عرض القضايا الاجتماعية المتعددة للمرأة وعلى وجه الخصـــوص، المرأة المصرية ورسم هيكل لدورها في المجتمع، ووضع تصور لما يجـــب أن يكون عليه هذا الدور الحيوي، لا يمكن أن يتحقق دون تحديد مسبق وبشيء من الإيضاح عما نعنيه بالدور الاجتماعي للمرأة المصرية.

فلتحديد هذا الإطار لابد وان يسبقه وضع لبعض ملامح منظومة الحقوق الاجتماعية للمرأة العربية بصفة عامة حتى يمكن تحديـــد أدوارهـــا فـــي هـــذا المجتمع، بصورة
واضحة. خاصة بعد هذا التحول المذهل الذي غير من ملامح المجتمع العربـــي والمصري على وجه الخصوص في الآونة الأخيرة.

فالحقوق الاجتماعية التي تحدد الدور الاجتماعى للمرأة لا يمكن فصلها عن قوى الضغط الاجتماعى الجديدة، والتى نحن نعيش فى زمانها، .. "تلك القـــوى التى تطبع بصماتها على كل ركن من اركان الوطن العربى"، وتترك بصماتهـــا على الوضع الاجتماعى .. وتؤثر بطريقة مباشرة على تلك المكتسبات الســـابقة التى حظيت بها المرأة المصرية .. ثم العربية .. منذ قرابة اكثر من قـــرن مـــن الزمان خاصة فيما يتعلق بمفاهيم كالتعليم، والحرية الفكرية، وحق المـــرأة فـــى تحديد المصير، والمساواة الاجتماعية والسياسية بينها وبين الرجل.

ولكن الفهم الصحيح لتلك العناصر التى تشكل الحقوق الاجتماعية للمرأة المصرية فى الفترة الاخيرة لا يمكن ان يستقيم ويكتمـــل بعيـــدا عـــن مجمـــل التحولات التى اصابت المجتمع العربى خلال العقد والنصف الاخـــيرين، ولعلـــم الاجتماع العديد من الوسائل المنهجية والمفاهيم التى تؤكد على اهمية تلك النظرة المتكاملة فى تحليل الظواهر الاجتماعية، وبصفة خاصة تلك العناصر والعوامـــل التى ادت الى بلورة حقوق المراة الاجتماعية والسياسية فيمكن دراستها من خلال

دراسة الدينامية الاجتماعية؛ او القوى الدافعة التى تحقق نوعا من المشاركة الاجتماعية والسياسية. اى دراسة قوى الدفع الاجتماعى كعناصر تكونت فى ثنايا المنطلقات الفكرية التى اتضحت فى المجتمع المصرى منذ منتصف القرن التاسع عشر، ودفعت المجتمع الى توجهات متعددة اجتماعية وثقافية. ومثلت المراة احد المحاور الاساسية فى تلك التوجهات والمرتكزات.

وكان التعليم، اى تعليم المراة والمناداة بمشاركتها الرجل العمل هى من اهم تلك العناصر الدافعة لتغير المجتمع، فهما من القوى الايجابية للدفع الاجتماعى ولتحقيق مستوى لائق من المشاركة الفعالة؛ لقد اوضح "ماكس فيبر" ان وضع الفرد يتحدد فى اى تسلسل اجتماعى على اساس ما يتمتع به من قوة عند مقارنتها بقوى الافراد الاخرين.الذين يشغلون اوضاعا اخرى فى هذا التسلسل، حيث يمكن ترتيب الاوضاع على اعتبار ان هذه المهنة مشرفة او غير مشرفة، وهناك قوة تحققها المراة بنفسها من خلال مشاركتها الرجل العمل؛ فكأن التعليم والعمل هما من القوى الهامة لمشاركة المراة الحياة الاجتماعية والسياسية.[1]

لكن هذا الوضع الاجتماعى وهذه المكتسبات الماضية والسابقة او لنقل بعض المؤشرات التحررية لهذا الوضع تشهد نكوصا كبيرا خلال الحقبة والنصف السابقتين؛ وما يجب ان تتذكره دائما ان هذه التغيرات النكوصية خضعت لها المرأة العربية، والتى سميت فى بعض الادبيات العربية بمؤشرات التراجع والتكوص، اعتبرها البعض الاخر "دليل الصحوة" والعودة للواقع الصحيح. الا ان هذه الصحوة لم تعد تعنى فقط الاتجاة ضد التصورات الغريبة، وانما الانحسار نحو التشكلات "القرابية التقليدية" او لنقل الاطر المرجعية المباشرة: العائلة القبلية والجماعية المذهبية، الا ان ما يجب ان نعيه ان هذه العودة او "الصحوة" لا يمكن لها ان تتم فى اطرها التقليدية الخاصة من حيث انها، اى هذه الوحدات او الاطر هى الاخرى قد انعقدت ولو جزئيا من تقليديتها

---

[1] – سامية خضير صالح، المشاركة السياسية للمرأة المصرية، قوى الدفع الاجتماعى، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة ١٩٨٩ *

انظر ايضا فى هذا الصدد المراجع التالية:

– شكرى النجار، (الاسلوب "الانثروبولجى" لدراسة المجتمع العربى)، الهيئة القومية للبحث العلمى، ١٩٨٥.

– جورج لاباساد، مقدمات فى علم الاجتماع – ترجمة هادى ربيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بدون ١٩٨٦.

TRADITIONALTY بفضل التغيرات التى اصابت المجتمع وبالتالى وحداته القرابية المذهبية.[٢]

ولن ندخل هنا فى مجال التحدث عن التكوينات الاجتماعية العربية التى اثرت على ملامح تلك الحقوق الاجتماعية للمرأه فى الوطن العربى، ولسنا هنا معنيين بالافاضة فى تبنى اى من التصورات للتأثيرات القائمة والتى اثرت على وضع المراة فى المجتمع العربى وبصفة خاصة المجتمع المصرى، ولكن يمكن الاشارة الى ان هناك نموذج للتحديث او التنمية الوطنية فى الوطن العربى والذى يمثله "نموذج التنمية المصرية" وكان له اثارا بعيدة المدى على وضع المراة العربية.[٣]

ولما كان منطق هذه الدراسة هو الوقفه النقدية من مفهوم الدور الاجتماعى للمرأة المصرية كما يصوره التليفزيون؛ فهنا علينا تقديم نظرة تاريخية سريعة لتطور هذه الحقوق الاجتماعية المكتسبة والتى رسمت هذا الاطار العام للدور الاجتماعى للمرأة، حتى يمكن بناء منطلقنا النقدى للدور الذى يجب ان يلعبه الاعلام خاصة التليفزيونى تجاه قضايا المرأة ودورها الاجتماعى.

اولا: لمحة تاريخية للتيارات الفكرية المؤثرة فى تطور الوضع الاجتماعى للمرأة المصرية:

لا شك ان التغيرات التى طرأت على مضمون وشكل الادوار الاجتماعية للمرأة المصرية لها خصوصيتها فى اطار السياق العام للمجتمع وتراكماته الاجتماعية والثقافية والفكرية على امتداد مراحل تاريخ مصر الحديث، منذ بدايات القرن التاسع عشر. والتى ادت الى خصوصية قضية المراة ومشاركتها الاجتماعية والسياسية.١

فقضايا المراة وبصفة خاصة المراة المصرية تبرز نوعية المتغيرات والتطورات السياسيةوالثقافية والاجتماعية التى مر بها التاريخ، وادت الى نموذج التحديث او التنمية الوطنية، والتى اجتاحات مصر فى فترات متعاقبة ووفقا

---

[٢] – باقر سلمان النجار "الحقوق الاجتماعية للمراة" ندوة الخبراء حول المرأة العربية والمتغيرات الاجتماعية والثقافية اليونسكو – المركز الاقليمى العربى – للبحوث والتوثيق – القاهرة ١٩٨٨.

[٣] – نفس المرجع السابق.

للتغيرات وقوى الدفع الاقتصادية الاجتماعية لتحقيق نوعا من الازدهار الفكرى والثقافى والاجتماعى.

ونحن نخص بالتحديد التجارب السياسية والاجتماعية والثقافية فى فترات مثل ثورة ١٩١٩. ثم ثورة ١٩٥٢. والتى ضربت مثلا ونموذجا للتحديث فى المنطقة العربية وتمثل هذه التجربة بشكل واضح الفترة التى اعقبت حرب عام ١٩٥٦ وحتى حرب ١٩٦٧، ويتميز هذا النموذج اقتصاديا بمحاولات الاعتماد على الذات وتبنى تجربة الصناعات الثقيلة والتأميم وكان لهذه التحولات الهائلة اثارها على المتغيرات الاجتماعية والثقافية، وبرزت ادوار المراة المصرية بشكل واضح فى جميع المجالات الثقافية والاعلامية .. ومراكز البحوث .. والمراكز القيادية المتعددة .[٤]

ومن المفيد ان نتوقف قليلا عن عمالقة فكر التحديث المصرى فى عصر التنوير لاسهاماتهم فى بناء قاعدة فكرية كانت لها فضل فى بناء جسور الوعى الاجتماعى المتصل باهمية تعليم وعمل المراة والفتاة المصرية. وكانت البداية فى مشوار التحرر والمشاركة الاجتماعية والسياسية للمراة المصرية.

ولعل للحملة الفرنسية على مصر تاثيرات عميقة على العقلية فى ذلك العصر فلقد جاءت تلك الحملة ومعها مبادئ الثورة الفرنسية .. التى تهدف الى ارساء مبادئ العدل والمساواة والاخاء ومعها العلماء فى جميع التخصصات .. ومعها ايضا المطبعة والكتب والمعارف .. من ثقافة وادب وفكر ..

واعجب المصريون بتلك الثقافة والاداب .. فى وقت كان قد اصاب نظام الحكم فى مصر الكثير من التغيرات، وبرغم قصر مدة الحملة الفرنسية الا ان فرنسا ظلت متصلة بمصر من الوجهة العلمية التجارية" ..

---

[٤] – باقر سلمان النجار، "الحقوق الاجتماعية للمرأة" ندوة الخبراء حول المراة العربية والمتغيرات الاجتماعية والثقافية. اليونسكو – المركز الاقليمى العربى – للبحوث والتوثيق – القاهرة ١٩٨٨.

انظر سهير لطفى، "قراءة نقدية فى ادبيات المشاركة السياسية للمراة العربية"، ندوة الخبراء المراة العربية والتطورات الاجتماعية والثقافية" اليونسكو المركز الاقليمى العربى للبحوث والتوثيق – القاهرة ١٩٨٨.

ايضا – سعد الدين ابراهيم ، واخرون مصر فى ربع قرن، بيروت، معهد الانماء العربى ١٩٨٠.

– عادل حسين واخرون، مصر والعروبة وثورة يوليو – بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٣.

[٥] – سامية خضر صالح، المشاركة السياسية للمراة، مرجع سابق.

نقلا عن محمد فهم لبيطة، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة – مكتبة النهضة المصرية.

وكان للحملة الفرنسية دور كبير فى تغيير عقليـــة المـــراة المصريـــة، "فالحملة الفرنسية حضرت الى مصر ومعها عدد من النساء الفرنسيات كزوجات، ومغامرات، وكان هؤلاء النساء لهن حياتهن الخاصة التى تتسم ببعض الاستقلال، وتاثرت المراة المصرية بكثير من العادات الفرنسية، خاصة بعد ان اختلط جنود "نابليون" بالشعب المصرى عن طريق الزواج والمعاشرة"[٦]

ولعل المفكرين الذين عادوا من الخارج من فرنســـا قـــد اســـتطاعوا ان ينشروا افكارا وعادات جديدة بشـــأن المـــراة ومـــن هـــؤلاء الـــرواد "رفاعـــة الطهطاوى"..

ولعل مفهوم حق المراة فى التعليم والعمل بالمهن المختلفة قد اخذ ينمو تدريجيـــا منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر نتيجة عدة عوامل، منها التاثر بالثقافة الغربية وخاصة مدارس الجاليات الاجنبية، واهتمام محمد على بالتعليم، وحركـــة الاصلاح التى دعا اليها المصلحون امثال رفاعة الطهطـــاوى، ومحمـــد عبـــده، وعلى مبارك وقاسم امين.

وللطهطاوى اهمية كبيرة فى ارســـاء قـــاعدة فكريـــة لنهضـــة المـــراة المصرية، وكان اول من نادى ودعى الى نهضة المراة، وتعليم البنـــــات اســـوة بالبنين، فقد وضع كتابا مشتركا لتثقيف البنات والبنيـــن علـــى الســـواء وســـماه "المرشد الامين للبنات والبنيين"، ودعا فى هذا الكتاب الى وجوب تعليم البنـــــات واعدادهن عن طريق التربية والتعليم للعمل والقيام بواجبهن فى المجتمع.[٧]

وللطهطاوى اراء حديثة حول المراة فهو ينقل للقراء اراء جديـــدة عـــن المـــراة الفرنسية .. ويرى ان عفة المراة ترجع الى التربية ... ويذهب ايضا الى ان عقل المراة الفرنسية وقريحتها ومعرفتها هى اصول زينتها واسلحتها فى الحيـــاة ... فهو ينظر للمراة نظرة مساوية للرجل. ولم يوافق على نظام تعـــدد الزوجـــات، فاشار الى ان هذا النظام قد يوجد فى بلاد نائية حيث يتزوج الرجل امراة فى كل قرية .. وكان يرى تقييد الطلاق بحيث لا يحدث الا امام القاضى ..

---

[٦] – د. اجلال خليفه، الحركة النسائية الحديثة، قصة المراة العربية على ارض مصر، المطبعة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣ ص ١٤.

انظر ايضا سامية خضر صالح، المشاركة السياسية للمراة ، مرجع سابق.

[٧] – سامية خضير صالح، المشاركة ا لسياسية للمراة، مرجع سابق.

كما ايد الطهطاوى عمل المراة وجعله غاية من الغايات التى تهدف اليها وتعليمها، فالتعليم سلاح يجب ان تتزود به المراة من اجل البقاء على كرامتها وانسانيتها.

وبالرغم من تلك الافكار التحررية التى نادى بها الطهطاوى فلم تفتح مدرسة للبنات الا فى يناير ١٨٧٣ وسميت بالمدرسة "السوفية" تحت رعاية الزوجة الثالثة للخديوى اسماعيل، وكانت تلك المدرسة تهدف، فضلا عن التعليم الابتدائى الذى قدمته، الى ان تقدم للفتيات تعليما مهنيا عمليا يفيدهن فى بيوتهن ويكسبن به عيشهن اذا دعت الحاجة، وكذلك تكون بمثابة مدرسة تجهيزية لمدرسة الولادة بالقصر العينى، هكذا تنص لائحة المدرسة فى ١٨٧٤. [٨]

ولعل فكر " محمد عبده" يوازى فى الاهمية افكار الطهطاوى. ولقد كانت جريدة "الوقائع المصرية" التى تولى رئاسة تحريرها ١٨٨٠ وسيلة لنشر افكاره النقدية. فقد قدم مقالات عديدة تنتقد الاخلاق والعادات الاجتماعية والتربوية وكانت اهم افكاره فى ترببية المراة وتعليمها تنطلق من حق المراة فى المساواة مع الرجل "اذ ليس للرجل راس وللمراة نصف راس، واذا كان هناك من تفاوت بينهما فهذا يرجع الى التربية، حيث تيسر للرجل من ظروف ما لم تتيسر للمرأة ... وظلت المراة حبيسة الدار، وهذا ما جعل المراة غير متساوية مع الرجل. [٩]

---

[٨] – د. ناجى شنوده نخلة، فكر رفاعة الطهطاوى فى تربية المراة وتعليمها ندوة مائة وعشرون عاما من تعليم المراة – المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٣.

انظر ايضا لائحة المدرسة السنية، (السيوفية سابقا؟) الفصل الاول نقلا عن احمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم فى مصر المؤسسة العربية للدراسات القاهرة ١٩٨٢.

.. نقلا عن رفاعة الطهطاوى: تخليص الابريز فى تلخيص باريز، تحقيق محمود فهمى حجازى: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧٤.

انظر ايضا لمزيد من الا فاضة: الاعمال الكاملة لرفاعة الكهطاوى، التحديد والحضارة والعمران، الجزء الاول دراسة وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٣.

– احمد طه محمد، المراة المصرية بين الماضى والحاضر، القاهرة ١٩٧٩.

انظر ايضا سامية خضر صالح، المشاركة السياسية للمراة، مرجع سابق.

[٩] – ا مد امين، محمد عبده زعماء الاصلاح، مؤسسة الخانجى، القاهرة ١٩٦٠.

ولقد اصبح الامام محمد عبده ان الاسلام جاء ليحـــرر المـــراة ويقـــرر المساواة بين الرجل والمراة. كما يرى ان القرآن الكريم لا يعارض فـــى تعليـم العلوم الحديثة. بل حث على هذا النوع من التعليم ويرغب فيه.

وكان الدافع وراء اهتمام محمد عبده بابراز وجهة نظر الاسلام فى حقوق المراة عامة وحق التعليم خاصة، انما كان لازالة المفاهيم الخاطئة التى رســـخت فـــى الاذهان.

وكان لها اثر كبير فى حرمان المراة من التعليم والتقليل من ا هميته بالنسبه لها.[10]

وكان على مبارك من مؤيدى اصدار المجلات التى تقدم للطـــلاب موضوعـــات نافعه تساعد على استكمال ثقافاتهم، ففكر فى اصدار مجلة لهذا الغرض، وكـــان من هنا مولد مجلة "روضة المدارس المصرية" فى ابريل ١٩٧٠ لتتولـــى نشـــر المعارف بين ابناء المدارس.[11]

وكان يوافق على التعليم واثره فى نهضة الشعوب وارتقاء الامم، فقد كان يرى ان تحرير المصريين لا يتم بدونه، ولذلك فقد كان يحث عليه ويعمل علـــى اصدار اللوئح المنظمه له.

ويعتبر قاسم امين احد الرواد الاوائل فى القرن العشرين الذين دعوا الى تحرير المراة وتعليمها، فقد جدد دعوة رفاعة الطهطاوى ومحمد عبـــده ووســـع نطاقها ودعا لاصلاح احوال المراة وتربيها واشار الى ان الاصلاح لا يتـــم الا من خلال تعليمها.

وترجع اهمية قاسم امين ف كتاباته الى ان دعوته كانت علميـــة قائمـــة على المنهج العلمى وعلى الاحصاء وعلى والارقام والمقارنة.

ولم تكن الدعوة الى تحرير المراة المصرية من الجهل والحجاب، اهـــم المسائل، فالدعوة الى تحرير المراة المصرية من الجهل لم تكن بالاهتمام الاوحد لقاسم امين بل كانت مسألة الحجاب تمثل القضية المحورية لتحرير المراة.

---

[10] – ذات المراجع السابقة.

[11] – عوض توفيق، فكر على باشا مبارك فى تربية المراة وتعليمها ندوة "مائة وعشرون عاما" من تعليم المراة المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٣.

فهو يرى ان ارتضاء الحجاب يمثل حرمان المراة من حريتها الفطرية ويمنعها من استكمال تربيتها ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والادبية، ولا ياتى معه امهات قادرات على تربية اولادهن، وبه تكون الامة كانسان اصيب فى احد شقيه. كما ان الحجاب ليس هو الكفيل بعفة المراة، اذ لا يجب الربط بين السفور، وبين هتك العفة، فقد يصدر عن المراة المحجبة من القول او الفعل ما يثير الرغبة، فهو العقبة الرئيسية فى عدم استكمال تربية وتعليم المراة. ويحول بين المراة وارتقائها كما يحول بين الامة وتقدمها.[١٢]

اما طه حسين فكانت خصوبة افكاره وتعدد مجالات الابداع عنده ليست سوى وسيلة لرسم ملامح نموذج المجتمع المتحضر الذى يصبو اليه مجتمع العدالة الاجتماعية والديموقراطية والحرية الفعلية، وكانت التربية اهم الوسائل فى اقامة ذلك المجتمع ..

وقد ادرك طه حسين ان التعليم يعتبر قوة فعالة فى احداث التغيير الاجتماعى واعادة بنائه ما دامت هناك ارداة فى هذا المجتمع للتغيير واعادة البناء. بناء المجتمع الذى يوجد بين المرأه والرجل.

ويرى ان المراة لا يسكتها على الحجاب الا الجهل، فهو ينطلق من منطلق قاسم امين فى اعتبار الحجاب هو حجاب لعقلها وتطورها.

ولقد اقترن اسم طه حسين بالدعوة لتعليم المراة، ففتح باب كلية الاداب على مصراعيه للطالبات حاملات البكالوريا، ولم يقدم الذكر على الانثى فى القبول للكلية وانما رتب القبول على المجموع وحده.[١٣]

ويسلك "احمد لطفى السيد" فى الدفاع عن حقوق المراة وحريتها نفس الطريق الذى يسلكه قاسم امين ومن قبله الطهطاوى ومحمد عبده، من حيث التمسك بالفضائل الاسلامية والتدليل على ان حقوق المراة وحريتها تتفق وقواعد الدين

---

[١٢] – قاسم امين المراة الجديد، سلسلة المواجهة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

– انظر ايضا – قاسم امين، تحرير المراة، سلسلة كتب المواجهة، الهيئة العامة المصرية للكتابة ١٩٩٣.

– سعيد اسماعيل على "قاسم امين والمراة المصرية".

[١٣] – عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التقليدى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧

– انظر ايضا كمال حامد مغيث "فكر طه حسين" فى تربية المراة وتعليمها، ندوة مائة وعشرون عاما من تعليم المراة المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٣.

الاسلامى ونادى بتحرر المراة من الحجاب، وكان من اهم شعائره "ليفك اسر المراة التى اوقعوها فيه باسم الدين وما هو من الدين فى شئ، انما الدين اسمى مما يظنون.[١٤]

وافسح للنساء مساحات واسعة للتعبير عن ارائهن وكان من بينهن "ملك حفنى ناصف" المعروفة بباحثة البادية، ولمارى زياد لمعروفة "بمى" ز "ونبوية موسى"، ولبيبة هاشم.[١٥]

ولعل لتلك اللمحة التاريخية الموجزة اثارها فى تبنى تيارات وتوجهات اكثر ليبرالية تجاة المراة وخصوصا على صعيد التعليم والعمل، والمشاركة السياسية وبعض التشريعات الاسرية، فحصول المراة وخصوصا الحضرية منها على قدر وافر من التعليم والعمل، مما انعكس بالتالى على شكل ما يمكن تسميته بجماعات الضغط النسوية المطالبة بحقوق اوسع للمراةالعربية، حيث ارتفعت مثلا فى مصر نسبة من يعرفن القراءة والكتابة من ٤٪ عام ١٩٤٧ الى حوالى ٢٠٪ فى نهاية الستينات. كما ارتفع عدد الحاصلات على مؤهلات جامعية من ١٪ الى ٤٪ لذات الفترة. اما التعليم الجامعى فقد ارتفع عدد الطالبات من ٤٠٠٠ طالبة الى ٥٠٠٠٠ طالبة ما بين ١٩٥٣ الى ١٩٧١.

وبالمثل يمكن الحديث عن نوعية التعليم التى تلتحق به الفتاة حيت ارتفع عدد الدراسات فىكلية الهندسة من ١١ طالبة الى ٣٢٨٠ طالبة وفى كلية الطب من ٧٣٠ طالبة الى ٧٥٠٠ طالبة فى الفترة من ١٩٥٣ وحتى ١٩٧٠.[١٦]

وكان من نتيجة هذاالنمو فى معدلات التعليم ان ازدادات فرص مساهمة المراة فى سوق العمل الحديثة كما احتلت مناصب تنفيذية عليا. ولقد ساهمت الكثير من التشريعات الاجتماعية والسياسية فى تلك الفترة المشار اليها فى ازدهار حياة المراة وتعدد ادوارها فى الحياة الاجتماعية.

فحصلت المراة على بعض الحقوق السياسية اسوة بالرجل ومنها حق التشريع والانتخاب وشغل الوظائف العامة وعلى كل مستويات جهاز الدولة.[١٧]

---

١٤ – احمد لطفى السيد قصة حياتى دار الهلال القاهرة ١٩٨٢.

١٥ – حسين فوزى النجار، احمد لطفى السيد والشخصية المصرية، مكتبة مصر الحديثة القاهرة ١٩٦٣.

١٦ – سعد الدين ابراهيم "المشروع الاجتماعى لثورة يوليه" فى : مصر والعروبة وثورة يوليو، ص ١٤٣.

١٧ – باقر سلمان النجار، الحقوق الاجتماعية للمراة، ومرجع سابق.

اذ يمكن التاكيد على ان الدور الاجتماعى للمراة ومشاركتها فى الحيـــاة السياسية والثقافية والاجتماعية، يختلف باختلاف البيئة الاجتماعية وصلاحيتهـــا لتلك الادوار المختلفة.

فكلما امتدت جسور الوعى السياسى والاجتماعى وانتشرت جذور الثقافة والفكر زادت درجة هذه المشاركة وتحددت ملامحهـــا ورســخت فـــى العقــول واصبحت من مسلمات الحياة الاجتماعية. وعلى العكـــس كلمبـا زادت درجــة التناقضات الاجتماعية انخفضت حدة هذه المشاركة وانحصر دور المراة ليصبح دورا هامشيا.

ثانيا: التحولات الاجتماعية السياسية واثارها ألجانبية على المكتســبات الفكريــة الدافعة لتطور حقوق المراة المصرية:-

هذا ما حدث فى فترة الاحباطات التى واجهتها المنطقة العربية ومصـــر بعد نكسة ١٩٦٧ والتى ادت الى ضمور القوى القومية وقوى الستينات النشـــطة مقابل البروز القوى للقوى المحافظة السلفية.

وشهدت هذه الفترة بعض التراجع من حيث مكانه المـــراة وممارســاتها لحقوقها السياسية والاجتماعية، كما شهدت منذ تلك الفترة بعض التغـــيرات فـــى اتجاهات المجتمع تجاه المراة خصوصا ذلك الدور المكتسب فى المرحلة الاولى من تنامى الفكر الليبرالى، واتضح منذ بدايات القرن العشرين.

وبظهور التناقضات الاجتماعية بدات العديد من تلك المكتسبات الفكريـــة التى وضعت المراة فى مكانة متميزة، تتعارض وتيار الاتجاهات الجديدة، تجـــاه المراة خصوصا، والعودة الى الحجاب، الذى اصبح يستقطب قطاعات واسعا فى الاوساط النسائية فى المدينة والريف على السواء، وادى هذا التيار الى العــدول عن المطالبة بالمساواة فى العمل والشؤون الاسرية وربما القصور عـــن العمــل اعتقادا منهن او لربما اصحاب الاتجاهات السلفية الجديدة، ان العمل والمســـاواة فى الشؤون الاسرية خروج عن تعاليم الدين.

ولعل للتناقضات والقضايا الاجتماعية المتعددة التى تعانى منهـــا المـــراة دورا فى الترويج الى تلك الاتجاهات، فقضايا الامية الزائدة خاصة فى الاوســـاط الشعبية والريف تزيد من فاعلية وتنامى تلك المعتقدات التى تتنافى مـــع مبـــادئ الدين الاسلامى اذ تعد مشاركة المراة فى الصالح العام بالخدمة والفكر والارشاد

كما جاء فى الايه الكريمة "ومن يعمل من الصالحات من ذكرا وانثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا". [١٨]

وكذلك فى الايه الكريمة "فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض. [١٩]

فالعمل يعتبر هو الوسيلة لتنمية الانسان اجتماعيا واقتصاديا وسياسياً. [٢٠]

وبالرغم من كل تلك الاتجاهات المعاكسة، تظل المراة المصرية فى تلك الفترة ووضعها الاجتماعى بالمقارنة بمثيلاتها فى بعض الدول العربية، تتميز بنظرة متحررة نسبيا.

هذا الوضع لا يرفض عمل المراة فهى تعمل ولكن وفق الشروط التى يحددها المجتمع .. فالمراة متحررة، ومتساوية بعض الشئ مع الرجل ولكن فى النصوص القانونية، فالتساوى فى الحقوق والواجبات يتم وفق القبول المجتمعى .. [٢١]

ولكن باستجابة فريق من النساء لهذا التيار من خلال الرجل، تجمدت استجاباتها فى اضافتها السياسية والفكرية على المستوى الحركى ... تلك المراة الان تمثل قوة اجتماعية وسياسية ضاغطة .. فى صنع قرارات وقوانين عودة المراة الى المنزل، وفى ادخال بعض التعديلات على قانون الاحوال الشخصية لسنه ١٩٧٩. [٢٢]

هذه التناقضات الفكرية لا تمثل اذا بيئة اجتماعية صالحة لحصول المراة المصرية على حقوقها الاجتماعية والسياسية كاملة وبالتالى تصبح ادوارها الاجتماعية تتأرجح بين التردى والنكوص، والسعى فى بعض الاحيان للحصول على بعض المكاسب الاجتماعية والسياسية الجديدة.

---

[١٨] – سورة النساء، الايه ١٢٤.

[١٩] – سورة آل عمران، الايه ١٩٥.

[٢٠] – حبيبة البرقادى، "حقوق المراة الاجتماعية والسياسية من رؤية اسلامية، ندوة الخبراء حول المراة العربية والتغيرات الاجتماعية والثقافية، اليونسكو، المركز الاقليمى العربى للبحوث ولاتوثيق فى العلوم الاجتماعية" القاهرة ١٩٨٨.

[٢١] – باقر سلمان النجار، الحقوق الاجتماعية للمراة مرجع سابق، نقلا عن هنرى عزام المراة العربية والعمل "مشاركة المراة العربية فى القوى العاملة ودرورها فى عجلة التنمية" فى : المراة ودورها فى حركة الوحدة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٢.

[٢٢] – سهير لطفى قراءة نقدية فى ادبيات المشاركة السياسية للمراة العربية، مرجع سابق.

ثالثا: الاعلام وقدرته على تأكيد الادوار الاجتماعية والثقافية والسياسية للمراة:
هناك العديد من الدراسات الاعلامية التحليلية التى اجريت على مضمون وسائل الاعلام الجماهيرى المختلفة لحصر اهمية دور المراة كما تصوره هذه الوسائل المتعددة، وبصفة خاصة الاذاعة والتليفزيون.

وتعكس تلك الدراسات، التساؤلات التى يطرحها الباحثون والدارسون فى مجالات الاعلام والاجتماع، حول دور الاعلام الحقيقى وطبيعة علاقته بثقافة المجتمع، ويرى فريق اول ان الاعلام يعكس ثقافة المجتمع بما تحتويها من ايجابيات فقط ويعمل على عدم التأكيد على تلك السلبيات بالتالى فهو يطمس ويشوه بعض الحقائق الفكرية.

اما الفريق الثانى فهو يرى ان الاعلام مرآه عاكسة للواقع يعمل بكل قدراته الفائقة لمواكبه الاحداث والظواهر يمكنه تقديم تحليل للحقائق وتقديم البدائل والحلول. فهو يقدم مضمون ينمى ثقافة الفئات المتعددة، ويساعد فى ذلك على تطور الثقافة بالمفهوم الواسع والشامل بكل ما تحمله من علاقات وسلوك وقيم وفكر . [٢٣]

ولقد تعددت وجهات النظر حول دور الاعلام فى تقديم صورة المراة فى كل من مصر والدول العربية وبعض دول اوربا وامريكا الشمالية، ولقد اظهرت تلك الدراسات التى اجريت خلال العشرين سنه الماضية، ان الاعلام قادر على ملأ تلك الادوار المتعدد، اما تأكيد الحقائق المطروحة فى المجتمع وتحليلها، او القيام بتشويه لها وبصفة خاصة تلك المتعلقة بعلاقة الرجل بالمواة على وجه التحديد فى مجتمعات الدول النامية، والدول العربية فالبرغم من ان المراة الريفية تمثل ثلث المجتمع تقريبا فهى لا تحظى فى وسائل الاعلام الا بمساحة ضئيلة لا تتناسب مع حجم المراة الريفية فى واقع الحياة" . [٢٤]

فالادوار التى تلعبها المراة فى مضمون برامج الاذاعة والتليفزيون ادوار ثانوية بالدرجة الاولى، لا تعكس الواقع، ولا تعكس واقع العلاقة بين الرجل والمراة والدور الحقيقى للمراة فى الحياة الاجتماعية.

---

[٢٣] _

1- IMAGE ROLE ET CONDITION SOCIALE DE LA FEMME DA'NS LES MÉDIAS, ETUDES ET DOCU. UNESCO N 84, 1979.

[٢٤] – فوزية فهيم، الاعلام والمراة الريفية، سلسلة المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦.

كما اظهرت دراسة اخرى ان المجلات النسائية تبتعـد عـن مشـكلات وهموم الغالبية العظمى من نساء المدن من ساكنى الاحياء الشعبية وتتحيز الـى شريحة معينة ومميزة من نساء المدن، مما يشكل عقبة امام المشـاركة الفعالـة للمراة فى عملية التنمية، لانه يدعم النظرة السلبية او الصورة السلبية للمراة. هذه الصورة ترسخت فى الاذهان مما ادى الى انتشار صورة المراة التابعة لـلرجل المخلوقة الضعيفة غير القادرة على العمل، بالرغم من ان الوطن العربى يتضمن صورا عديدة لمساهمات المراة فى عملية البناء الاجتماعى.

ولقد اظهرت الدراسات ان هنـاك ازدواجيـة فـى الرؤيـة الفكريـة. فاالمجالات العربية تطرح صورة المراة المرفهه التى لا يهمها سـوى الاناقـة والزينة، وتطرح بجانب بعض القصص الواقعية التى تشير الى سوء حالة المراة ومعاناتها الاجتماعية والاقتصادية. [٢٥]

وفى دول الغرب المتقدم اظهرت الدراسات ان وسائل الاعـلام خاصـة الاعلان لا تقدم القدرات الشخصية والمعرفية للمراة بقدر تقديمها وارتكازها على مفاتنها وانوثتها. [٢٦]

ولقد قاومت الحركة النسائية فى الولايات المتحدة الامريكية هذا الاتجـاه ونددت به فى تظاهراتها المتعددة منذ فترة بعيدة، فلقد اظهرت ردود فعلها تجـاه الاعلام وبصفة عامة الاعلان. واكدت الدراسات والتقارير التى تناولت تحليـل اتجاهات الراى العام النسائى نحو الاعلان خاصة التليفزيونى كما ظهر تقريـر (X.NARB) ان ٥٠ ٪ من العينة اظهرت عدم الرضا فـى مقـابل ٢٠ ٪ يشـعرو بالاهانة العميقة تجاه تلك الاعلانات، والنسبة الباقية عبرت عن قبولهم ورضاءهم النسبى لهذا النوع من الاعلان . [٢٧]

---

[٢٥] – ناهد رمزى واخرون، صورة المراة كما تقدمها وسائل الاعلام، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٧٧.

[٢٦] –

2- LUNDSTRON, W.Y. AND SCIGLIM[AGLIA, D,: SEX - ROLE PORTRAY IN ADVERTISING IN JOURNAL OF MARKETING.

[٢٧] –

3- DECKARD B: THE WOMEN'S MOVEMENT POLITICAL, SOCIO - ECON. AND PRYCHOLOGICAL ISSUS, NEW YORK HARPER AND ROW, 1975.

اما فى دول اوربا الغربيـــــة، اكـــدت الدراســـات الحديثـــة الاعلاميـــة والاجتماعية، ان برامج المراة فى وسائل الاعلام الوطنية خاصـــة فـــى فرنســـا وبلجيكا تاثرت الى حد بعيد ولفترة ممتدة ومنذ منتصف الستينات الـــــى نهايـــات السبعينات بالمضمون الامريكى فى صناعة الاعـــلان، والدرامـــا التليفزيونيـــة، وايضا بطريق عرض نشرات الاخبار والتى كانت تتجاهل الى حد بعيد الاخبـــار والاحداث الخاصة بالمراة. واكدت الدراسات الميدانية فى الولايات المتحدة على تلك الحقيقة، فاغلب الدراسات العلمية التى اجريت فى السبعينات فـــى الولايـــات المتحدة الامريكية، تندد بصياغة الاعلان، وبالمضمون الدرامى فى التليفزيـــون بمضمون نشرات الاخبار، تلك البرامج المتعددة لم تأخذ قضايا المراة واخبارهـــا واحداثها بالجدية اللائقة، فلقد نددت الحركات والتظاهرات النسائية فى ذلك الوقت بصياغة الاعلان، ومضمون نشرات الاخبار والدراما التليفزيونية هذا ما اكدتـــه دراسات اتجاهات الراى العام النسائى تجاه هذه البرامج التى اعربت عن احتاجها للصورة التى يعكسها عن المراة الامريكية قضاياها واحداثها واخبارها، خاصـــة تجاه صناعة الاعلان الذى وصفته تلك الحرقات النسائية بانـــه يعكـــس صـــورة مهينة للمراة فلا يأخذ بعين الاعتبار قدراتها الذهنية والشخصية ولكن يعكس فقط مفاتنها .[٢٨]

وركزت الدراسات الاعلامية والاجتماعية فى اوربا الغربية على تحليـــل الجوانب المختلفة لنشاط المراة ودورها الاجتماعى الجديد-خاصة بعد ان منحتها التشريعات وبصفة خاصة فى بليجكا حقهـــا الكـــامل فـــى "العمـــل" و "الاجـــر" ومساواتها بالرجل. ولقد كانت لتلك التشريعات التى منحت للمراة فـــــى نهايـــات السبعينات، اثار بعيدة المدى على صحة المراة النفسية والعضوية وعلى الشعور بالعزة والكرامة.

---

[٢٨] – مرجع سابق

1- THUNDSTRON, W.Y. AND SCIGLIMAGLIA, D,: SEX - ROLE PORTRAY
- DECKARD B: THE WOMEN'S MOVEMENTS POLITICAL, SOCIO - ECON. AND PRYCHOLOGICAL.

مرجع سابق

وتجرى العديد من الابحاث والدراسات العلمية فى الاعلام والاجتماع لمراقبة البرامج خاصة تلك التى تقدم قضايا المراة واحداثها بعد صدور التشريعات الاخيرة الخاصة بتسوية اوصاع المراة الاجتماعية والاقتصادية.

ولعل من هذه الدراسات الهامة تلك التى قامت بها R. DARTEVELLE عن اتجاهات الراى العام النسائى حول صورة المراة فى التليفزيون فى الماضى وتاثيرها على عقلية ونفسية المراة فى الحاضر.

ولقد اجريت تلك الدراسة من خلال بحث ميدانى موسع شمل عينة البحث اعداد متنوعة ومتساوية من النساء تمثل كل مجموعة دولة من الدول الاعضاء الاثنى عشر فى الجماعة الاوربية . C.E.E

واكدت نتائج هذا البحث ان تاثير الصورة السلبية التى كان يعكسها التليفزيون فى الماضى عن المراة من خلال البرامج المتنوعة المغلوبة على امرها، كبير على نفسية المراة الحديثة، وبصفة خاصة المراة البلجيكية فكانت اكثر مجموعات النسوة، حساسية فتاثير تلك الصورة يمتد الى الان وتشعر بوطاتها. فقد تعوق قدراتها وتصرفاتها وقد تفقدها فى بعض الاحيان الثقة فى تادية بعض المهام على الوجه الاكمل. [٢٩]

ولعل نتائج تلك الدراسة الهامة هى التى وجهت منطلقاتنا النظرية فى بحث:

اولا: اهم المكتسبات التى حظيت بها المراة المصرية وحددت منظومة الحقوق والادوار الاجتماعية والسياسية.

ثانيا: العوامل المختلفة التى ادت الى انتكاسة تلك الادوار المكتسبة،

ثالثا: دور الاعلام وخاصة التليفزيون واهميته فى تاكيد الدور الاجتماعى للمراة.

٢٩ـ

1- ROSELYNE, DARTEVELLE, LOISIR, TV. VOLUME (15), NO 2 I PRESSE DE L' UNIVERSITE DE QUEBEC, CANADA, 1992.

انظر ايضا المراجع التالية:-

LES FEMMES, ENQUETE REALISEE PAR LE QUOTIDIEN BRUXELLOIS LE - SOIR EN 1987 AUPRES D'UN ECHANTILLON DE 2000 FEMMES DE 15 A 75. LE SOIR DU/9/28 MARS 1987.

- N. SAMUEL, LOISIRS DES FEMMES EN FRANCE, WORLD LOISIRS ASSOCIATION.
- FEMMES ET HOMMES D' FUROPE EN 1987. CEE. NO 26.

وفى النقطة القادمة نتابع ما بداناه من دراسة حيث نقدم الدراسة التحليليـــة التـــى تعكس اهم ما تتصف به البرامج المختلفة فى التليفزيون وكيفية معالجتها للــــدور الاجتماعى للمراة المصرية.

رابعا: الدراسة التحليلية

اولا: الاطار المنهجى للدراسة:

١- هدف الدراسة:

التعرف على كيفية تصوير دور المرأة المصرية تجاه قضايا الأسرة والمجتمــــع من خلال البرامج والدراما التليفزيونية.

٢- المنهج:

في إطار المنهج الوصفى التحليلي يمكن دراسة محتوى التليفزيون فيمـــا يتعلـــق بدور المرأة المصرية وقيمها واتجاهاتهـــا وســـلوكياتها تجـــاه قضايـــا الأســـرة والمجتمع، اعتمادا على مسح المضمون CONTENT ANALY

٣- عينة الدراسة:

تنقسم عينة هذه الدراسة التحليلية الى قسمين:

الاول: هو البرامج المباشرة والتى يقدمها التليفزيون من خلال قناتيـــــه الاولـــى والثانية. اما الثانى فيتمثل فى الدراما الاجتماعية.

١- ويمكن حصر البرامج التى خضعت للتحليل فى:

القناة الاولى:

* برنامج مجلة المراة ومدته ٣٠ دقيقه اسبوعيا.
* برنامج عزيزتى حواء ومدته ١٥ دقيقة يذاع مرتين اسبوعيا.

القناة الثانية:

برنامج لك ولاسرتك مرتين اسبوعيا

* برنامج ادم وحواء اسبوعيا

وقد تم تحليل اسبوعين بطريقة الحصر الشامل بواقع (٤) ساعات

(٢) مسلسل العائلة الذى اذيع فى رمضان من العام الماضى:

عدد الحلقات ٢٨ حلقة.

المدة الكلية ٢١ ساعة.

ثانيا: الاجراءات المنهجية:

أ- وحدات التحليل

١- الوحدة الطبيعية للمادة الاتصالية (برامج - مسلسلات).
٢- وحدة الشخصية لتحديد سمات المراة المصرية.
٣- وحدة القيم لتحديد قيم المراة المصرية.
٤- وحدة الفكر او الموضوع الذى تدور حوله مادة الاتصال.

ب- وحدات القياس:

- وحدة الزمن
- وحدة الحلقة من البرنامج او المسلسل
- وحدة الفكرة

ثالثا: الفروض:

١- ان الدراما التليفزيونية تعمد الى المبالغة فى تصوير واقع المراة المصرية مما يؤدى الى ترسيخ صورة نمطية مشوهة عن المراة فى مصر.
٢- التليفزيون المصرى لايصور المراة تصويرا يبرز ممارستها لحقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بقدر ما يصورها مجرد كائن سلبى لا يمارس سوى حياة اسرية نمطية.
٣- تصور المراة فى الدراما المصرية على انها تقليدية التفكير والقيم اكثر من كونها ذات تفكير متطور وقيم متطورة.
٤- تعكس الدراما التليفزيونية الجوانب السلبية من سلوك المراة اكثر مما تعكس السلوكيات الايجابية.

رابعا: اعداد صحيفة التحليل:

١- الفئات الخاصة بالمضمون:

- الفكرة الرئيسية فى العمل الدرامى او البرنامج:

أ- فكرة اجتماعية: وهى التى تدور فى اطار الانظمة الاسرية والعلاقات الاجتماعية والعمل التطوعى فى النوادى والمعارض والجمعيات الخيرية (نوادى وجمعيات المراة لخدمة الطلبة والمعوقين، رعاية الطفولة والامومة، العادات الاجتماعية، تنظيم الاسرة وعوامل التنظيم والتوعية بالمشكلة السكانية.

ب- فكرة سياسية: وتتعلق بدور المراة فى الانتخابات وممارسة الحقوق السياسية وتولى مناصب قيادية والانضمام الى احزاب.

ج- فكرة اقتصادية: وتدور حول الانشطة الانتاجية كالاسر المنتجة والاعمال اليدوية والحرفيه، والانتاج البيئى وترشيد الاستهلاك وتنمية الادخار وتحسين جودة الانتاج - عمل المراة وتاثيره على الانتاجية، التدبير المنزلى وغير ذلك.
د- الصحة العامة والبيئة: ويقصد بهذه الامور المتصلة بمكافحة الامراض المتوطنة كالبلهارسيا والايدز وغيرهما، الحفاظ على نظافة المنزل والاماكن العامة، التدخين، تلوث البيئة.
هـ- الثقافة: ترتبط القضايا بالتعليم ومحو الامية والمشكلات المرتبطة بذلك الفولكلور الشعبى والترفيه واساليب قضاء وقت الفراغ، والادب النسائى وتصوير المراة فى وسائل الاعلام وتناول مشكلاتها فى الصحافة الى غير ذلك.
ثانيا: السمات الديموجرافية للمراة:
أ- السن:
- طفلة - شابه - راشدة
ب- الحالة الاجتماعية:
- عزبه - متزوجة - ارملة - مطلقة - غير مبين.
ج- عدد الابناء:
(١ - ٣) ، (٤ - ٦) (٧ فاكثر).
د- المستوى الاقتصادى:
ويقسم الى خمسة مستويات هى:
- مرتفع جدا ومؤشراته مكان الاقامة ونمط الحياة الاجتماعية وملكية الاجهزة ووسائل الحياة الكمالية كالسيارة والتليفون وتعليم الابناء فى مدارس خاصة والسفر للخارج والاشتراك فى ناد معين. ومستوى مرتفع ثم متوسط، اقل من متوسط وغير مبين.
هـ- المستوى التعليمى:
- امى ومتوسط التعليم ثم تعليم عال.
ثالثا: الخصائص السوسيولوجية للمراة:
أ- عمل المراة: عمل حكومى، عمل قطاع خاص ، لاتعمل، غير واضح
رابعا: قيم المراة:
القيم هى انواع من التفضيل للموضوعات العامة وتنقسم من حيث الموضوع الى، قيم سياسية: كالمشاركة السياسية والحرية الديمقراطية، قيم دينية:

كالعدل والمساواة والمودة والرحمة وصلة الرحم واحترام الكبار والطاعة واداء الواجب وحسن الخلق، قيم اقتصادية: كحب العمل وتكوين الثروة والانفاق على الغير والتبرع لاوجه الخير فى المجتمع وقيم جمالية: تشمل التذوق الفنى والموسيقى والترفيه النقى والاسلوب الراقى فى التعامل مع الوقائع والاشياء. اما القيم الاجتماعية: فتشمل الحفاظ على حقوق الزوجية وحسن العلاقة بين المرأة وابنائها وزوجها واقاربها وجيرانها وزملائها فى العمل. كما تشمل خدمة الاخرين والتطوع لخدمة المحتاجين.

ب- اتجاه القيم:

محافظة وتقليدية، كان يتم الزواج عن طريق الاسرة اولا وان تحدد اصدقاء الابناء وتفرض قدرا من الرقابة على افراد الاسرة وتكون سلطة الاب هى الغالية والموجهة لهم. اما القيم المتحررة هى التى تخرج نسبيا على المألوف فى الزواج والصداقة والعمل والترفيه والاختلاط بين الذكور والاناث.

ج- طرق عرض القيم:

وتعرض القيم بطرق لتدعميها وترسيخها او طرق تدعو للتخلى عنها اذا كانت سيئة، وقد تعرض فقط دون ذكر لتدعيم او تخلى.

خامسا: اتجاهات المراة نحو قضايا المجتمع:

أ- القضايا السياسية:

ويكون الاتجاه بالمعرفة بقضايا سياسية وتكوين مشاعر نحوها ثم السلوك سواء بالمناقشة اللفظية او المشاركة الفعلية الايجابية او المشاركة السلبية.

ب- القضايا الاقتصادية:

ويكون الاتجاه بمعرفة هذه القضايا وتأييدها او رفضها، ثم المناقشة والمشاركة بالايجاب او السلب.

ج- قضايا الاسرة:

ويكون الاتجاه هنا مرتبط اما بالحفاظ على الاسرة من التفكك وحسن تربية الابناء او ان يكون الاتجاه سلبيا بترك الاسرة لتصبح مفككة.

د- قضايا المجتمع بشكل عام:

وهى القضايا العامة مثل الارهاب والمخدرات والامراض الدائمة كالايدز والبلهارسيا، وظاهرة البطالة والامية والتعليم ثم قضايا البيئة والسكان.

هـ- سلوك المراة نحو قضايا الاسرة والمجتمع:

وينقسم السلوك الى :
١- سلوك ايجابى متحضر.
٢- سلوك ايجابى (تنقليدى)
٣- سلوك سلبى
٤- غير مبين
و- تفكير المراة:
١- تفكير تقليدى
٢- تفكير متطور
٣- غير مبين.
عرض النتائج:
اولا: توصيف عينة الدراسة التحليلية:
شملت عينة الدارسة جانبين من الواقع الرمزى الذى يصور واقع المراة المصرية وهما الدراما التليفزيونية ممثلة فى مسلسل "العائلة" باعتبارها من اكثر المسلسلات التى اثارت قدرا من الجدل والنقاش حول موضوعاتها، وثانيـــا لان دور المراة فى هذا المسلسل اثار كثيرا من نقاط الجدل حول الواقعية والخيال فى تصوير التليفزيون للواقع الاجتماعى فى مصر. وكانت البرامج المباشرة ممثلـــة فى اربعة برامج هى: مجلة المراة وعزيزتى حواء ولك ولاسرتك، وادم وحواء، وقد عرضت هذه المضامين فى القناتين الاولى والثانية. ويوضح جدول رقم (١) هذه العينة وحدودها الزمنية.
ثانيا: عرض النتائج من واقع الدراسة التحليلية:
اذن الواقع الاجتماعى يشتمل على جوانب موضوعية واخرى ذاتية، فمن هذيـــن الجانبين يفترض ان يمتزجا فى الواقع الرمزى المتمثل فى واقع التليفزيون، وقد كان الجانب الموضوعى فى واقع التليفزيون على النحو التالى:
(أ) الخصائص السوسيو اقتصادية للمراة كما صورها التليفزيون:
١- الحالة التعليمية للمراة:
يوضح جدول رقم (٢) المستويات التعليمية التى ظهرت بها المراة فـــى عينة الدراسة، حيث كان التعليم الجامعى هو الفئة الغالبة فى مسلسل العائلة الذى شمل (١٤ سيدة) منها ٨ بنسبة ٥٧٪ ممن حصلن على تعليم عال ثم فئة التعليـــم المتوسط ١٤،٣٪ وكانت السيدات الاميـــات بنســـبة ٢٨،٦٪ اى ان ٢٥٪ مـــن

السيدات كن اميات، ومع ان هذه النتيجة لا يمثل الواقع حيث ترتفع نسبة الامية بين السيدات فى مصر الى اكثر من ٥٠٪، فانها توضح اتجاه الدراما الى ابراز النماذج المثقفة والمتعلمة من النساء فى الحياة الاجتماعية فى مصر.

٢- العمر:

ابرزت الدراما التليفزيونية فئة السيدات من كبار السن حيث وصل عدد من تجاوزن سن الاربعين ٩ سيدات بنسبة ٦٤،٣٪ من جملة النساء اللاتى ظهرن فى العينة، ثم كانت فئة ما بين الثلاثين والاربعين بنسبة ٢١،٤٪ فى حين كانت فئة العشرينات الى الثلاثينات بنسبة ٣٥،٧٪ وتشير هذه النسب لذلك الى سيادة كبار السن فى الدراما، وهذه ليست مجافية للواقع الذى نعيشه، فالابناء من الشباب تصل نسبتهم فى الواقع الى اكثر من الثلث، فاذا اضفت الى هذه النسبه نسبه الذكور من الابناء، يمكن القول ان هذا التصوير لواقع المراة تصوير متلائم مع الواقع الاجتماعى الى حد كبير. جدول رقم (٣).

٣- الدور الاجتماعى للمراة كما يصوره التليفزيون:

من جدول رقم (٤) يتضح ان دور المراة فى مصر يتوزع على اربع فئات رئيسية هى: زوجة وام واخت وابنة وان تغيرت الادوار من مرحلة الى مرحلة اخرى. وتزيد نسبة ظهور المراة كأم وزوجة عن الفئات الاخرى.

٤- المستوى الاقتصادى للمراة كما يصوره التليفزيون:

يوضح جدول رقم (٥) المستويات الاقتصادية للمراة كما ابرزتها الدراما والبرامج التليفزيونية، وقد ساد المستوى الاقل من متوسط يليه المستوى المتوسط ثم اخيرا المستوى المرتفع، اى ان نسبة النساء اللاتى يعشن حياة مرفهه لا تزيد على ٢١،٤٪ ولعل هذه النتيجة لا تخالف الواقع كثيرا، فالفئة المتوسطة هى السائدة فى المجتمع المصرى.

٥- عمل المراة:

يوضح جدول رقم (٦) توزيع النساء وفقا لعملهن كما صورته الدراما والبرامج التليفزيونية، فقد ثبت ان العمل الحكومى تصل نسبته الى ٢٨،٦٪ من جملة النساء فى العينة. ثم تاتى فئة الطلاب بنسبة ٢٨،٦٪ ايضا، ثم الاعمال الدنيا كالخادمة بنسبة ٢١،٤٪ وايضا العمل كربة منزل بنفس النسبة، ومع ان العدد الاجمالى لعمل المراة فى مصر غير محدد بدقة، فان المراة صورت عاملة بشكل لا يقل ان لم يزد على الواقع الفعلى لعمل المراة فى مصر.

٦- الحالة الاجتماعية للمراة كما صورها التليفزيون:

من قراءة بيانات جدول رقم (٧) يتضح ان الدراما قد ابـــرزت المـــراة بدون زواج بنسبة ٤٢،٩٪ ولعل ارتفاع سن الزواج نتيجة المتغيرات الاقتصادية فى السنوات الاخيرة يكون وراء هذا التصوير الواقعى لحالة المراة الاجتماعية. ثم صورت المراة متزوجة بنسبة ٣٥،٧٪، ثم صورت المراة ارملـــة ومطلقـة بنسبة ٢١،٤٪ وهذه النسبة قد تجانب الواقع بدرجة ما ولكن النتيجة فى مجملهـا لاتتنافى مع واقع المراة المصرية.

اختبار الفرض الاول:

يقول الفرض الاول: ان الدراما التليفزيونية تعمد الى المبالغة فى تصوير واقع المراة المصرية مما يؤدى الى ترسيخ صورة نمطية مشوهة عن المراة فى مصر ومن حلال العرض السابق للنتائج تثبت صحة هذا الفرض، فقد صـــورت المراه على النحو التالى:

- متعلمة بنسبة ٧١،٤٪
- ام وزوجة بنسبة ٥٠٪
- مستوى اقتصادى متوسط بنسبة ٥٠٪
- عاملة بنسبة ٥٠٪

وهذه النسب تؤكد المبالغة فى تصوير واقع المراة التى تعانى من الامية بدرجـــة كبيرة وتعانى من تاخر سن الزواج وكذلك تعيش معظمهن فى الريف والطبقـات الشعبية مستويات اقتصادية متواضعة جدا ثم ان العمالة المصرية مـــن النســاء لاتصل الى اكثر من ١٠٪ من عددهن الواقعى فى مصر.

ب- اتجاهات المراة نحو القضايا الاجتماعية:

ب/١- اهم القضايا التى عالجتها الدراما والبرامج عينة الدراسة:

يوضح جدول رقم (٨) اهم القضايا والموضوعات التى عالجتها التحليـــل وقـد برزت قضايا الاسرة والابناء فى الترتيب الاول بنســـبة ٣٧،٩٪، وايـا كـانت الدراما قد عرضت هذه الموضوعات بشئ من التفصيل عن الـــبرامج المباشـرة بفارق نسبى قدره ٤١٪ لصالح الدراما. ثم تأتى قضية الزواج والخطبة والطلاق فى الترتيب الثانى بنسبة ١٩،٣٪ وهكذا تصبح علاقة المراة باسرتها مـــن زوج وابناء واقارب ليست قضايا الدراما التى صورت واقع المراة فى العينة.

اما القضايا التى كانت ذات اهمية نسبية ايضا فهى: المخدرات والايدز بنسبة ١١،٨٪ ثم قضية الامية وتعليم المراة بنسبة ٥،٦٪، وقضية الارهاب بنسبة ٨،١٪، ثم عرضت البرامج والدراما لقضية ترشيد الاستهلاك من المياة والطاقة بنسبة ٦،٨٪، وكذلك كانت القضية بنسبة ٦،٨٪، وكذلك كانت القضية الهامة التى تعرضت لها العينة هى العمل التطوعى فى مجال رعاية المعوقين (النور والامل) ورعاية اليتيم والعمل الخيرى فى الكوارث (كاوثة السيول).

وبرز الدور القومى للمراة فى هذه المحنة واضحا. ونظرا للمساحة المتاحة للدراما فقد كانت معالجتها لقضايا المجتمع اكثر شمولا واستقصاء من البرامج المباشرة المقيدة بضوابط وقواعد من انطلاقاتها فى علاج قضايا المجتمع ودور المراة فى هذه القضايا.

ب/٢: العلاقة بين المراة وقضايا المجتمع:

يوضح جدول رقم (٩) العلاقة بين سلوك المراة تجاة قضايا المجتمع ونوعية هذه القضايا، ففى القضايا السياسية كانت المشاركة محدودة للغاية لم تزد على ٨،١٪ وهو ما يؤكد الفرض القائل ان "التليفزيون لايصور المراة تصويرا يبرز ممارسة حقوقها السياسية والاقتصادية بقدر ما يصورها فى ممارسة الحياة الاسرية.

وقد كانت المشاركة فى القضايا السياسية ايجابية بدرجة كبيرة ثم تاتى النتيجة التالية لتؤكد الفرض الذى سبق ذكره، فقد كانت مشاركة المراة فى قضايا الاسرة من خطبة وزاوج وتربية ابناء بنسبة ٣٧،٩٪ يضاف اليها قضايا الطلاق والتعاون مع المعارف والجيران بنسبة ١٩،٢٪، مما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه من ان الدراما تحصر دور المراة فى المسائل الشخصية والاسرية اكثر مما يصورها متفاعلة مع القضايا السياسية او تمارس ادوارها وحقوقها السياسية والاقتصادية.

وقد كانت المشاركة فى قضايا العمل التطوعى بنسبة ١٠،٦٪، وترشيد الاستهلاك ٦،٨٪، قضايا الارهاب وغيرها ١٧،٤٪، وهكذا يمكن القول ان المراة تصور فى التليفزيون وهى تمارس الادوار التقليدية اكثر من ممارسة ادواراً اكثر ايجابية وكذلك تصور وهى تشارك فى قضايا خاصة اكثر من تصويرها مشاركة فى قضايا المجتمع التنموية عموما. وبشكل عام كانت مشاركة المراة فى القضايا المذكورة ايجابية بنسبة ٨٨،١٪ وكانت المشاركة سلوكية نسبة

٦٠،٨٪ ومشاركة بالراى والنقاش بنسبة ٢٧،٣٪ وكـــانت المشـــاركة الســـلبية المعوقة بنسبة ١١،٨٪، وهذه نتيجة على درجة بالغة الاهميـــة. فـــان مشـــاركة المراة الايجابية فى امورها الخاصة وفى اطار دورها لا يعنـــى ان المـــراة قـــد استكملت اداء كل ادوارها بكفاءة، فان دورها كناخبة وممثلة برلمانية وممثلة فى النظام السياسى تعد قليلة مقارنة بوظائف اخرى كالتمريض والتدريـــس وغـــير ذلك.

ولاختيار الفرض الثالث ايضا تم قياس اتجاه تفكير المراة وكما يوضـــح جدول رقم (١٠) فان تفكير المراة فى مجمله تقليدى محافظ بنسبة ٥٧،٤٪ بينما برز تفكير المراة متحررا فى مشاهد عديدة ايضا. كما كان تقبل المراة للامـــور بدون تفكير بنسبة ٨٠،٩٪ فى حين كان التفكير والتروى قبل الاقتنـــاع بنســـبة ١٩،١٪، كل هذه النتائج تؤكد صحة الفرض القائل بان التليفزيون يصور المراة فى صورة نمطية تقليدية اكثر مما يصورها متطورة لدفع عملية التنمية.

وكذلك كانت القيم التى عرضت فى عينة التحليل تشير بوضـــوح الـــى نمطية قيم المراة المصرية وهذا ما يتضح من النسب التالية:

اما القيم التى كانت اكثر بروزا فهى القيم السياسية بنسبة ١١،٨٪ وكانت القيم الدينية بنسبة ١٣،٩٪ واما القيم الاقتصادية فظهـــرت بنســـبة ١٦٪ وكـــان ظهور القيم الاجتماعية بنسبة ٤٣،٧٪ ثم القيم الجمالية بنســـبة ١٣،٢٪ جـــدول (١١).

اما اتجاه القيم فكانت فى جملتها تقليدية محافظة بنســـبة ٦٦،٧٪ بينمـــا كانت القيم المتحررة بنسبة ٣٣،٣٪، هذه النسب توضح صحة الفـــرض الثـــالث الذى يقول بان تصوير المراة فى الدراما غالبا ما يكون تقليديـــا، وكذلـــك القيـــم تعرض بشكل تقليدى وليس متطورا.

وقد كانت كثافة القيم فى الدراما اكثر من كثافتها فى البرامج المباشـــرة فنسبة القيم فى المسلسل محل الدراسة (العائلة) كانت ٧٥٪ بينما كانت الـــبرامج بنسبة ٢٥٪ فقط.

ج- السلوك الاجتماعى للمراة:

يوضح جدول رقم (١٣) طريقة عرض القيم والسلوك الاجتماعى تجـــاه القضايا الاجتماعية وقد ظهرت القيم معروضة مدعمة بســـلوك ايجـــابى بنســـبة ٤٨،٦٪ بينما كانت السلوكيات سلبية بنسبة ٥١،٤٪، ويوضح جدول رقـــم (١٤)

ان السلوك السلبى المتحضر ٣٦،٩٪، اما لسلوك غير المتحضر فكانت نسبته ٣٩،٦٪، فى حين كان السلوك السلبى ٢٣،٥٪، مما يؤكد صحة الفرض الرابع القائل بان الدراما التليفزيونية تعكس الجوانب السلبية من سلوك المراة اكثر مما تعكس السلوكيات الايجابية المتحضرة".

وهكذا يثبت التحليل ان التصوير التليفزيونى لواقع المراة المصرية واقع مشوه الى حد كبير وهو تصوير منقوص يفتقر الى الموضوعية فى معالجة قضايا المراة ومواقفها من قضايا المجتمع بوجه عام، ونظرا لما تحظى به الدراما من كثافة مشاهدة من النساء، فانه لابد من تطوير هذا الانتاج فى الاتجاه الصحيح.

اولا: الخصائص السوسيو اقتصادية للمراة كما ابرزتها برامج التليفزيون:

جدول رقم (١) يبين توصيف عينة التحليل

القناة	البرنامج	دورية البرنامج	زمن البرنامج ق	زمن البرنامج س	الفترة الزمنية
الاولى	مجلة المراة	اسبوعي	–	١	فترة صباحية
	عزيزتى حواء	مرتان فى الاسبوع	–	١	فترة صباحية
الثانية	لك ولاسرتك	ثلاث مرات اسبوعيا	٣٠	١	فترة صباحية
	ادم وحواء	اسبوع	٣٠	–	فترة مسائية
الاولي	العائلة	غير دورى	–	٢١	–

جدول رقم (٢)

يبين توزيع عدد النساء وفقا للمستوى التعليمى

التكرار مستوى تعليم المراة	التكرار
امية	٤
تعليم متوسط	٢
تعليم جامعي	٨
جملة	١٤ انثى

جدول رقم (٣) يبين توزيع النساء وفقا للسن

التكرار فئات السن	التكرار
اقل من ٢٠ سنه	١
من ٢٠ - ٣٠ سنه	٤
٣٠ ٤٠ سنه	٣
٤٠ سنه فاكثر	٩
جملة	١٤ انثى

جدول رقم (٤) يبين

توزيع الاناث وفقا لدورهن

التكرار الدور	التكرار
ام	٣
اخت	٢
ابنة	٣
زوجة بدون ابناء	٤
غير واضح	٢
جملة	١٤

جدول رقم (٥) يبين
توزيع الاناث وفقا للمستوى الاقتصادى

التكرار المستوى الاقتصادى	التكرار
مستوى مرتفع	٣
مستوى متوسط	٤
اقل من متوسط	٧
جملة	١٤

جدول رقم (٦) يبين
توزيع الاناث وفقا للعمل او الوظيفة

عمل المراة	التكرار	التكرار
عمل حكومى	ممرضة	١
	طبيبة	١
	محاسبة	٢
عمل خاص	كاتبة	١
خادمة		٢
ربة منزل		٣
طالبة		٤
جملة		١٤

جدول رقم (٧) يبين
الحالة الاجتماعية للاناث كما صورها التليفزيون

الحالة الاجتماعية	التكرار
انسه (عزبة)	٦
متزوجة	٥
ارملة	١
مطلقة	٢
غير واضح	-
جملة	١٤

ثانيا: اتجاهات المراة نحو القضايا الاجتماعية:

أ- القضايا التى عالجتها الدراما والبرامج عينة الدراسة:

جدول رقم (٨) يبين توزيع عينة الدراسة وفقا للقضايا التى عالجتها

نوع البرنامج	دراما		برامج		جملة	
القضايا	ك	٪	ك	٪	ك	٪
قضايا الاسرة المصرية وتربية الابناء	٤٣	٧٠،٥	١٨	٢٩،٥	٦١	٣٧،٩
مشكلات اجتماعية وصحية (مخدرات/ ايدز)	١٢	٦٣،٢	٧	٣٦،٨°	١٩	١١،٨
قضايا التعليم ومحو الامية	٤	٤٤،٤	٥	٥٥،٦	٩	٥،٦
الارهاب	١٣	١٠٠	,٧–	٦٣،٦	١٣	٨،١
ترشيد الاستهلاك	٤	٣٦،٤	٥	٢٩،٥	١١	٦،٨
الخدمة الاجتماعية والاعمال التطوعية	١٢	٧٠،٥	٤	١٢،٩	١٧	١٠،٥
قضية الزواج والخطبة والطلاق	٢٧	٨٧،١			٣١	١٩،٣
قضايا اخرى						
جملة	١١٥	٧١،٤	٤٦	٢٨،٦	١٦١	٪١٠٠

(ب) اتجاهات المراة نحو القضايا الاجتماعية:

جدول رقم (٩) يبين
توزيع عينة الدراسة وفقا لموقف المراة من قضايا المجتمع

موقف المراة نوع القضية	مشاركة فعلية ايجابية	مناقشة وابداء راى	موقف سلبى	جملة	
				ك	٪
قضايا سياسية	٦	٥	٢	١٣	٨،١
قضايا الاسرة	٣٥	٢٣	٣	٦١	٣٧،٩
قضايا اجتماعية عامة	١٣	٧	٨	٢٨	١٧،٤
ترشيد الاستهلاك	٥	٣	٣	١١	٦،٨
اعمال تطوعية	١٥	٢	–	١٧	١٠،٦
قضايا الخطبة والزواج	٢٤	٤	٣	٣١	١٩،٢
جملة	٩٨	٤٤	١٩	١٦١	

جدول رقم (١٠) يبين
توزيع العينة وفقا لنمط تفكير المراة

التكرار نمط التفكير	تكرار
تفكير تقليدى محافظ	٥٤
تفكير متحرر	٤٠
تقبل الامور بدون تفكير	٣٨
تقبل الامور بعد تفكير ومناقشة	٩
جملة	١٤١

جدول رقم (١١) يبين
توزيع قيم المرأة فى عينة الدراسة

قيم المراة	البرامج		الدراما		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
قيم سياسية	٤		١٣		١٧	١١،٨
قيم دينية	٥		١٥		٢٠	١٣،٩
قيم اقتصادية	٧		١٦		٢٣	١٦
قيم اجتماعية	٨		٥٥		٦٣	٤٣،٧
قيم جمالية	١٢		٩		١٩	١٣،٢
-	-		-		-	
جملة	٣٦		١٠٨		١٤٤ (قيمة)	

جدول رقم (١٢) يبين
توزيع عينة الدراسة وفقا لاتجاه القيم المقدمة

البرنامج اتجاه القيم	برامج		دراما		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
قيم تقليدية محافظة	١٨	٪٥٠	٧٨	٧٢،٢	٩٦	٦٦،٧
قيم عصرية متحررة	١٨	٪٥٠	٣٠	٢٧،٨	٤٨	٣٣،٣
جملة	٣٦	٪١٠٠	١٠٨	٪١٠٠	١٤٤ (قيمة)	٪١٠

جدول رقم (١٣) يبين
توزيع عينة الدراسة وفقا لطريقة عرض قيم المراة

البرامج طريقة عرض القيم	دراما		برامج		جملة	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪
عرضت مدعمة بالسلوك	٦١	٥٦،٥	٩	٢٥٪	٧٠	٤٨،٦
عرضت بدون تدعيم سلوكي	٤٧	٤٣،٥	٢٧	٧٥٪	٧٤	٥١،٤
جملة	١٠٨	١٠٠٪	٣٦	١٠٠٪	١٤٤	١٠٠٪

جدول رقم (١٤) يبين
توزيع عينة الدراسة وفقا لسلوك المراة تجاه قضايا المجتمع

البرامج طريقة عرض القيم	دراما	برامج	جملة	
سلوك إيجابى	٣٢	٩	٤١	٣٦،٩
سلوك ربما تقليدى	٣٦	٨	٤٤	٣٩،٦
سلوك سلبي	٢٢	٤	٢٦	٢٣،٥
جملة	٩٠	٢١	١١١ موقفا سلوكيا	

خامسا: الخاتمة:

فى ضوء ما قدمناه من نقاط متعددة يمكن رصد التوصيات التالية لتكون الاساس فى العمل الاعلامى المستقبلى الخاص ببرامج المراة.

١- وضع البرامج التليفزيونية التى تتناول قضايا المراة وادوارها الاجتماعية فى خدمة التغيير والتحول الفكرى الصحيح، القائمة على تعميق الوعى باهميــة دور المراة فى المجتمع الحديث.

٢- التأكيد على الاحاديث الشريفة والايات القرانية التى توضح وتؤكد على ضرورة مشاركة المراة الرجل فى الحياة العملية والفكرية.

٣- توجية الخطاب الاجتماعى من خلال البرامج التليفزيونية المختلفة، نحو بلورة القدرة على نقد الذات والوعى باهم التيارات الفكرية الحديثة التى تؤكد على ، الدور الرائد للمراة فى عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والتربوية.

٤- تقديم برامج متعددة للتعريف باهم الانجازات الفكرية التى حدث فى عصر التنوير، والتعريف بالرواد الاوائل فى حركات تحرير المراة والتطور الاجتماعى والثقافى والسياسى.

الفصل السادس:

تكنولوجيا الاتصال وقضايا الديمقراطية الثقافية

الفصل السادس:

تكنولوجيا الاتصال وقضايا الديمقراطية الثقافية

مقدمة:

إذا قمنا بتعريف عملية الاتصال الجماهيري وفقا لمدارس الفكر الحديث لوجدنا أنها أحد دعائم الديمقراطية بجميع أنواعها ووسيلة من وسائلها وشرط أساسي من شروطها ومظهرا من مظاهرها.

فالأعلام والاتصال الجماهيري يؤدى وظائفه بطريقة فعالة عن طريق المشاركة والتفاعل حول قضايا المجتمع المختلفة، والتأثير الاجتماعي وتأييد القيم والمفاهيم المختلفة، وتثبيت الهوية القومية، والتعبير عن ثقافة المجتمع الأصيلة من خلال وسائل الأعلام والثقافة المختلفة.

فهناك اتفاق ضمني بين القائم بالأتصال والرأي العام بجميع طبقاته تؤهل للطرف الأول ضرورة طرح وتبنى وتفسير القضايا الاجتماعية الحقيقية وشرحها لقراي العام واقتراح انسب الحلول لمواجهتها.

فإذا لم تتحقق تلك الوظائف اصبح الأعلام عديم النفع وتنافت أهم مبادئ الديمقراطية الإعلامية والثقافية في المجتمع وأصبحت تبعا لذلك مجرد شعار من الشعارات الزائفة، واصبح الفرد في المجتمع منعزلا عن قضايا عصره وفريسة لمعلومات الدعاية المغلوطة التي قد تروجها بعض القوى المعادية للديمقراطية والحرية داخل الحدود القطرية والإقليمية وخارجها وذلك بتسلل إلى عقول الجماهير من خلال وسائل الأعلام والثقافة القطرية القومية منها والدولية العالمية،خاصة بعد [30]التطور الهائل في تكنولوجيا الأعلام والاتصال الجماهيري والمعلومات وصناعة الأقمار الصناعية والفيديو ديسك والفيديو كاست...

غير أن هناك محددات لفاعلية العملية الإعلامية في تحقيق المشاركة والتفاعل الاجتماعي والديموقراطية الثقافية، ولعل أهمها توافر نظام متكامل

---

[30] * صورة مطورة قدم فى المؤتمر الدولى عن "الاعلام والاتصال فى عصر الازمات" والذى نظمه معهد السياسات الاجتماعية فى "فاستيراس" بالسويد وعقد فى الفترة من ١٤ – ١٧ سبتمبر ١٩٨٩ قدمته الكاتبة/ د. بسمة الطريق الاستاذ بكلية الاعلام جامعة القاهرة.

للأعلام والاتصال الجماهيري قادر على تحقيق تلك الأدوار الوظيفية من خـــلال سلسلة مترابطة من العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية.

فعملية الاتصال الجماهيري يجب أن ترتبط بائيـــا ووظيفيـــا بـــالظواهر الاجتماعية والثقافية وتعمل على تحقيق التكامل الاجتماعي والسياسي وتعمل على ربط الفرد بقضايا المجتمع وتحيطهم علما بما يدور فيه مـــن أحـــداث وقضايـــا وإنجازات سياسية واجتماعية وثقافية.

ويمكن تحديد فاعلية عملية الاتصال الجماهيري كعملية اجتماعية تحقـــق الديمقراطية الثقافية والفكرية من خلال علاقتهـــا بـــالفرد، والبنـــاء الاجتمـــاعي والثقافي. فهي ظاهرة اجتماعية تؤثر وتتأثر بـــالظواهر الاجتماعيـــة والثقافيـــة والفكرية والسياسية والاقتصادية.

فهي منظومة اجتماعية تتحرك من خلال الفـــرد – البنـــاء الاجتمـــاعي والثقافة. وحتى يتحقق هذا الدور يجب النظر إلى تلك العملية علـــى أنهـــا مـــادة وأداه. مادة أو مضمون متنوع من مادة إخبارية وثقافيـــة واجتماعيـــة وسياســـية ودرامية تقوم بتأكيد هوية المجتمع وثقافته واتجاهاته السياســـية والفكريـــة، وأداة صناعية وتكنولوجية فلا يمكن تحقيق آلية صناعية وتكنولوجية معقـــدة وأيضـــا توافر جهاز معقد من القائيمن على التشغيل والإدارة.

إذا يمكن القول أن قياس قدرة عملية الأعـــلام والاتصـــال الجمـــاهيري وفاعلية دورها في تحقيق الديمقراطية الثقافية لا يمكن تصورهـــا فـــي غيـــاب المحددات الاتيه:-

(أ) توافر هذا الحد من الشكل والمضمون أو هـــذا الحـــد مـــن مقومـــات الأداء التكنولوجية وتوافر المادة أو المحتوى الثقافي والفكري والإخباري في المجتمع.
(ب) وضوح أيديولوجية المجتمع الذي تحدد أهداف الفكرة والثقافة وموقف هـــذا الفكر من إنجازات أفراد المجتمع.
(ج) قدرة الجمهور المستقبل عن أدراك هذا المضمون أو هذه المادة.
فكفاءة النظم الإعلامية والثقافية القائمة ومؤسساتها المختلفة هي انعكاس لكفـــاءة النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

ويمكن القول أن هناك محددات لفاعلية العملية الإعلاميـــة فـــي تحقيـــق المشاركة والتفاعل الاجتماعي والديمقراطية الفكرية والثقافية، لعل مـــن أهمهـــا توافر مقامات الإنتاج الفكري والثقافي والإعلامي القومي القـــادر علـــى إنتـــاج

مضمون فكرى وثقافي واجتماعي متنوع بهدف تغذية قنوات الإرسال المحلية القومية ومضمون الوسائل الإعلامية المختلفة لتوجيه الرأي العام ونقل الأحداث المحلية منها والعالمية وفقا لاهداف المجتمع وخصائص بنائه الاجتماعي ووفقا للعلاقات الدولية والأيديولوجية السائدة.

فالمضمون الفكري والثقافي والأعمى يكون له دور في تحقيق التوازن الاجتماعي كلما كان هذا الإنتاج يرتبط بالهوية القومية والتراث الفكري وبأهداف المجتمع واتجاهاته الفكرية المختلفة.

ولقد "أمكن قياس فاعلية هذا النظام الإعلامي والثقافي في تحقيق الديمقراطية الفكرية والثقافية من خلال وضع مقاييس لقيم المجتمع أي ربط المعاني والأفكار التي تبثها تلك الوسائل الإعلامية والثقافية باعتبارها نسقا فكريا متكاملا يعبر عن الفكر والقيم الاجتماعية في فترة زمنية محددة من التاريخ الاجتماعي والإنساني في فترة زمنية محددة في هذا المجتمع.

ومن ناحية أخرى قياس تلك العلاقة الجدلية التي يمكن أن تقوم بين تلك الطبقة المنتجة للفكر والثقافة والطبقات المستقبلة لهذا المضمون.

فصانع المضمون الثقافي والإعلامي أو المبدع والمثقف ينتج مضمونه بالوسائل والأدوات الثقافية والإعلامية المتاحة لعبر عن سياسة وفكر العصر، ويفجر المعاني الكامنة التي تراود أفراد الطبقات الاجتماعية المختلفة.

أن هذا هو الشرط الأساسي لتفهم الجمهور المستقبل لتلك الرسائل التي تعبر عن واقعة الاجتماعي والسياسي والثقافي من خلال المضمون الفكري والاقتصادي الذي افرزه كل من القائم بالاتصال والمستقبل وشرط من أهم شروط الديمقراطية الثقافية والفكرية.[٣١]

---

[٣١] انظر في هذا الشأن للدراسات التاليه

- E. MORIN. LA SOCIALOGE SEUIL 1984.
- A. MOLÈS, H'YMAGE COMMUNICATION - FOR CTIANNELLE. CASTERMAN 1981.
- نسمة احمد البطريق – المدخل الاجتماعي للاعلام – القاهرة طبعة ثانية ١٩٨٩.

ثانيا: حدود المشكلة

اصبح الربط بين عملية الأعلام والاتصال الجماهيري، وقضايا الديمقراطية الثقافية من الموضوعات الهامة التي يجب التطرق اليها وتحليلها من خلال منهج علمي دقيق يجمع بين الأعلام والاتصال الجماهيري وعلوم الاجتماع، ذلك لان البحوث الإعلامية التي لا تقوم بتحليل ودراسة المجتمع كطرف في العملية الإعلامية تصبح دراسات غير مكتملة من الناحية العملية والموضوعية.

فاللجوء إلى هذا المنهج الاجتماعي في تحليل ظاهرة الأعلام والاتصال الجماهيري أمر حتمي تفرضه الظروف البحثية لوضع نظرية الاتصال الجماهيري تنطلق من واقع الظروف الاجتماعية التي تمر بها الدول النامية وحتى يقف على أهم السلبيات التي تعرقل قيام نظام متوازن للأعلام والثقافة قائم على الديموقراطية خاصة بعد التطور في التكنولوجيا والعلم والتطور في نظم المعلومات والاتصال الجماهيري وصناعة الأقمار الصناعية للبث المباشر.[٣٢]

أن الديمقراطية الثقافية والإعلامية تتطلب علاقة جدلية بين المضمون الثقافي والإعلامي أي نوع من المشاركة والتفاعل بين الجمهور المتلقي، والمضمون الثقافي والإعلامي الذي تبثه وسائل الأعلام والثقافة المختلفة.
فدراسة البيئة الاجتماعية للاتصال تمثل ضرورة بحثية لحصر أهم السلبيات التي تعوق أدوار عملية الاتصال الجماهيري لتحقيق التوازن الإعلامي والثقافي وتحليل وتفسير أهم عناصر قضايا الديمقراطية في الوطن العربي ودول العالم النامي بصفة عامة.

فنحن نريد أن ندخل تحليلنا لقضايا الديمقراطية الثقافية في العالم النامي من خلال مدخل اجتماعي لحصر أهم العناصر التي تفوق إقامة نظام متكامل للأعلام والاتصال الجماهيري قادر على مواجهة تلك التحديات التي يفرضها التقدم التكنولوجي والصناعي في دول العالم الصناعي المتقدم.
فلقد فرض التقدم التكنولوجي والعلمي حضارة جديدة قوامها ثورة المعلومات والاتصال الجماهيري. كان لها تأثيرا عميقا على تأكيد التباين الحضاري والفكري والتكنولوجي بين دول العالم النامى بصفة عامة بقدراته

٣٢ – المراجع السابقة. موران وموليز.

المحدودة على الابتكار والتصنيع، ودول العالم المتقدم الصناعي بقدراته الاجتماعية والتكنولوجية والصناعية الفائقة، مهدت هذه الثورة إلى مزيد من متطلبات الفرد وضاعفت من شدة الصراع الطبقي وطرحت العديد من التساؤلات حول كيفية أيجاد نظام متوازن للأعلام والثقافة، بين دول تمتلك التكنولوجيا والعلم ودول أخرى لا يتوافر لديها المقومات اللازمة للإنتاج الصناعي والتكنولوجي لعدم قدرتها على تنويع المضمون الإعلامي والثقافي ليتلاءم مع الأشكال الحديثة لنقل الثقافة والمعلومات، فيزداد تبعا لذلك طلبها على المواد الثقافية والترفيهية والإعلامية الأجنبية والتي قد لا تتلاقى في العديد من الأحيان مع وجهات نظرها التنموية والثقافية والفكرية.

فصناعة المضمون الإعلامي والثقافي والفنى له متطلبات ليست فقط فكرية وثقافية بل تتطلب تجهيزات مادية وفنية وبشرية وتكنولوجية وصناعية هائلة، فالنقص فى إحدى هذه العناصر، قد يؤدى إلى استيراد مضمون أجنبي من أفلام وبرامج متعددة قد لا تؤيد وجهات النظر والأهداف القومية التنموية والثقافية، أو إلى لجوء تلك الدول النامية إلى الإنتاج المشترك مع دول المصدر.

ففي كلتا الحالتين يؤدى هذا الوضع الغير متوازن إلى القبول والتنازل عن بعض الأركان الهامة للديمقراطية الثقافية والفكرية فى تلك الدول.

ونتيجة لذلك مثلا أصبحت نتاجات الدول الصناعية المتقدمة الفكرية والثقافية والإعلامية تشكل جزءا وافرا من المضمون الإعلامي والثقافي والفكري، خاصة تلك المواد الترفيهية والدراسية من مسلسلات وأفلام روائية، ففي مصر مثلا وصلت واردات الولايات المتحدة الأمريكية وحدها إلى قمتها "ففي عام ١٩٧٨ عندما بلغ عدد الأفلام الأمريكية ١٧٨ فيلم أي ٩٠،٣٪ مما عرضه التليفزيون المصري" [٣٣] ولا تزال تلك النسبة على حالتها.

فإدخال تكنولوجيا الاتصال فى دول العالم النامي يجب إخضاعها لقيود واضحة ومدروسة حتى لا تتقلب إلى وسائل استغلال وقنوات تجارية همها تهديم

---

[٣٣] – حمدى قنديل "وسائل الاتصال والتكامل العربى" المستقبل العربى مركز دراسات الوحدة العربية – العدد (١٠٧)، يناير ١٩٨٨ ص ٤٣،٥٩

٢– ايمن محمد حبيب، "التعارف الاعلامى وتظهير الخلمة التليفزيونية فى دول مجلس التعاون الخليجى العربية" – رسالى ماجستير غير منشورة – كلية الاعلام – جامعة القاهرة – ١٩٨٨.

الإرادة البشرية وتأكيد مخاطر التبعية وإثارة قضايا الديمقراطية الإعلامية والثقافية نتيجة للاختلال واللاتوازن الاجتماعي والثقافي والاقتصادي أي بين إمكانيات المجتمع الفكرية والمادية والاقتصادية.

ونشير فى هذا الصدد إلى خطورة عدم التوازن فى تلك الإمكانيات والمقومات اللازمة لنشر الثقافة الأصيلة فى المجتمع، من خلال وسائل الاتصال التكنولوجية، ولعل أهمها التليفزيون.. فعدم توافر تلك المقومات سوف تدفع إلى العديد من الدول النامية لاستيراد مضمون أعلامي وثقافي أجنبي متكامل، انتج فى دول أخرى أو قد تلجأ إلى الإنتاج المشترك، وهو الأسلوب الأكثر شيوعا فى بعض الدول، ولا يخلو هذا النمط أيضا من مخاطر متعددة، لعل أهمها فرض العديد من التلميحات والإيحاءات داخل المضمون للترويج لثقافة وفكر وأعلام الدول المتقدمة فى الصناعة والتكنولوجيا ... يكون لها تأثيرا كبيرا فى المدى البعيد على الثقافة الأصيلة للمجتمع الثاني.

ولقد لجأت بعض الدول العربية الخليجية من خلال مجلس تعاون دول الخليج العربية للتعاون المشترك مع بعض المؤسسات الإنتاجية العالمية مثل مؤسسة فورد الأمريكية لانتاج بعض البرامج التربوية والثقافية الواسعة الانتشار فى المجتمع الخليجي مثل برامج "افتح يا سمسم" "وسلامتك" و "وقف" فهي من المشروعات الثقافية والتربوية التي رصدت لها ميزانية مالية كبيرة. وبالرغم من أن الدول العربية ساهمت ...

ومن المنتظر أن ترتفع تلك النسبة بدرجة كبيرة.تدريجيا مع تعميم فكرة التليفزيون الولي للبث المباشر والذي اخذ طريقه فى الانتاج فى بعض دول العالم العربي، وبعض دول العالم النامي. وسوف يمكن التليفزيون الدولي دول العالم النامي بصفة عامة إلى تلقى ليس فقط البرامج المحلية منها والعالمية التي تقوم الهيئات الإعلامية الوطنية باختيارها وفقا لمعايير معينة وأهداف ترتبط فى بعض الأحيان بأهداف تنموية وإرشادية، بل سيمكن تلك الدول إلى تلقى مضمون أعلامي وثقافي مفروض لا يخضع لأي رقابة من الدول والمجتمع، ولا يمثل طموح وعادات وتقاليد وتاريخ وتراث الدول وربما دون حاجة إلى إقامة شبكات استقبال الأمر الذي سيزيد من قضايا الديمقراطية الثقافية والإعلامية.

ونحن لا ننادى بعد انفتاح الثقافة العربية القومية على الثقافات العالمية فتلك قضية حسمت أهميتها بالنسبة لضرورة التقارب والالتقاء بين الحضارات

الأخرى العالمية القومية. ولكننا نطرح ونشير إلى أهمية العناية بإنتاج البرامج والمواد الترفيهية والإخبارية والإعلامية والثقافية المتعددة، التي تناقش قضايانا المصيرية الحالية منها والمستقبلية فى قالب يتلاءم مع الأشكال الحديثة للاتصال التكنولوجي، حي لا يطغى المضمون الأجنبي على المضمون المحلى القومي، فتقوم تلك الدول بتحليل وتفسير قضايانا المصيرية من منظور مخالف لأهدافنا القومية والتنموية.

مما تقدم يمكن إذا حصر أهم الإشكاليات التى تعوق اقامة نظام عربي متوازن للاتصال الجماهيرى قادر على تحقيق الديمقراطية الثقافية القومية فى عصر تكنولوجيا قد يشوب نواياها الاتصال والمعلومات والمعارف المختلفة فى النقاط التالية:-

أولا: عدم تكامل توافر هياكل البنية الأساسية للإنتاج الثقافي والفكري.
ثانيا: التطور الهائل فى تكنولوجيا المعلومات وعدم القدرة فى التحكم والسيطرة على أنظمة الفضاء.
ثالثا: قضايا البيئة الاجتماعية للاتصال الجماهيرى.

أولا: عدم تكامل توافر هياكل البنية الأساسية للإنتاج الثقافي والفكري:

أن دراسة هياكل البنية الأساسية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية إنما تشكل مقومات رئيسية ومحددات ترتكز عليه فاعلية وكفاءة النظام الاجتماعي والسياسي لتحقيق الديمقراطية الثقافية والفكرية من خلال وسائل الأعلام والاتصال الجماهيرى.

وفى طريق دراسة تلك الهياكل يمكن توضيح وحصر المقومات الأساسية لاقامة نظام للاتصال الجماهيرى قادر على إنتاج متطلبات المضمون الإعلامي والثقافي والفكري القومي المتكامل لتحقيق نوع من التوازن الإعلامي والثقافي خاصة فى عصر أصبحت فيه وسائل الاتصال الجماهيرى متعددة ومتنوعة وقادرة على الاقتحام وفرض مواد إعلامية وثقافية وترفيهية قد تروج عن قصد أو بدون قصد أفكار تسئ إلى الثقافة والفكر القومي.

فدراسة تلك الهياكل الأساسية الثقافية والفكرية فى واقع الأمر هي دراسة لظروف النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فمضمــون وســائل الأعــلام والثقافة يجب النظر إليه كجزء من تفاعل هذا النظام الاجتماعي والثقافي الكلــى أي كعنصر فعال من عناصر العملية الاجتماعية.

فهناك أسس علمية تحكم دراسة الوسيلة الإعلامية أو وسائل الاتصال الجماهيرى شكلا ومضمونا من حيث إنها:-

(أ) ظاهرة اجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الاجتمــاعي المعيــن وترتبــط بإمكانيات وظروف المجتمع الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية والحضارية.

(ب) اعتبارها وسيلة من وسائل الاتصال الجمــاهيرى أي وســيلة تكنولوجيــة وصناعية معقدة يدخل فى تحديد كفاءتها كنظام اجتماعي أو كفاءتها كوسيلة لهــا مقومات صناعية وتكنولوجية معقدة كفــاءة النظــام الاجتمــاعى والاقتصــادى والسياسي للمجتمع بقصد تحقيق الاكتفاء الذاتي لانتاج المضمون الفكري.

(ج) يجب النظر إلى المضمون الإعلامي والثقافي والفكــري لوســائل الأعــلام والثقافة على انه نتاج فكر وثقافة المجتمع فهو يعكس إذا صفــات محــددة هــي صفات وشخصية وأيديولوجية هذا المجتمع.

واصبح مضمون وسائل الأعلام والاتصال الجمــاهيرى فــى العصــر الحديث متعدد الاتجاهات السياسية والفكرية والثقافية. أي اصبح وحده معقدة من الفكر يختلف فيه الفكر القومي المحلى والعالمي الدولي.

كما أن المضمون المحلى اصبح أيضا متعدد النزعة والاتجاه والأهداف فالتعددية الحزبية والديمقراطية والجرية الفكرية التى تتمتع بها الدول الصناعية المتقدمــة كان لها تأثيرا كبيرا فى تقديم وتطور المضمون الإعلامي والثقافي.

فأصبح التعدد فى مضمون وسائل الأعلام والثقافة معيارا ومظهرا لقياس الديمقراطية الفكرية والثقافية والسياسية فى تلك الدول

كما أن هذا التعدد فى المضمون الثقافي والفكري المحلى والقومي يعكس أيضا مقدرة ثقافية أي تكاملا فى مقومات ومتطلبات الإنتاج الفكــري والثقــافي والذي يتطلب نهضة اجتماعية وحضارية.

ويمكن النظر إلى تلك المقومات على أنها تعبيرا عن حرية سياسية وفكرية فلا يمكن تكامل النسق الثقافي والاجتماعي القادر على الإنتاج والتعبير عن فكر وحضارة المجتمع دون توافر حدا من الحرية السياسية والاقتصادية والفكرية.

فالحرية السياسية – النسبية – التى تمتعت بها مصر مثلا منذ بدايات القرن التاسع عشر وحتى الثمانينات من القرن ١٩ هيأت إلى نهضة قومية اقتصادية مهدت إلى نهضة مماثلة اجتماعية وثقافية وفكرية متكاملة، تلاقت مع ترسيبات حضارية أصيلة فى المجتمع العربي، واتضحت معالم تلك النهضة الفكرية فى المقال الصحفى والقصة العربية الحديثة وفى الشعر الحديث وفى بدايات المسرح العربي وفى تطور الأغنية والموسيقى العربية الحديثة، تلك النتاجات راحت تعبر عن قضايا المجتمع المصري والعربي حتى فى اكثر فترات الاحتلال البريانى ضراوة تلك المقومات هى ذاتها مقومات إنتاج مضمون وسائل الأعلام والاتصال الجماهيرى العربية الحديثة فيما بعد. [٣٤]

فغياب هذا القدر من مقومات الإنتاج الثقافي لمضمون وسائل الأعلام والاتصال والثقافة الحديثة وعدم تكامله يعكس أزمة النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي على تحقيق هذا المناخ الملائم للإنتاج والتعبير. فمثلا فى الستينات من هذا القرن كان لازمه المثقفين فى مصر والعالم العربي عواقب وخيمة على الديمقراطية الفكرية وعلى الحياة الثقافية العربية وعلى مستوى إنتاج مضمون وسائل الاعلام والثقافة المتعددة.

إذا يمكن التأكيد على أن غياب هذا المضمون المتنوع لتغذية وسائل الأعلام والثقافة المتعددة فى الشكل التكنولوجي إنما يعبر عن غياب مقومات الإنتاج الفكري والثقافي من مقومات اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية، هذا العجز الثقافي كان له عواقبه على هذا الوضع اللاتوازنى فى مضمون ومحتوى وسائل الأعلام الوطنية وخاصة التليفزيون. فلا تستطيع الحركة الفكرية والثقافية

---

[٣٤] – نسمة احمد البطريق – السينما المصرية – المدخل الاجتماعى والثقافى رسالة دكتوراه الفلسفة بالفرنسية غير منشورة – كلية الاداب جامعة بروكسل بليكا ١٩٧٩.

٢– انظر نسمة احمد البطريق – نظرية الاعلام المرئى المسموع – دراسة فى المدخل الاجتماعى – توزيع الاهرام – القاهرة ١٩٨٩.

معادلة هذا النقص الفكري والثقافي فى مضمون وسائل الأعلام والثقافة المتعددة فى الشكل التكنولوجى والفنى من نتائج هذا الوضع الالتجاء إلى تعويض هذا النقص بمضمون أخر يعبر عن فكر وثقافة المجتمعات الأخرى فتلجأ الدولة إلى استيراد مضمون ثقافي وفكري وترفيهي يعكس ليس فكر وثقافة ووجدان وشخصية المجتمع ولكن عكس أفكار قد تسئ إلى الشخصية القومية وتعمل على زيادة سلبية المتلقي وعدم قدرته على أدراك ما يدور حوله من قضايا قومية فتضاعفت نتيجة لذلك المظاهر المعاكسة لاقامة المشروعات التنموية المختلفة وتزداد قضايا الديمقراطية الثقافية والفكرية تعقيدا. (٢)

ثانيا:- التطور الهائل فى التكنولوجيا ألاتصال والمعلومات وعدم القدرة فى التحكم والسيطرة على أنظمة الفضاء.

وكانت نتيجة لضعف قدرة مجتمعات العالم النامي على الإنتاج التكنولوجي والصناعي والتجائها المتزايد إلى دول العالم الصناعي المتقدم فى الغرب والشرق لتصنيع أقمارها وكذلك إلى إطلاقها وفى بعض الأحيان أن لم يكن فى أحيان كثيرة إلى تغذية قنواتها بالمواد التعليمية والثقافية والإخبارية والترفيهية.

وذلك بالرغم من معارضة البعض فى دول العالم النامي لسياسة الانفتاح التكنولوجي واستيراد تكنولوجيا الفضاء من الغرب المتقدم ألا أن - الطبيعة الجغرافية فرضت هذا الوضع فى إندونيسيا فمثلا، ولعدم توافر البنية الأساسية اللازمة لاقامة نظام أعلامي متكامل يغطى الأراضي الإندونيسية وخاصة الريفية.

لقد رسخ هذا النظام الفضائي فى إندونيسيا وأصبحت البلدان - فى جنوب شرق آسيا كالفلبين وماليزيا وسنغافورة وتايلاند تربط محطاتها الأرضية بنظام PALAPA وأطلق أول قمر لها في عام ١٩٧٦. [٣٥]

---

[٣٥] - حمدى قنديل - اتصالات فى الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ص ٨٣ وما بعدها.

تلك البلاد ترتبط فيما بينها بروابط تعاون مختلفة من بينها الاتصالات وكذلك الراديو والتليفزيون وجميعها أعضاء في اتحاد إذاعات آسيا والباسفيكي.

وفيما يخص المشروع العربي لاتصالات الفضاء فنشير إلى المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية التي أقيمت عقب اجتماع وزراء مواصلات العرب في مؤتمراهم الثالث في القاهرة عام ١٩٧٦ كمنظمة ذات مسئولية قانونية مستقلة في إطار جامعة الدول العربية، وكان أساسا وليد فكرة الأعلام الخارجي للقضية الفلسطينية بصفة خاصة. وبصفة عامة كان يرمى إلى التبادل في البرامج الإذاعية والتليفزيونية عن طريق شبكة تليفزيونية جمع بين كافة الدول العربية ويصبح في الإمكان بث وبرامج عربية موحدة يلتقط على شاشات التليفزيون في الدول العربية بأجمعها.

وحيث أن عملية الأعلام لتحقيق الديمقراطية ترتبط بالموقف الاجتماعي والسياسي الذي كان يمكنه تحجيم قضايا التبعية الثقافية وتأكيد الهوية الثقافية عن طريق استغلال مقومات التكامل الإعلامي والثقافي والاقتصادي من جانب والاقتصادي والاجتماعي والبشرى من جانب أخر لتأثير الموقف السياسي والأزمات السياسية بين الأقطار العربية فاستبعد إمكانيات استخدام القناة القمرية الغزيرة الإشعاع في بث البرامج الثقافية والترفيهية والدرامية العربية في عدد من الأقطار العربية في وقت واحد.

واقتصر استغلال الأقمار العربية على المجالات الهاتفية التقليدية وعلى تبادل بعض المواد الإخبارية وتغطية الأحداث الرياضية خاصة مباريات كرة القدم.[٣٦]

ويرى البعض أن جانبا كبيرا من قضايا إشكاليات الديمقراطية الثقافية ناتجة من عدم القدرة على تطبيق نظام لاتصالات الفضاء يعنى بأهداف دول العالم النامي، ففي حين تعرض الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق أنظمة الأقمار الصناعية والتي تتصدرها انتلسات INTELSAT وسياستها التجارية في

– ايضا انظر محمد عبد الشفيع عيسى "التبعية التكنولوجية في الوطن العربي المستقبل العربي، العدد ٦١ مارس ١٩٨٤ ص ٨٢ – ٩٧.

[٣٦] – انظر مرجع سابق حمدى قنديل – اتصالات الفضاء.

الدول التابعة لها خاصة دول العالم النامي من خلال فرض المـــواد الإخبارية والإعلامية التي تتفق ووجهة نظرها الا أنها واجهت صعوبات عديدة فى تطبيق ذات السياسة فى دول غرب أوروبا وذلك لتوافر نظام متكامل للأعمال والاتصال الجماهيري يفسح لها مجال ومكان فى هذا النظام الفضائي الجديد لإبداء وجهـــة نظرها فى القضايا الهامة الاجتماعية والثقافية والسياسية لدول غرب أوروبا.

وبمثل ما تتمتع به دول الغرب الصناعي يتمتع به أيضا الاتحاد السوفيتي سيطرته الإعلامية من خلال نظم وأقمار الاتصالات الدولية "انترسبوتينيك" على الدول التابعة لها والمشتركة فى هذا النظام.

وأثار هذا الوضع الجديد للأعلام مخاوف مفكرى حول العـــالم النـــامي خاصة فيما يتعلق بانعكاسات هذا لنظام أثاره السلبية التي قد تهدد الأمن الثقـــافي والإعلامي والهوية القومية لتلك الدول خاصة لعدم توافر تلك البنية الاجتماعيـــة للاتصال الجماهيري وعدم قدرة أنظمتها على تحقيق الاكتفاء الذاتي لإنتاج الفكر والثقافة والأخبار المتنوعة التي تحقق المشاركة والتفاعل بين جميع فئات الـــرأي العام. هذا من جانب ومن جانب آخر ترتبط بتلك المشكلات والقضايا السياســـية والاجتماعية والفكرية فى تلك الدول (ولعل أهمها) انتشـــار البطالـــة بأنواعهـــا وانخفاض المستوى الصحي والمعيشي والاميه التعليمية، ولاقوارق بين الطبقات وعدم العدالة الاجتماعية فى توزيع الدخل القومي هذا بالإضافة إلـــــى مخـــاطر التبعية التكنولوجية والثقافية لدول المصـــدر، خاصـــة ونحـــن نعلـــم الصيغـــة الاستهلاكية التي تتسم بها مضمون البرامج المختلفة التي تصدرها دول الغـــرب الصناعي المتقدم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي تحتل مكان الصـــدارة فى السوق العالمية لتصدير المعارف التكنولوجية فى اتجاه الدول النامية إذ تبلـــغ ٥٥ - ٦٠٪ من أجمالي صادرتها. وان البلاد النامية تقدم للشركات الأمريكيـــة بالذات اكثر من أربعة أخماس مدفوعاتها الخارجية للمعارف هذا الوضع المتأزم الذى تشكو منه دول العالم النامى، وبصفة خاصة قضايا نقص المعلومات، وعدم القدرة على الإنتاج التكنولوجي والصناعى والإنتاج الثقافي المتنوع يزداد ســـوءا مع عدم اهتمام وسائل الأعلام بالاتصال الجماهيري ووكالات أبنائهـــا وشـــبكات

معلومات بالمشكلات التي تواجهها دول العالم النامى، مـــن اجتماعيـــة وثقافيـــة وسياسية واقتصادية وفكرية.... [٣٧]

ولقد نتجت عن تلك المشكلات عقد المؤتمرات والندوات الدولية المتعددة فى نيودلهى وتونس والجزائر ... والتي أثمرت إلى إقرار النظام العالمي الجديد للأعلام والاتصال على النطاق الدولي وتحت مظل اليونسكو.

أما على النطاق الإقليمي العربي فلقد اقر مشروع النظام العربي الجديـــد للأعلام والاتصال [٣٨]، والذي لم يثمر ثماره نتيجة للموقف السياسي والاجتماعى والاقتصادى المتأزم داخل الصف العربى وعدم القدرة على اتخاذ موقف حاســـم يحل قضايا الاعلام العربى المشترك وقضايا الثقافة العربية وإقامة نظام متكامل ومتوازن للثقافة والأعلام.

ثالثا: قضايا البيئة الاجتماعية للاتصال الجماهيري

ويمكن الإشارة ونحن بصدد دراسة وتحليل هذا العامل هو أننا نهجـــف إلى تفسير أسباب عدم قدرة النظم الإعلاميـــة علـــى تحقيـــق الأدوار التنمويـــة والديمقراطية الثقافية والفكرية القومية، وعدم قدرتها على طرح أهم المشـــكلات الاجتماعية بطريقة فعالة نتيجة لعدة عوامل يمكن حصرها فى نقطتين:

١- عوامل ترتبط بالبيئة الاجتماعية:

فظروف المجتمـــع الاقتصاديـــة والسياســـية والثقافيـــة والاقتصاديـــة والاجتماعية تؤثر تأثيرا كبيرا على العملية الإعلامية وايجابية دورها. فدراســـة التفاوت بين وظائف العملية الإعلامية فى كل من دول العـــالم النـــامى والعـــالم الصناعي المتقدم، وحصرها من خلال الدراسات الاجتماعية الأخرى ولعل أهمها دراسة دينامية النشاط الإنساني للفرد المنتج وغير المنتج يمكنها توضيح وتفسير بعض سلبيات البيئة الاجتماعية للأعلام والاتصال الجماهيري.

---

[٣٧] – ابراهيم سعد الدين "النظام الدولى وآليات التبعية" المستقبل العربى العدد (٩٠) اغسطس ١٩٨٦ – ص ٨٤ – ١١٧.
انظر ايضا: عمر ابراهيم النقيب "دور الجوانب الايديولوجية ولاسياسية فى الفكر التكنولوجى العربى"، مجلة العلوم الاحتماعية العدد (٤) ص ص ٩ – ٢٨.

[٣٨] – نحو نظام عربى جديد والاتصال، مشروع تقرير نهائى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٨٥.

فتحديد كيفية تعامل الفرد مع رصيد حياته اليومية الذى ينقسم بين أوقات منتجة وغير منتجة، إنما تحدد فى واقع الأمر جانبا كبيرا لطريقة تعامل الفرد اليومي مع وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة.

كما تحدد أهمية تلك الوسائل الإعلامية والثقافية فى حياة الأفراد [٣٩] ففي الدول الصناعية المتقدمة نجد إلى جانب وسائل الأعلام كالرياضة وتعدد الأماكن العامة من منتزهات وحدائق وغابات طبيعية هذا إلى جانب سهولة الانتقال بين تلك الأماكن.

وتصبح إذا المنافسة فى تلك الحالة قوية بين وسائل الأعلام الجماهيري المتنوعة.

ونتيجة لذلك تضاعف وسائل الأعلام الجماهيري القومية فى تلك الدول لمتقدمة الصناعية إمكانياتها وكفاءتها الابهارية والإبداعية من خلال تقديم المواد والبرامج المختلفة والمتنوعة.

وتختلف الصورة والمشهد الاجتماعي تماما فى الدول النامية عامة، والعالم العربي خاصة حيث البطالة المقنعة والظاهرة، الأمية والفقر الفكري والمعنوى وسوء التخطيط العمراني وتزييف الطبقي والاجتماعي والثقافي والفكري والمعنوي وسوء التخطيط العمراني وتزييف المدن والتكدس السكاني داخل كل مدينة عربية والتفاوت الطبقي والاجتماعي والثقافي والتفكري هذا إلى جانب قضايا الشباب والمخدرات (السموم البيضاء) وقضايا المرأة والهياكل التربوية اللامتوازية،.. وانعكاس ذلك كله على الفرد وما يصيبه من إحباط معنوي وخلقي، ويزداد تبعا لذلك تطلعه إلى نماذج اجتماعية غير متأصلة في المجتمع، وخاصة مع تزايد هذا الكم من النتاجات الثقافية الطفيلية التى تبثها وسائل الأعلام القومية والتي لا تناقش قضايا العصر الحديث، خاصة بعض نتاجات الأعمال السينمائية والتليفزيون العربية هذا إلى جانب ازدياد أهمية الإعلان عن السلع الاستهلاكية خاصة فى التليفزيون العربي فى مصري وما يترتب عليه من مضاعفة تلك الرغبة الاستهلاكية عند الفرد فى مجتمع غير

---

٣٩ – انظر الدراسات الرائدة ففي هذا المجال

- GABRIEL - THOVERON .R.T V. DANS LA VIE QUOTIDIENNE. V.L.B. BRUXELLES 1973.
- G-. DUMAZADIER, VERS UNE, CİVILLISATION DU HOISIR. DU SEUIL, 1962.

متوازن أصلا فى البني الاقتصادية والاجتماعية، وبتميزه بارتفاع الاستهلاك دون ما يقابله إنتاجا هذا الوضع يزيد من طلب الفرد على المواد الدرامية التيفزيونيــة الهابطة والسينمائية السهلة. فلقد دلت الدراسات الكلاسيكية للمدخلِ الاجتمـــاعي للأعلام الجماهيري انه كلما ازداد القهر الاجتماعي وارتفعت معـــدلات الاميــه الفكرية والتعليمية والثقافية لجأ الفرد إلى التعرض والتنفيس من خلال التعــرض للبرامج الدرامية والروائية المليودرامية.[٤٠]

(٢) العلاقة بين التعرض المرتفع والمتزايد للمواد الترفيهية الهابطة خاصة التليفزيونية والفيلميه وتفاقم مشكلات الديموقراطية الثقافية.

فلقد أظهرت الدراسات الاجتماعية أن التعرض لتلــك الــبرامج بهــدف التنفيس عن لضائقة الاجتماعية والنفسية سيزيد من أزمة الديمقراطية أو تفصـــل الفرد عن واقعة وتفقده السيطرة على هذا الوضع وتزداد تبعا لذلك الآثار السلبية لتلكِ الظواهر كتلاشى وانعدام المشاركة الإيجابية للفرد إزاء قضايـــا مجتمعــه ومشكلات عصره المختلفة الاجتماعية منها والسياسية والثقافية والاقتصادية. [٤١]

٤٠ـ

ELIHU KATZ ET DAVID FOULKES SUR L'U TILISATIN DES MASS MIDIA COMME MOYENS D;EVASION, "TEXTE PUBLIC OPINION QUATERLY, VVOL, 26. PRINCETON UNIVERSTIY 1962 - PP 377 - 388.

انظر ايضا:

محسن جاسم الموسوى "تكنلوجيا وسائل الاتصال واشكالياتها القيمية"

قضايا عربية العدد ٤ السنه التاسعة فبراير – ابريل ١٩٨٢ ص. ص ١٠٥ – ١١٥

نسمة احمد البطريق، لغة السينما والتليفزيون توزيع الاهرام القاهرة ١٩٨٧.

٤ – المرجع السابق – محسن جاسم الموسوى.

الفصل السابع:

الاعلام وقضايا البيئة
"دراسة فى العلاقات الارتباطية
بين
القصور الوظيفى لهياكل البنية الاساسية
والوعى بقضايا البيئة"

الفصل السابع:

الاعلام وقضايا البيئة

دراسة فى العلاقات الارتباطية بين القصور فى هياكل البنية الاساسية والوعى بقضايا البيئة" (٤٢)

مقدمة:

لا نغلوا اذا قلنا ان قضايا الاعلام والبيئة فى الاقطار العربية بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة هى قضايا متشابكة ذات ابعاد مترابطة.

فقضايا الاعلام والاتصال الجماهيرى، مثل البيئة والتلوث هى قضايا تتصل اتصالا مباشرا بخصائص المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية والسكانية العمرانية؛ .. فالمجتمع وما يفرزه من قضايا واشكاليات تؤثر على فاعلية ليس فقط النظام البيئى وقدرته الطبيعية الفائقة على حماية الانسان والنبات والحيوان؛ والحفاظ على التوازن الكونى الخلاق، وانما تؤثر ايضا على فاعلية العملية الاعلامية والتربوية والثقافية.

فقضايا الاعلام والبيئة اذا تحتم علينا تناولها من خلال خلفية نظرية متعددة الزوايا والابعاد وفى مقدمتها البعد الاجتماعى كاطار منهجى وعلمى، لاسيما فى حالة تلك القضايا التى نحن بصددها والتى تتطلب دراسات تكاملية.

واذا كانت مسببات تلك الازمة البيئية فى دول العالم الصناعى المتقدم والذى قطع شوطا كبيرا فى مشوار التقدم العلمى والاقتصادى، هى بالدرجة الاولى مسببات اقتصادية، ترتبط بالتطور الصناعى والتكنولوجى والعلمى؛ فان مسببات تلك الازمة؛ بالاضافة الى القصور العلمى والتكنولوجى هى مسببات اجتماعية بالدرجة الاولى فى دول العالم النامى بصفة عامة، والعالم العربى بصفة خاصة.

---

[٤٢] – دراسة متطورة وميدانية اجريت حديثا فى مارس ١٩٩٤، لورقة عمل قدمت فى مؤتمر فاستوراس بالسويد عن "الاعلام والازمات الدولية" ١٩٩٠ واجريت كتطوير لدراسة استطلاعية لعينة على طلاب الجامعة وتحليل مضمون لبعض البرامج اجريت فى ١٩٩٣ ونشرت بدورية الجامعة العربية "شئون عربية" تحت عنوان "المدخل الاجتماعى للاعلام والبيئة"، عدد سبتمبر ١٩٩٣

ولغياب الوعى الاجتماعى بمظاهره المختلفة نتائج متعددة يمكن حصرها من خلال ملاحظة العديد من مظاهر السلوك الاجتماعى، والذى قد يصدره الانسان من غير وعى يؤدى الى عواقب ضارة ومتعددة على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويؤثر هذا السلوك بدوره تاثيرا مباشرا على تدمير مقومات النظام البيئى.

هذا عن المحور الاول لجوانب القضية، اما المحور الثانى والذى يرتبط بقضايا الاعلام والاتصال الجماهيرى فى دول العالم النامى فالقضية الاساسية هى فى كيفية تعميق الاحساس ليس بالوعى البيئى فحسب وانما ايضا بقضايا الامسان ولافرد فى المجتمع؛ اى بما يمكن ان تبذله وسائل الاعلام المتعددة من جهد لتعميق الاحساس باهمية الانسان وباهمية دوره فى المجتمع وفى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

ولايمكن للاعلام القيام بهذا الدور، دون مساندة للمؤسسات والتنظيمات الحكومية والاهلية على السواء، والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية والثقافية المتعددة فى المجتمع لتعميق الوعى البيئى، وذلك بتوفير المقومات الرئيسية، لرفع كفاءة الفرد فى المجتمع، الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والتربوية والثقافية .[٤٣]

وايضا العمل على رفع كفاءة العملية الاعلامية. فرفع كفاءة الاعلام بوسائله المتعددة وادواره الوظيفية، التنموية والثقافية منها والارشادية والترفيهية فى المجتمعات النامية لن يتحقق فى غياب قدر من التكامل فى وظائف هياكل البنية الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع.[٤٤]

---

[٤٣] – هذه الضرورة اصبحت من العناصر الضرورية والتى اشارت اليه مؤتمر الامم المتحدة غم حماية البيئة، بستكهولم ١٩٧٢، وتاكدت هذه الاهمية بانشاء برنامجا هاما للبيئة وقضاياها فى الدول المتقدمة والدول النامية والذى عرف:

"U.N.E.P" UNITED NATIONS ENVIRMENT"

[٤٤] – شكرى نجار "الاسلوب الانتروبولوجى لدراسة المجتمع – الفكر العربى – العدد ٢٨ – ١٩٨٥.

(١) انظر ايضا

- ROCHERGUY, JNTRODUC. AL A SOCIOLOGIF - SEUIL. PARIS. 1970.
- CHAZEL. F. BOUD. "LAZASFELD L'ANALYSE DE PROCESSUS SOCIAUX. PARIS, 1970 P 414
- G: BALANDIER. SENS ET PUISSANCE, LES DYNAMIQUES SOCIALES. PRE. UNIV. FRANCE, 1981, P - P - 330.

فقد اثبتت الدراسات الاجتماعية المتعددة واثبتت ان المجتمع وما يفرزه من قضايا مختلفة، وخاصة ما يتعلق بقضايا الفرد والانسان وسلوكه الضار تجاه المجتمع هو من نتائج التشوه والقصور فى هياكل البنية الاساسية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. [٤٥]

واسندت دراسات اجتماعية اخرى قضايا الابداع والادارك والفهم والاستيعاب الى الاسباب ذاتها وهى القصور الهيكلى فى البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية .. والسياسية. [٤٦]

وتؤكد تلك الدراسات على العلاقة بين الابداع والادارك والفهم وكلها تتطلب قدرات الانسان المكتسبة الاجتماعية والثقافية والتربوية والتعليمية، وبين ضرورة توافر هياكل البنية الاساسية من اجتماعية واقتصادية وثقافية، كتوافر المرافق العامة من طرق ومنشآت حيوية للخدمات والكبارى وشبكة للمواصلات والصرف الصحى والكهرباء .. وتوافر المكتبات والحدائق، والمدارس.

كما اظهرت تلك الدراسات واكدت على العلاقة الارتباطية بين الكثافة السكانية وتواجدها وبين تدنى المشاركة السياسية والتفاعل الثقافى والاجتماعى، كما اكدت دراسات اخرى على العلاقة الارتباطية بين الجريمة وانحرافات الشباب وبين التكدس السكانى فى المدن وتشوه مظهرها المعمارى والتنظيمى . [٤٧]

---

[٤٥] – ابراهيم الداقومى – اعلام العالم الثالث، مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى، بغداد ١٩٨٨.

[٤٦] – انظر فى هذا الصدد المراجع التالية:

- HENRI FALSE, L'EVOLUTION POSSIPLE DES MOYENS DE: DIFF - USION. PRESS - UNIV, 1980.
- JEAN STOETZEL. FONCTIONS DE LINFORMATION ETUDES DE PRESSE.
- MALTHUS, THOMAS PARADIGME DE L'EQUIGILIBRE ENTRE TERRE ET HOMMES. PRESSES UNIV. 1980.

[٤٧] – انظر فى هذا الصدد المراجع التالية: والدراسات التى اظهرت العلاقة بين الجريمة وانحرافات الشباب وبين التكدس السكانى.

انظر د. ادريس الضحاك "حول انحرافات الشباب والتكدس السكانى والتشوه العمرانى". "الجمعية النسائية السورية" دمشق، ١٩٩١.

اما عن العلاقة الارتباطية بين الكثافة السكانية وتواجدها وبين المشاركة السياسية.

انظر

- DANIEL LERNER. SYSTEMES DE COMM. ET SYSTEMES SOCIAUX.

ويمكن القول اذا ان قضايا البيئة فى دولة عربية كمصر هى مـــن تلــك القضايا التى تتطلب دراسات تكاملية فهى من القضايا الفكرية المتعـــددة الزوايـــا والابعاد وفى مقدمتها البعد الاجتماعى كإطار منهجى وعلمى .

وفى ضوء ما تقدم فأن هذا البحث يهدف اذا الى التأكيد بصفـــة خاصـــة علـــى العناصر الترابطية التالية :-

١.ان غياب الوعى الاجتماعى بمظاهره المتعددة يشكل القضية المحورية والتى تضاعف من قضايا الاعلام والبيئة .
٢.ان الوعى الاجتماعى لا يمكن ان تتوافر وتتكامل عناصره فى المجتمع فـــى غياب توافر العديد من المقومات الهيكلية الاقتصاديـــة منهـــا والاجتماعيـــة والتربوية والتعليمية .

هذه الدراسة اذا تثير العديد من القضايا البحثيـــه المرتبطـــة بـــالمجتمع بســـياقه الاجتماعى والاقتصادى والثقافى والمعرفى ، اى انها تحاول الربط بين العوامـــل الاجتماعية المتعددة وقضايا الاعلام والبيئة . وقد يعترض مسيرة هـــذا البحـــث وتطوره العديد من العوائق البحثيه ، لعل اهمها الفقر الشـــديد فـــى الدراســـات الاجتماعية الوصفية والتكاملية التفسيرية . التى يمكن من خلالها استيعاب تلـــك الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية شديدة التعقيد فى البلدان النامية بصفة عامة وفى الاقطار العربية بصفة خاصة . ويرجع هذا الى العديد مـــن القضايـــا الهامة التى تطرح نفسها على صعيد الفكر العلمى الحديـــث : علـــى المســـتوى الاكاديمى التنظيرى ، ومستوى الممارسة والتطبيق .

فمن حيث الجانب التنظيرى ، وبدون الدخول فى التفـــاصيل ، لـــم تحـــظ هـــذه الجوانب

(التنظرية خاصة فى مجالات البحوث السوسيولوجية القائمة علـــى الدراســـات المستفيضة المتعمقة للظواهر الاجتماعيـــة المتقدمـــة والمتغـــيرة والمتداخلـــة) بالاهتمام الكافى من حيث تشجيع هذه البحـــوث العلميـــة والتحليليـــة وخاصـــة التفسيرية والتى على اساسها يمكن صياغة نظرية اجتماعية شاملة تحكـــم هـــذه الظواهر بحيث يمكن عن طريقها اعادة صياغة المفاهيم المختلفة وتأكيدها .

BEHAVIORAL SCIENCF, P-P-266-275. IN SICIOLOGIE , LAROUSSE. UNIV. 1975.

ويصطدم هذا المنظور الاكاديمى التنظيرى بالعديد من العوائق لعل اهمها النظرة القصيرة المدى لاهمية هذا النوع من البحوث وعدم القدرة على التنظير الذى يتطلب جهدا متعمقا لنقد الذات العلمى فى تلك المجالات وتفسيرا دقيقا للنظريات الاجتماعية الرائدة ، حتى يمكن تحديد الوجهة الصحيحة لاتجاهاتها ومسارها واهدافها .

ولعل نظريتنا المتدنية للبحوث الاجتماعية تمثل العائق الحقيقى لتقدم نوع من البحوث . وهذا على العكس مما هو قائم فى الغرب المتقدم ، ففى جامعات ومعاهد اروبا والولايات المتحدة الامريكية يسبق كل بحث علمى اجتهاد شامل فى المجالات التنظيرية ، ليصبح القاعدة النظرية التى تحكم البحث وتربط بين عناصره ومتغيراته .

ويؤدى هذا كله الى تحجيم دور التحليل السوسيولوجى المتعمق الذى يخدم دراسة قضايانا العربية بظواهرها المتعددة والتى التردد فى الخوض فى تلك الموضوعات الحساسة . فتلك البحوث تخضع لعوامل خفية ذاتية ، مما يؤدى الى تحجيم دور التحليل السوسيولوجى المتعمق ، وجعل البحوث غير قابلة للمناقشة والتطبيق على المستوى الرسمى . فأتخاذ القرارات عادة ما يكون محتكرا فى يد نخبة سياسية لا تؤمن بالمنهج العلمى الايمان الكافى.

ومهما يكن من امر تلك القضايا والاشكاليات البحثية فى مجالات المنهج الاجتماعى وتطبيقاته فى الاقطار العربية ، سنقوم بالرغم من تلك العوائق ، بمحاولة اعادة صياغة قضايا الاعلام والبيئة من خلال التأكيد اولا على اهم الاسباب خاصة الاجتماعية والاقتصادية الاكثر اهمية وخطورتها على تطور المجتمع والفرد وبصفة خاصة فى مصر كمثال لدولة عربية نامية وثانيا على المسببات الحقيقية لتلك القضايا (لتكون القاعدة التى يمكن على اساسها مقارنة مضمون بعض ما يقدم من برامج اعلامية) تمهيدا لوضع قسمات مشروع حضارى مستقبلى يكون الفرد والمجتمع والثقافة ووسائل الاعلام دور ايجابى فى تحقيقه .

<u>اولا – الوعي الاجتماعي كعنصر محورى لتفسير قضايا الاعلام والبيئة</u>

تناقش الدراسة فى حقيقة الامر جانبين لموضوع واحد او وجهين لقضية واحدة ، هى قضية التخلف الاجتماعى والاقتصادى ، وهى قضايا ترتبط بصفة رئيسية بالمجتمع والانسان فى دول عالمنا العربي النامى .

فقضايا الاعلام والاتصال الجماهيرى ، مثل قضايا البيئة والتلوث ، هى قضايا تتصل اتصالا مباشرا بخصائص المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسكانية " العمرانية " . فالمجتمع وما يفرزه من قضايا واشكاليات تؤثر على فاعلية ليس فقط النظام البيئى وقدرته الطبيعية الفائقة على حماية الانسان والنبات والحيوان والحفاظ على التوازن الكونى الخلاق ، وانما تؤثر ايضا على فاعلية العملية الاعلامية والتربوية والثقافية .

واذا كانت مسببات تلك الازمة فى دول العالم الصناعى المتقدم (والذى قطع شوطا كبيرا فى مشوار التقدم العلمى والاقتصادى) اقتصادية وترتبط بصفة خاصة بالتطور التكنولوجى والصناعى والعلمى ، فأن مسببات تلك الازمة اجتماعية بالدرجة الاولى فى دول العالم النامى ، ومنه الاقطار العربية . ذلك ان لغياب الوعى الاجتماعى بمظاهره المختلفة نتائج متعددة يمكن حصرها من خلال ملاحظة العديد من مظاهر السلوك الاجتماعى ، الذى قد يصدره الانسان عن غير وعى ، ويؤدى بدوره تأثيرا مباشرا على تدمير مقومات النظام البيئى . فقضايا البيئة فى حقيقة الامر هى قضايا الفقر والتخلف الحضارى والفكرى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى . وتتداخل عناصر هذه القضايا فى الدول النامية بصورة يستعصى على الباحث تحديد مسبباتها بدقة . ما لم يسبق البحث جهد علمى .

ولا حاجة بنا الى التأكيد على تلك العلاقة المباشرة بين امكانية استمرار الحياة الانسانية وسلامتها والحفاظ على مقومات النظام البيئى وتوافر مقومات الوعى الاجتماعى فى حدوده المعقولة .

ان القضية الاساسية والمحورية التى تواجه الاعلام فى الدول والمجتمعات النامية ، هى فى كيفية تعميق الاحساس بالوعى البيئى وبما يمكن ان تبذله وسائل الاعلام المتعددة من جهد لتعميق الاحساس بأهمية الانسان وبأهمية دوره فى المجتمع وفى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى المجتمع .
فنحن نعلم جيدا ان الاعلام هو ظاهرة اجتماعية وجدت اصلا فى المجتمعات المتقدمة فى الغرب الصناعى المتقدم ، حيث توافرت لتلك الظاهرة مجموعة من

المقومات والعناصر مهدت لها طريقا معدا لتحقيق الادوار الوظيفية الرئيسية : وهى التثقيف والاعلام والاعلان والارشاد ، وعرض الحقائق الموضوعية من مختلف جوانبها ونقدها وتأكيد بعضها ، والتاثير خاصة فى مجالات الحملات السياسية .

ولقد اثبتت الدراسات الاجتماعية المتعددة ان ما يفرزه المجتمع من قضايا مختلفة ، وخاصة ما يتعلق بقضايا الفرد والانسان وسلوكه الضار تجاه المجتمع هى من نتاج التشوه والقصور فى هياكل البنية الاساسية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . واشارت تلك الدراسات الى " الجريمة " كمثل على القضايا الاجتماعية المرتبطة بسلوك الانسان غير السوى ، واوضحت انها من نتائج القصور الهيكلى والوظيفى فى المجتمع .

واسندت دراسات اجتماعية اخرى قضايا الابداع والادراك والفهم والاستيعاب الى الاسباب ذاتها ، وهى القصور الهيكلى فى البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والسياسية .

هذا المنطلق النظرى يفرض علينا تحصيل بعض النقاط الارتباطية ، من اهمها العامل الاجتماعى، فيلعب العامل الاجتماعى دورا كبيرا فى تفاقم قضايا الاعلام والبيئة كما اشرنا ، وتتداخل عناصر تلك القضايا بطريقة يصعب على الباحث تحديد المسببات بدقة ، ما لم يسبق البحث جهد علمى جاد تتفاعل فيع المعرفة العلمية النظرية وموضوع البحث فى علاقة جدلية متعمقة يمكن عن طريقها التوصل الى نتائج دقيقة .

فتحديد مفهوم الوعى الاجتماعى من خلال حصر عناصره ومحدداته ومظاهره السيكولوجية الاجتماعية والاقتصادية هو فى واقع الامر تحديد القضية المحورية لازمة الاعلام والبيئة ، اى تحديد علاقة الفرد بعناصر النظام البيئى .

ولما كان المجتمع يتكون اساسا من طبقات وفئات اجتماعية تعلن عن نفسها من خلال مجموعة من السلوك الاجتماعى والثقافى داخل المدن والاحياء المختلفة ، فأن هذا السلوك الاجتماعى لا يمكن ان يتحقق ويعلن عن نفسه فى غياب قدر من هذا الوعى الاجتماعى . وعلى هذا يمكن القول ان الوعى بالاشياء والطبيعة يمكن تحديده من خلال مجموعة من الممارسات والسلوك فى مواجهة عناصر النظام البيئى المختلفة .

ولا يمكن التسليم او القول بأن هناك افرادا بعينهم يصدر عنهم سلوك سوى ، واخرين يصدر عنهم سلوك غير سوى ، ولكن الاصح هو القول ان هناك مقومات بعينها اجتماعية واقتصادية وثقافية وتربوية تدفع بالافراد الى اصدار هذا السلوك او ذاك ، وفقا لما هيأه المجتمع للفرد من مقومات وادوات تسهل له عمل هذا السلوك اكثر من غيره .

ولسهولة التحليل يمكن تصنيف السلوك الانسانى فى مواجهة النظام البيئى الى نمطين : السلوك الانسانى الذى يعكس قدرا من التحضر والتقدم الفكرى و الاجتماعى والثقافى ، والسلوك الانسانى الاقل تحضرا ، اى يعكس مستوى ضعيفا من التقدم الاجتماعى والثقافى والفكرى .

ويقدم المنهج الاجتماعى وسائل فعالة لحصر عناصر القضايا والمسببات المرتبطة بالوعى الاجتماعى ومظاهره المختلفة فى المدن الكبرى ، وذلك يتتبع الانماط من السلوكيات فى المجتمع ومظاهره المختلفة فى الاحياء القديمة منها والحديث (القاهرة كمدينة عربية-عريقة نموذج لذلك) اى فى تلك الاحياء التى تعانى تهالكا واضحا فى مرافقها وهياكل بنيتها الاساسية الاقتصادية منها والثقافية والتربوية والتعليمية .

ان غياب تلك المقومات هو الذى دفع الافراد الى التعامل بصورة مشوهة مع تلك المقومات المتهالكة حيث يساء الى النظام البيئى ويتنازل الانسان بالتالى عن الكثير من العادات والمبادئ الصحية والاجتماعية السوية . بل ويصبح هذا السلوك الضار نمطا يوميا يعتاد عليه المرء فى تسيير حياته اليومية ، وبالتالى يفقد الفرد القدرة على التمييز بين النافع والضار لتنمية قدراته الصحية والنفسية والبدنية . فقد لا يعنى عادم السيارات المتهالكة وعربات النقل العام والدراجات البخارية المتهالكة والمنتشرة فى العاصمة شيئا يذكر بالنسبة لقاطنى هذه الاحياء القديمة ، ذات الكثافة السكانية العالية ، حيث الطرقات الضيقة والمظلمة بمنازلها ومرافقها وهياكل بنيتها المتهالكة ، والضوضاء المنتشرة نتيجة للتكدس السكانى . كل ذلك لا يساعد الانسان على تنمية قدراته ومقومات وعيه .

وفى هذا الصدد يمكن القول ان الوعى الاجتماعى يكتسب ويتغير بتغير مقومات عناصر العيشة وحياة الانسان . وقد يكون للتربية والتعليم تأثير ايجابى على الوعى والسلوك ، ولكن هذا العامل لا يصبح من العناصر المؤثرة دون مساندة المقومات الاجتماعية والاقتصادية الهيكلية الاخرى .

ثانيا – الازمة السكانية مظاهرها ومسبباتها وانعكاستها علـــي الوعـــي والثقافـــة والاعلام

تشكل تلك الظاهرة اهم النتائج والمسببات للازمة السكانية فى المجتمـــع العربي بصفة عامة ومصر بصفة خاصة . وهى من اهـــم الاســباب والاثـــار والعوائق فى حركة التطور والرقى الاجتماعى ، وفى تكوين الوعى المتحضـــر والايجابى اللازم للسلوك السوى. والتحضر هو تحضر من ناحية الكم البشـــرى الهائل الذى يعيش فى مدينة واحدة يزحف اليها الافراد امليـــن العمـــل والحيـــاة الافضل .وهو نزوح بشرى من الريف الى العواصم والمنـــاطق التـــى تعـــانى التكدس والتصدع فى هياكل بنيتها الاساسية ؛ وقبل تحليل هذا العامل يجدر بنـــا الاشارة الى خصائص السكان فى مصر بصفة عامة لاهميته فى التحليل والتفسير للعديد من النقاط ؛

- خصائص السكان فى مصر ؛

– يتميز الهيكل العمرى للسكان فى مصر بارتفاع نسب الشباب اى الفئة العمرية اقل من ١٥ سنه (١٠٪ من عدد السكان)، واهم ما يترتب علـــى هـــذه الخصيصة. ان معدلات المواليد والنمو السكانى تظل عند مستوى مرتفـــع لمـــدة طويلة حتى بعد ان تبدأ معدلات الخصوبة فى الانخفاض وهو مايطلق عليه قـــوة الدفع الذاتى للسكان.[٤٨]

– انخفاض المستوى التعليمى للسكان فلا زالت الامية متفشية فى اعداد كبيرة من السكان تصل الى نحو النصف تقريبا ٤٩،٤٪. كمـــا وصلـــت نســـبة الاستيعاب الى ٨٤٪ فى مرحلة التعليم الاساسى والى ٨٥٪ فقط فـــى المرحلـــة الثانوية عام ١٩٨٧/٨٦م.

– تبين من دراسة الاوضاع الصحية للسكان فى مصـــر ان الاوضـــاع الصحية متدنية وذلك لعدم حصول الكثير منهم على الرعاية الصحية الواجبة.

---

[٤٨] – منى البرادعى. الاقتصاد المصرى وتحدى التنمية فى التسعينات. مركز البحوث والدراسات السياسية. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – المؤتمر السنوى الثالث للبحوث السياسية – جامعة القاهرة. ١٩٩١. ص ٨٢.

– كما تبين من ذات الدراسة ان السكان فى مصريعانون من تردى الاوضاع السكنية سواء فى الحضر او فى الريف. بالاضافة الى فجوة سكنية كبيرة متزايدة.

– وايضا ارتفاع نسبة البطالة السافرة والمقنعة بين السكان خاصة فى السنوات الاخيرة. فقد ابرزت التعدادات تفاقم البطالة من ٢،٢ عام ٦٠ الى ٧،٧٪ عام ١٩٧٦م. والى ١٤،٧ عام ١٩٨٦.
وكان اكثر المتضررين من البطالة الاناث فى الريف. اذ بلغت البطالة بينهن ٥٠،٤٪ عام ١٩٨٦. [٤٩]
ويشيرجدول (١) الى مناطق الايواء فى مدينة القاهرة :–

جدول (١)

م	المنطقة	عدد الوحدات	م	المنطقة	عدد الوحدات
١	الدويقة	٣٧١٠	٢	الزوايية الحمراء	١١٢٠
٣	عين شمس	٧٨٠	٤	زينهم	٦٧٥
٥	الشرابيه	٦٧١	٦	حلوان	٦٥٦
٧	المطريه	٤٢٠	٨	عين الصيرة	٣٨٠
٩	وسط القاهرة	١٥٦	١٠	شبرا	١١٢
١١	رملة بولاق	١٠٠	١٢	مدينة نصر	١٠٠
١٣	الاباجية	٥٥			

جدول(٢)

م	نوع السكان	النسبة
١	بيوت ريفية	٪٤٥،٦٩
٢	شقق	٪٣٤،٨١
٣	اكثر من شقة	٪١،٦٨
٤	اسكان مشترك	٪١٠،٨١
٥	فى غرفة مستقلة	٪٥،٦٥
٦	العشش والخيام	٪٠،٤٥
٧	الفيلات	٪٠،٤٢
٨	انماط سكنية متدنية	٪٠،٣٩

[٤٩] – المرجع السابق. ص ٨٣

ويشير الجدول الى ان النسبة الاكبر من سكان مصر تعيش فى بيوت ريفية بنسبة ٤٥,٦٩٪ . اما سكان الشقق فتصل نسبتهم الى ٣٤,٨١٪ وذلك بخلاف ١,٦٨٪ لديهم اكثر من شقة . ويقيم ١٠,٨١٪ من السكان فى غرفة واحدة فـــى اســكان مشترك . و ٥,٦٥٪ من السكان فى غرفة مستقلة و يقيم ٤٥, ٪ فــــى العشــش والخيام و ٤٢, ٪ فى فيلات و ٣٩٪ فى انماط متدنية بخلاف العشش .

كما كشف البحث عن ان ٦٨،٤٠٪ من سكان هذه المناطق يشعرون بالرضا عن الاقامة فى منطقتهم السكنية مقابل ٣١،٦٠ يشـــعرون بعـــدم الرضـــا. والنســبه الاخيره تتناسب مع ادارك حجم المشكلات والمخاطر التى اقرها السكان والتـــى تشير الى ادراك منخفض بعيد عن الواقع الى درجة كبيرة. وهو ما يمكن تفسيره فى اطار انخفاض مسوى تعلم هؤلاء الافراد بدرجة واضحة حيث تمثل مستوى الامية ٦٨٪ من حجم العينة وهو متغير مهم يساعد على عدم الشـــعور بوطـــاة المشكلات والاخطار البيئية المحيطة. [٥٠]

وهناك العديد من الدراسات التى تقدم صورة واضحة عـــن خصـــائص السكان فى مصر وتؤكد على قضية اخرى وهى قضايا ترتبط بارتفاع قوة دفـــع ذاتى لدى السكان اى ان الهيكل العمرى للسكان فى مصر يتميز بارتفاع نســب الشباب الاقل من ١٥ سنه – ٤٠٪ من عدد السكان – بينما تظل معدلات المواليد والنمو السكانى عند مستوى مرتفع لمدة طويلة حتـــى بعـــد ان تبـــدأ معـــدلات الخصوبة فى الانخفاض. [٥١]

ولقد اكدت ذات الدراسة على انخفاض مســـتوى التعليـــم، والاوضـــاع الصحية للسكان فى مصر وعدم حصول الكثير منهم علـــى الرعايـــة الصحيـــة الفعالة.

كما اشارت الدراسة الى ترد الاوضاع السكنية سواء فى الحضر او فى الريف بالاضافة الى فجوة سكنية كبيرة متزايدة. الى ارتفـــاع مســـتوى البطالـــة السافره والمقنعة بين السكان فى السنوات الاخيرة. فقد ارتفع عدد المتعطلين من

---

[٥٠] – ممدوح الولى – سكان العشش والعشوائيات، القاهرة، مطابع روزاليوسف نقابة المهندسين ١٩٩٢.

[٥١] منى البرادعى، الاقتصاد المصرى وتحدى التنمية فى التسعينات، المؤتمر السنوى الثالث للبحوث السياسية – جامعة القاهرة. ١٩٩١ ص ٨٢.

حوالى ١٧٥ الف عام ١٩٦٠ الى اكثر من مليونين فى عام ١٩٨٦م. اى بنسبة من ٢،٢ عام ٦٠ الى ١٤،٧ عام ١٩٨٦. [٥٢]

[٥٣]ومن خلال تعداد ١٩٨٦ يمكن تحديد سكان العشـــوائيات والعشــش وانمـــاط الاسكان المتدنى الاخرى، كما يوضحه الجدول التالى:- [٥٤]

جدول (٣)

م	نوع السكن	عدد السكان
١	سكان العشش	٢٢٤٦٠٠
٢	اسكان متدنى	١٤٧٠٠٠
٣	سكان القبور	١٣٠٠٠
٤	انماط اخرى متدنية	٩٠٠٠

وتؤكد نتائج الدراسات الاجتماعيية السابقة بوجه عام ان هناك قصـــورا واضحا فى ادراك السكان العديد من المشكلات الاجتماعية التى يعانون منها مثل انخفاض مستوى التعليم وارتفاع نسبة الامية والبطالة وانخفاض مستوى المعيشة . ويعنى ذلك اهتمام السكان قد تركز على مشكلات نوعية جزئية ترتبط بظروف حياتهم اليومية اكثر من ارتباطها بواقعهم ومستقبلهم . كما تؤكد ذات الدراســات ان هناك قصورا واضحا فى ادراك السكان المخاطر البيئية التى يتعرضون لهـــا وخاصة بعض المخاطر الحيوية مثل التلوث بمظاهره المتعددة .

ويمكن القول بأن هناك تفاوتا واضحا يعكس قصور ادراك الســكان للمشــكلات والمخاطر البيئية التى يتعرضون لها والواقع الفعلى لهذه المشكلات والمخاطر ، وتتجلى مظاهر هذا القصور فى الاتى :-

- ان النسب المئوية للاشخاص الذين اقروا بوجود المخاطر البيئيـــة الســـابقة لا تتناسب مع واقعها الفعلى كما تم رصده . فقد تم رصد مؤشرات للضوضاء مـــن خلال الدراسة البيئية تفوق بكثير المسموح بها .

---

[٥٢] - المرجع نفسه.

[٥٣] - المرجع نفسه.

[٥٤] - ممدوح الولى - المرجع السابق ص ٢٦.

ويمكن الاشارة الى ان نتائج البحث الذى قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الى ان هناك بعض الاخطار لم ترد على الاطلاق لدى افراد عينة البحث من الشباب وارباب الاسر مثل : التلوث بمظاهره المتعددة ، وخاصة تلوث الهواء فقد تبين وجود نسب مرتفعة لبعض المكونات عن الحد المسموح به مثل المكونات العالقة والاتربة المتساقطة وغاز ثانى اكسيد الكبريت والدخان واول اكسيد الكربون وهذه المكونات لها اضرار خطيرة على حياة الانسان وصحته .

- ان النسب المرتفعة التى اقرت بنظافة مياه الشرب لا تتناسب مع عدم وجود مصدر مائى فى العديد من المنازل وعدم تخزين المياه طبقا للشروط الصحية .
- ان الازدحام الذى يرتبط بطبيعة السكن وضيق الشوراع لم يدرك بصورة واضحة كأكثر المخاطر البيئية دلالة فى هذه المنطقة

ولعل اهم النتائج المباشرة لتلك الظاهرة غير المنظمة فى الداخل، الشعور بالاغتراب والذى يولد شعورا مماثلا بعدم الالتزام واللا مبالاه بانماط الحياة الحضرية ويكون من اهم نتائجه تمسك هؤلاء بالنمط البدائى للسلوك الاجتماعى، فيؤدى ذلك الى ظاهرة ترييف المدينة. [٥٥]

فالنازحون من الريف هم دائما من افراد المزارعين العاطلين، فعندما يقترن الجهل والركود والبطالة والفقر وعدم الامان فنتوقع العديد من السلبيات الاجتماعية. والشعور بالاغتراب هو من اهم العوائق لتطور الثقافة الحضرية الحقة وتكبح نمو مكثف للحضرية كنمط معيشى ولاشك ان التحضر السافر من الريف الى المدن وما ينتج عنه من سلبيات اجتماعية ونفسية وصحية وثقافية .. يؤخر عملية التطور والتحديث اللازمين لتنمية قدرات الانسان ووعيه البيئى وفاعلية عملية الاعلام والثقافة.

ولسنا هنا فى مجال نقد نمو المدينة وتطويرها بقدر ما ننتقد اساس النمو العشوائى غير السليم واللاعقلانى وغير المنظم والضغوط المستمرة على مرافق وهياكل البنية الارتكازية وتصورها، فاروع الانجازات فى الامبراطورية الاسلامية تزامنت مع النمو المدهش للقاهرة "ودمشق" وبغداد كمراكز رفيعه

---

[٥٥] - سمير خلف، مصر المظاهر البارزة فى التحضر فى العالم العربى - الفكر العربى - العدد ٤٣، ص ١٤٤ - ص ١٥٣.

المستوى .. فالتطور والتوسع العشوائى السكانى والعمرانى من الخدمات الاساسية اللازمة لتحقيق مستوى لائق للحياة الانسانية. [٥٦]

ونظرا لتداخل مسببات وعوائق الهجرة الى الداخل والتشوه العمرانى والمعمارى وعواقبها السلبية على الوعى والثقافة والاعلام.

نقوم بحصر اهم المسببات والقضايا التى فجرت هذا القصور الهيكلى والبنيوى.

ثالثا- التحضر والهجرة: الاسباب والعواقب:

وهناك دائما اطار مرجعى للسلوك غير السوى كترجمة لعدم توافر الوعى الاجتماعى وقصور العملية الثقافية والاعلامية لتنمية هذا الوعى وتطويره، وذلك للعديد من الاسباب، ولعل اهمها وكما ذكررنا عدم تكامل وتوافر المقومات الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع والتى هيأت لهذا السلوك الضار الانتشار والاستمرار بصورة تهدد كيان المجتمع بذاته ثقافته.

ويمكن ارجاع اسباب هذه الظاهرة (ظاهرة التحضر) الى عوامل سياسية واقتصادية - اجتماعية.

الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية للهجرة:-

لعل الاثار والحروب داخل المنطقة العربية ومصر لها اثارها المتعددة على قضايا السكان والازمة الاقتصادية والاجتماعية، فلقد ادت الحروب المتعددة الى تشريد اعداد هائلة من الوطن العربى فى حرب فلسطين سنه ١٩٤٨ مع اسرائيل، وتكررت ذات العملية، وادت الى تشريد سنه فى ١٩٥٦ فى منطقة القناة وحرب ١٩٦٧. وادى هذا الى تعرض النازحين من مناطق القتال الى المدن للتحضير الاجبارى نظرا لانتماءاتهم لطبقة المزارعين، واستقرارهم فى المناطق الحضرية وضواحيها.[٥٧]

---

[٥٦] - سمير خلف، المرجع السابق.

- انظر ايضا سعد الدين ابراهيم - النظام الاجتماعى العربى الجديد، دراسة عن الاثار الاجتماعية للثورة النفطية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٢ ص ١٦٢ - ص ١٨٧.

[٥٧] - (١)،(٢) - نادر فرجانى، مرجع سابق.

ولعدم القدرة على صياغة مشروع قومى للتنمية الاجتماعية – الاقتصادية تفاقمت القضايا السياسية – الاقتصادية : فمن ثنايا حركات التحرر الوطنية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من الاستعمار، فالنضال لدعم الاستقلال، فالانكسار والفشل للحركات النضالية القومية واجهاضها فى خلال مراحل نموها البطئ، الى التبعية السياسية – الاقتصادية؛ ثم الى التبعية الثقافية – الفكرية.

ونتج عن تلك الازمات السياسية ازمات متعددة ومعقدة؛ اجتماعية سكانية؛ اذ دعم الضغط السكانى عل القاهرة، الى تغيرات اجتماعية بعيدة المدى، اهمها الاختلال فى العنصر السكانى والعمرانى فى المناطق والاحياء السكنية القديمة منها والحديثة بداخل العاصمة: فاصبحت احياء باب الشعرية مثلا من المناطق الاكثر تكدسا وكثافة فى تعداد السكان، ووصلت نسبة هذه الكثافة الى مداها حيث ترتفع الى مليون نسمة للكيلو متر المربع، وادت هذه الظاهرة فى الاحياء وضواحيها الى تداعى مساكنها وتهالك بنيتها الاساسية والخدمات الصحية والتعليمية؛ والامثلة متعددة لتلك المناطق والاحياء كبولاق الدمرور وامبابة. وادت هذه الضغوط السكانية الى تداعى مساكنها وتهالكها؛ فاكثر من ٤٥٪ خمسة واربعين بالمائة من المساكن فى القاهرة غير صالحة للمعيشة. [٥٨]

ولظاهرة الهجرة الى الخارج عواقب ضارة بالمجتمع لا تقل عن العواقب التى اوجدتها ظاهرة التحضر وما افرزته من تصدعات واضحة فى البنى الاقتصادية والاجتماعية.

وكان من اهم النتائج المباشرة للهجرة الى الخارج وخاصة الى الدول النفطية تصدعات هائلة فى انظمة التعليم والعمالة الماهرة. اذ ادى التضخم الى اشكاليات سلوكية واضحة تمثلت فى المغالاة فى استهلاك السلع الكمالية والتمادى فى اقتنائها لاشباع حاجيات سطحية وكان لهذه الظاهرة صدى فى قطاعات متعددة فى المجتمع وخاصة القطاع الزراعى؛ الذى اضاف الى القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بعدا جديدا لازمة تنظيمية وهيكلية. فلقد اضاف

---

[٥٨] – د. محمد محمود الجوهرى، الانثروبولوجيا، مرجع سابق.
– ايضا انظر منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.
– ايضا ممدوح الولى، سكان العشش، مرجع سابق.

تخَلف القطاع الزراعى، لاسباب تنظيمية خاصة بالحركة التعاونية وتحولها الى قنوات استهلاكية.

وبانتشار تلك العادات ارتفعت تكلفة الانتاج قياسا الى الاسعار المحددة للمحاصيل الاساسية. وساهم كل هذا فى تزايد معدلات الهجرة غير المنظمة وتقلص العمالة الزراعية ونزوحها الى المدن هربا من التضخم والبطالة. [٥٩]

واذا كان لظاهرة الهجرة الى الدول النفطية سعيا لتحسين الوضع الاقتصادى، عائد مادى كبير على المستوى الفردى الا ان عواقبها السلبية وخاصة على الاسرة والمجتمع ككل عظيمة. فلقد تسبب هذا الوضع الى اختناقات فى سوق العمل نتيجة لهجرة الكوادر والعمالة الماهرة وغير الماهرة فى بعض الاحسيان وادى ذلك كله الى انخفاض الطاقة الانتاجية فى المجتمع.

وافرزت هذه القضايا المتعددة قيما اجتماعية غريبة واحيلت كل علاقة انسانية او ثقافية او فنية او اجتماعية الى علاقة تجارية، فبدأت الروح التجارية تحتل المرتبة الاولى فى المجتمع. واتبعت زوح الاتقان، الذى اصبح خروجا عن القاعدة، وازداد الاحساس بالاحباط والشعور بالاغتراب وازدادات الامبالاة. واصبحت الروح الاعزالية هى السائدة. فانعزلت تلك الاحياء المشوهة داخل القاهرة وضواحيها بعاداتها وتقاليدها وسلوكها الخاص وابتعدت عن الحدود اللامعة للمدينة الحديثة.

كل ذلك ادى الى سوء حالة وارهاق المرافق فى المدينة خاصة عندما يقترن ذلك باقتصاد قومى ضعيف البنية، وقطاع عام ناقص الدعم، وعاجز عن تقديم مهمة الخدمات الكسانية لهؤلاء النازحين، وبناء المساكن الموائمة لهم فى اطراف المدن وضواحيها.

ويمكن رصد العديد من الاشكاليات المرتبطة بهذا العامل، ونشير الى مصر من حيث مظاهرها والتى تعبر عنها بعض الدراسات الانتربولوجية الحضرية؛ فيكفى الاشارة الى ان "اربعين فى المائة ٤٠٪ من اسر حارة السكرية تعيش فى مساكن من حجرة واحدة ويصل عدد المساكن التى تشترك ومساكن اخرى فى مرحاض واحد الى اكثر من النصف. وتبلغ نسبة المساكن التى لا

---

[٥٩] – نادر فرجانى، الهجرة داخل الوطن العربى، مرجع سابق.

– انظر ايضا، سعد الدين ابراهيم، النظام الاجتماعى العربى، مرجع سابق.

يوجد بها مياة جارية حوالى واحد وستين بالمائة تقريبا. وذلك لان شبكة المياه لا تمتد الى معظم الوحدات الكسنية. ويعتمد سكان هذه المساكن التى لا تصلها المياه على شراء المياه بالصفيحة من المساكن الاخرى التى توجد بداخلها توصيلات مياة جارية. ولقد ابتكر بعض السكان اساليب لتوصيل خراطيم المياه بين لادوار عبر النوافذ، وذلك لتقليل الجهد المبذول فى حمل الصفائح المليئة بالمياه. وحوالى ٥١٪ واحد وخمسين بالمائة من الوحدات السكنية لا توجد بها كهرباء وتعتمد اصلا على لمبات الكيروسين" والامثلة عديدة فى القاهرة. والعواصم العربية الاخرى فهى امثلة عامة فى الوطن العربى، وخاصة فى الدول الحضرية القديمة كدمشق والرباط. وتونس: كل ذلك يؤكد على ان قضايا البيئة هى قضايا القصور فى هياكل البنية الاساسية الناتجة عن قضايا اقتصادية اجتماعية تكاملية وتجزم على ان نمط الحياة الاجتماعية ومظاهرة السلوكية المتعددة يتشكل وفقا لمقومات الحى او المنطقة السكنية فالسلوك يكتسب وفقا لتلك المؤثرات الخارجية والمقومات الهيكلية.

فالسلوك المكتسب يمكنه ان يتاصل فى الانسان ويصبح جزءا من وعيه.

رابعا - " الحى " كوحدة للقياس والتحليل للوعي الاجتماعي

ولا يمكن تقديم تحليل للعلاقة بين الوعى الاجتماعى وبين التصور الوظيفى لهياكل البنية الاساسية دون وحدة للقياس والملاحظة . ونظرا للتداخل بين المظاهر والمقومات والخصائص وتعقدها ، وعدم القدرة على تعميم السلوك الاجتماعى للمواطن العربي فى المجتمع ، للعديد من الاسباب المرتبطة بعدم التوازن الطبقى القائم وللتفاوت الهائل بين طبقة تمتلك كل شئ واخرى تكاد تؤمن عيشها ، وطبقة متوسطة اختل توازنها الاقتصادى والقيمى ، فمن الصعب التعميم فى مظاهر السلوك الاجتماعى الذى يفرزه الوهى .

ولما كان السلوك الاجتماعى نحو النظام البيئى يتبع مجموعة من المقومات والشروط الذاتية والموضوعية والتى تعلن عن نفسها من خلال مقومات الحى او الوحدة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية داخل المدن الكبيرة ، والتى لا تحدد وتحكم مجموعة من الافراد فحسب وانما ايضا تمثل محددات ادراك الفرد وقدراته ومكونات سلوكه ، فيمكن القول ان الحى ومقوماته تدخل

كمقومة من المقومات الرئيسية لبناء الشخصية والوعى والادراك الانسانى وعنصر من العناصر الرئيسية لتشكيل الوعى الاجتماعى .

ويمكن القول ان الحى هو وحدة للتحليل والقياس الهامة لتحديد مظاهر السلوك الاجتماعى . فهو الواجهة الخارجية للسلوك الاجتماعى والثقافى لمجموعة من الافراد الذين ينتمون اليه . وبالرغم من ان هناك عناصر اجتماعية اخرى تحدد عناصر الشخصية الانسانية ، من اهمها انتماءاته السياسية والمهنية والاجتماعية والتعليمية وظروف البنية التربوية ، الا ان اهمية حصر عناصر ومقومات " الحى " تلعب الى حد بعيد دورا هاما فى القياس والحصر والملاحظة العلمية لمجموعة من السلوك التى تعكسها الظواهى المعاكسة للوعى الاجتماعى والبيئى

وتقدم الدراسات الانثروبولوجية الحضرية العربية امثلة متعددة للمظاهر الوصفية لاثار القصور الهيكلى للبنى الاساسية على الوعى البيئى .

وكما سبق ان اشرنا هناك ارتباط وثيق بين السلوك الاجتماعى للافراد وبين المقومات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية " للحى " او للمنطقة السكنية ، حيث تمثل المنطقة او الحى مقياسا للسلوك الانسانى

فطالما ظلت مواصفات الحى بركائزها وهياكل بنيتها الاساسية دون تغير ، فسيظل السلوك مستمرا ، وقد يتوارثه الافراد جيلا بعد جيل ، ما لم يحدث تغير فى تلك المواصفات من مرافق عامة وخدمات صحية وتعليمية وتربوية .

وهناك عادات وتقاليد الفها سكان الاحياء القديمة خاصة فى القاهرة مثل " الحسين " و " الازهر " و " الدرب الاحمر " حيث يرتكز جزء من سلوكهم اليومى على التحايل على بعض القصور الهيكلى والوظيفى للبنى والمرافق الاساسية . والامثلة عديدة ومتعددة الالوان والمشاهد ، وكلها تؤكد على ما يعانيه الانسان فى تلك المناطق والاحياء الخالية من المرافق والهياكل الاساسية المتكاملة ، وينتج عنه العديد من القضايا والاشكاليات البيئية والسكانية والحضارية والاجتماعية . ولعل اهم القضايا فى هذا الصدد هى الاعتياد على نمط الحياة السائد ، الذى يصبح جزءا من وعى الافراد ونمطا للحياة السائدة .

وفى مجالات الاعلام تعيد تلك البيئة الدراسات الانثروبولوجية القائمة على المنهج العلمى فى مجالات الاعداد وانتاج البرامج الخاصة بالسكان وقضايا البيئة بصفة خاصة ، حيث تحليل ووصف الظواهر وتفسير حركة التناقض

والتغير فى النسيج الاجتماعى والثقافى ودراسة التوازنات الاجتماعية التى تحدثها عملية التغير فى موازين القوى بين الطبقات والفئات الاجتماعية . وكلها دراسات لا تغير البحث العلمى الموضوعى فحسب بل تضيف بعدا اجتماعيا هاما لدراسة عملية الاتصال الجماهيرى بوسائله المتعددة فهى تحلل السلبيات الاجتماعية التى يمكنها عرقلة الادوار الوظيفية للاعلام ، التنمويه منها والثقافيــة ، اى تحصــر السلبيات الاجتماعية التى تعوق وتعرقل تلك العلاقة الجدلية التى يمكن ان تقــوم بين المتلقى والمضمون ووسائل الاعلام والثقافة المتعددة ، هذا الى جانب افــادة البحث العلمى فى مجالات الاعلام والاتصال من نتائج تلك الدراسات الاجتماعية التى تحدد الصفات العامة للبيئــة الاجتماعيــة ومواقــف وانطباعــات وميــول واتجاهات الافراد والجماعات لوضع الفروض العلمية للبحوث الميدانية .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، تقدم الدراسات الاجتماعية وتطبق مبدأ التحليل النظامى على الجماعات المختلفة ، لحصر كيفية تعامل الفرد مع وســائل الاعلام و الاتصال الجماهيرى . فجانب كبير من دينامية النشاط الانسانى الفردى يرتبط بدينامية المجموعة او الجماعة التى ينتمى اليها الفرد . ولا يعنى ذلــك ان ننظر الى تلك الجماعات " الميكرو " على انها تنفصل عن المجتمع ككل ، ولكن هناك مقومات اجتماعية وثقافية و اقتصادية تخضع لها ، اى انها تخضع لظروف خاصة تفرض نوعا خاصا من السلوك.

ولا يمكن حصر القضايا السكانية المتعددة بجميع جوانبها وانعكاســاتها السلبية على البئية والصحة العامة النفسية منها والبيئية ، (وهــى ذاتهــا مــن العوامل التى تحد من فاعلية الاعلام والاتصال ، اى تحد من الــدور الوظيفــى الفعال لعملية الاعلام بوسائله المختلفــة) دون الاحاطــة بــالقوى والمســببات المحركة لها ، وهى لا تنفصل عــن مســببات وقضايــا التخلــف الاجتمــاعى والحضارى والاقتصادى والثقافى .   ولن نرصد هنا مسببات ازمة التخلف ، فهى كثيرة ومتعددة المصادر والبحوث . وانما نتعرض للاشــكاليات المرتبطــة بالقضايا السكانية ، فنحاول انطلاقا من مقولة الربط بيــن القضايــا الســكانية ، وقضايا الاعلام والبيئة التأكيد على ان القضايا السكانية فى الوطن العربي هــى قضايا تكاملية ، وحصر اهم المسببات المحوريــة التــى فجــرت العديــد مــن الاشكاليات القيمية والحضارية المؤثرة تأثيرا مباشرا على الوعــى الاجتمــاعى وعملية الاعلام الجماهيرى.

خامسا: الدراسة التحليلية الميدانية:

وانطلاقا من تلك المداخل النظرية المتعددة يمكن الخوض فى الدراسة التحليلية الميدانية، والتى ستشير الى النتائج وتؤكد علـى تلـكَ العلاقـات بيـن مجموعتين للعلاقات الاتباطية:

١- تهالك مقومات المجتمع من هياكل البنية الاساسية وتفاقم قضايا البيئة.
٢- درجة التناول الاعلامى ودرجة الوعى بقضايا البيئة.

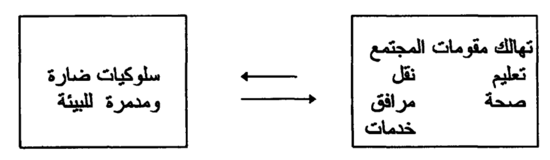
١- الاجراءات المنهجية للدراسة:

ان تهالك المقومات الاساسية للمجتمع يدفع افـراد المجتمـع الـى القيـام بسلوكيات ضارة ومدمرة للبيئة.

ويؤكد هذا الغرض على ان قضايا البيئة هى قضايا اجتماعية بالدرجة الاولـى. ويمكن تحديد متغيرات هذا الغرض على النحو التالى.

أ- تهالك المقومات الاساسية للمجتمع من تعليم وصحة واسكان ونقـل ومرافـق وخدمات.
ب- سلوكيات افراد المجتمع تجاه بينتهم بعناصرها الاجتماعية والطبيعية.
ويمكن توضيح العلاقة بين هذه المتغيرات بالشكل التالى:

شكل رقم (١)



وتوضح الاسهم فى الشكل على ان هناك علاقة ارتباطية بين المتغيرين حيث ان تهالك مقومات المجتمع الاساسية يدفع افراده الى القيام بسلوكيات ضارة

ومدمرة للبيئة الاجتماعية والطبيعية. كما ان سلوكيات افراج المجتمـــع الضـــارة والمدمرة للبيئة تؤدى الى مزيد من التهالك فى مقومات المجتمع الاساسية.

الفرض الثاني:

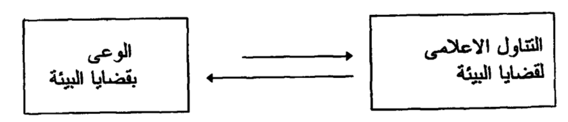
"ان التناول الاعلامى القاصر يؤدى الى غياب الوعى لدى الجماهير بهذه القضايا".

ويؤكد هذا الفرض على الدور الذىتلعبه اجهزة الاعلام فى المجتمع فى تنمية او غياب الوعى لدى الجماهير بقضايا البيئة ويمكن تحديد متغـــيرات هـــدا الغرض على النحو التالى:

أ- التناول الاعلامى لقضايا البيئة. ويشمل الاخبار والموضوعـــات والحمـــلات الاعلامية فى اجهزة الاعلام الجماهيرية من صحافة واذاعة وتليفزيون ونشرات ودوريات.

ب- وعى الجمهور بقضايا البيئة. ويشمل ادراك الجمهور لهذه القضايا وشعوره باهميتها واستعداده للعمل فى سبيل التغلب على هذه المشكلات وحل تلك القضايا.

شكل رقم (٢)



وتوضح اتجاهات الاسهم فى الشكل على ان العلاقة متبادلة بين التنـــاول الاعلامى لقضايا البيئة والوعى العام بها. كما ان الوعى العـــام بهـــذه القضايـــا وخصوصا لدى العاملين باجهزة الاعلام يؤدى الى تناول اعلامـــى جيـــد لهـــذه القضايا.

٢- الدراسة الميدانية:

لاختبار مدى صحة الفروض السابقة كان لابد مـــن قيـــاس العلاقـــات الارتباطية بين متغيرات هذه الفروض من خلال بحث ميدانى يحتكم ألى الواقـــع الاجتماعى ويكشف ابعاد هذه القضية. لذلك قمنا باعداد دراســـة ميدانيـــة وفـــق الاجراءاتالمنهجية التالية:

أ- تحديد مجتمع الدراسة:
- تم اختيار طلبة الجامعات فى مصر ليمثلو مجتمع هذه الدراسة، وذلك لان المتغيرات التى تحاول الدراسة جمع بيانات ومعلومات حولها تتمثل فى طلبة الجامعة خير تمثيل.

- وجاء اختيار طلبة الجامعة لسبب اخر هو محاولة قياس العلاقة الارتباطية فى الفرض الاول بين سكان المناطق الراقية التى تعيش فى ظل مقومات اجتماعية وهياكل بنية اساية ارقى وافضل حالا من المناطق الشعبية الى حد ما ومدى تاثير ذلك على نوعية سلوكهم تجاه البيئة.

ولذلك تم اختيار عينة الدراسة من مجموعتين هما:

(١) المجموعة الاولي: عينة طبقية عشوائية تمثل طلبة جامعة القاهرة.
(٢) المجموعة الثانية: عينة طبقية عشوائية تمثل طلبة الجامعة الامريكية بالقاهرة.

ب- اعداد صحيفة الاستبيان:
تم اعداد صحيفة الاستبيان وفق الاجراءات المنهجية التالية:

(١) تقسيم الصحيفة:
تم تقسيم الصحيفة الى اربعة اجزاء اساسية تضم متغيرات فروض الدراسة الاساسية وهى:
- المقومات الاجتماعية وهياكل البنية الاساية للمجتمع.
- سلوكيات الافراد تجاه البيئة.
- التناول الاعلامى لقضايا البيئة.
- وعى الجماهير بقضايا البيئة.

(٢) نوع الاسئلة:
ضمت الصحيفة ٣٧ سؤالا جاءت انواعها كالتالى:
* اسئلة تستهدف التعرف على الحقائق.
* اسئلة تستهدف التعرف على السلوك.

* اسئلة تستهدف التعرف على الاراء.
* اسئلة تستهدف التعرف على الاتجاهات.

- شكل الاسئلة:

* اسئلة مغلقة، وهى ١٨ سؤالا تم تحديد احتمالات الاجابة عليها وهى تسأل عن حقائق او اراء تتركز الاجابة عليها فى نعم او لا.

* اسئلة مفتوحة، وهى ١٩ سؤالا. كان من الصعب تحديد الاجبابات عليها وتم تركها مفتوحة لتعطى المبحوثين الحرية التامة للتعبير عن اراءهم واتجاهاتهم.

٣- نتائج الدراسة:

كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج جاءت على اربعة محاور اساسية هى:
١- نتائج خاصة بمقومات المجتمع الاساسية من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
٢- نتائج خاصة بالوعى بالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية.
٣- نتائج خاصة بسلوكيات المبحوثين تجاه البيئة المحيطة بهم.
٤- نتائج خاصة بتناول وسائل الاعلام لقضايا البيئة.
وسوف نقوم بعرض لهذه النتائج على مرحلتين هما:

اولا: مرحلة النتائج التفصليلية.
ثانيا: مرحلة النتائج العامة. التى يتم فيها - بناء على النتائج التفصلية - التحقق من مدى صحة فروض الدراسة.

اولا: مرحلة النتائج التفصلية:
١- النتائج الخاصة بمقومات المجتمع الاساسية:

(أ)- كشفت الدراسة عن قصور واضح فى احد مقومات الحياة السياسية فى مصر وهو الانتماء للاحزاب السياسية. وقد اكدت اجابات المبحوثين فى عينتى الدراسة هذه الحقيقة وذلك كما يوضحها الجدولين التاليين:

جدول رقم (١)

الانتماء للاحزاب السياسية	النسبه
نعم	-
لا	٩٦٪
لم يجب	٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٢)

الانتماء للاحزاب السياسية	النسبة
نعم	١١٪
لا	٧٩٪
	١٠٠٪

ويوضح جدول رقم (١) ان ٩٦٪ من طـــلاب الجامعـــة الامريكيـــة لا ينتمون لاحزاب سياسية. ولم يقل اى طالب انه ينتمى للاحزاب السياســـية فـــى مصر. بينما يوضح الجدول رقم (٢) ان ١١٪ فقط من طلاب جامعـــة القـــاهرة ينتمون لاحزاب سياسية وان ٧٩٪ بينهم ليست لهم صلة بالاحزاب السياسية.

(ب)- وعند سؤال الطلاب عن سبب عـــدم انتمـــائهم او انتمـــائهم للاحـــزاب السياسية مصر جاءت اجاباتهم على النحو الذى يوضحه الجدولين التاليين:

جدول رقم (٣)

اسباب عدم الانتماء للاحزاب	النسبة
اسباب خاصة بالطلاب	٥٦٪
اسباب خاصة بالاحزاب	١٨٪
لم يجب	٢٦٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٤)

اسباب عدم الانتماء للاحزاب	النسبة
اسباب خاصة بالطلاب	٥٨٪
اسباب خاصة بالاحزاب	٢٣٪
لم يجب	١٩٪
	١٠٠٪

وقد كشفت الدراسة عن اسباب عديدة عن عزوف الطلاب عن الانتمـــاء للاحزاب ومنها اسباب خاصة بالطلاب مثل عدم الاهتمام بالسياسة، وعدم وجود ثقافة سياسية وعدم المعرفة بالاحزاب. الخوف من الاقـــتراب مـــن الاحـــزاب والاهتمام بالدراسة فقط، واسباب اخرى خاصة بالاحزاب نفسها مثل ان الاحزاب لا تعمل لصالح الشعب بل لصالح افراد. والادوار التى تقوم بها الاحزاب ادوار هامشية واغلب الاحزاب ليس لها اهداف واضحة. وان الاحزاب تقـــول مـــا لا تفعل.

ومن خلال الجداول السابقة يتضح احد الفـــروق بيـــن طـــلاب جامعـــة القاهرة والجامعة الامريكية حيث لا ينتمى اى طالب فى الجامعة الامريكية الـــى احزاب، بينما ينتمى ١١٪ من طلاب الجامعة الامريكية لاحزاب سياسية.

(ج)- كشفت الدراسة عن خلل اخر فى مقومات المجتمع الاساسية وهو الخلل الاقتصادى وذلك على النحو الذى توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٥)

المصروف اليومي	النسبة
اقل من عشر جنيهات	٢٤٪
١٠ - ٢٠	٣٦٪
اكثر من ٢٠	١٢٪
لم يجب	١٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٦)

المصروف اليومي	النسبة
اقل من ٢ جنيه	٥٤٪
٣ - ٥	٢١٪
اكثر من ٥	٩٪
لم يجب	١٦٪
	١٠٠٪

والحقيقة التى تكشف عنها ارقام الجدولين السابقين هـــى ان ٥٤٪ مـــن طلاب جامعة القاهرة يحصلون على مصروف يومى اقل مـــن جنيهيـــن بينمـــا يحصل ٢١٪ منهم على مصروف يتراوح بين ثلاثة وخمسة جنيها.

وعند مقارنة هذه الارقام بارقام الجدول رقم (٥) نجد ان طلاب الجامعة الامريكية يحصل ٢٤٪ منهم على مصروف يومى اكثر من عشرين جنيها.

هذه الارقام مجرد مؤشر بسيط على العجز الاقتصادى التام لدى فئة من الاسر والقدرة الكبيرة لدى اسر اخرى وذلك احد مظاهر الضعف الاجتماعى.

(د)- كشفت الدراسة عن مجموعة من ظواهر الضعف الاجتماعى فى الجوانب الاسرية وذلك كما توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٧)

عدد افراد الاسرة	النسبة
اقل من ٣	١٠٪
٤	٤٢٪
٥	٢٦٪
٦	٨٪
٧ فاكثر	٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٨)

عدد افراد الاسرة	النسبة
اقل من ٣	٦٪
٤	١٢٪
٥	١٧٪
٦	٢٥٪
٧ فاكثر	٤٠٪
	١٠٠٪

ويكشف الجدولان السابقان عن ان الاسر التى ينتمى لها ٧٨٪ من طلاب الجامعة الامريكية فى القاهرة يكون عددها اقل من خمسة افراد. بينما ٨٢٪ من الاسر التى ينتمى اليها طلاب جامعة القاهرة يبلغ عددها سبعة افراد فاكثر.

واذا اضفنا هذه الحقيقة الى الحقيقة السابقة يتضح لنا جانب اخـــر مــن جوانب المشكلة السكانية فى مصر وهو ان الاسر الاقل دخلا هى الاكثر عددا.

(هـ)- وتوضح الجداول التالية ملمحا اخر من ملامح المشكلات الاجتماعيـــة فى مصر:

جدول رقم (٩)

هل يعيشون معا	النسبة
نعم	٨٤٪
لا	١٦٪
	١٠٠٪

جدول رقم (١٠)

هل يعيشون معا	النسبه
نعم	٨٧٪
لا	١٣٪
	١٠٠٪

ويوضح الجدولان ان ٨٤٪ من افراد اسر طلاب الجامعـــة الامريكيـة يعيشون معا. واذا كان ذلك عاديا لانخفاض عدد افراد الاسر عموما، فانه يصبح مشكلة عندما نجد ان ٨٧٪ من افراد اسر طلاب جامعة القاهرة يعيشـــون معـــا. لان ذلك يعنى ازدحام البيوت بعدد السكان المرتفع. وخصوصا اذا علمنا ان هذه الاسر تعيش اغلبها فى مناطق شعبية وعشوائية ايضا.

و- كشفت الدراسة عن تصور واضح فى المرافق والخدمات فى المجتمع وذلك كما يوضحه الجداول التالية:

جدول رقم (١١)

وجود مكتبة عامة	النسبة
نعم	٣٢٪
لا	٦٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (١٢)

وجود مكتبة عامة	النسبة
نعم	٢٨٪
لا	٧٢٪
	١٠٠٪

ويؤكد الجدولان انه هناك قصور واضح فى مرفق ثقافى اساسى وهـــو المكتبة العامة. حيث ان ٦٨٪ من طلاب الجامعة الامريكية لا يوجد فى احيائهم السكينة مكتبات عامة.

كما ان ٧٢٪ من طلاب جامعة القاهرة افاد انه لايوجد مكتبات عامة فى الاحياء التى يعيشون فيها.

(ز)- وتكشف الجداول عن عجز القائم من هذه المكتبات عـــن القيـــام بـــاداء عملها وذلك كما يلى:

جدول رقم (١٣)

هل تقرأ فيها	النسبة
دائما	٢٪
احيانا	٤٪
لا	٩٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (١٤)

هل تقرأ فيها	النسبه
دائما	١٪
احيانا	١٤٪
لا	٨٥٪
	١٠٠٪

ويكشف الجدولان عن انه بسؤال الذين اقرو بوجود،مكتبات فى احيائهم هل تقرأون. اجاب ٩٤٪ من طلاب الجامعة الامريكية بـ "لا" وكذلك اجاب ٨٥٪ من طلاب جامعة القاهرة بـ "لا" ايضا.

من جميع المؤشرات السابقة يمكن القول ان المقومات الاساسية للمجتمع المصرى تعانى من الضعف والقصور فى جوانب عديدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

انه لا تتوفر لفئة اجتماعية مجموعة من الميزات الاقتصادية كالدخل المرتفع ومجموعة اخرى من الميزات الاجتماعية والاسرية الا ان ذلك لا ينفى القاعدة بل هو يؤكد عليها. ويأتى هذا التفاوت بين الفئات الاجتماعية كأحد مظاهر الخلل الاجتماعى الذى يقف كمؤشر على تهالك المقومات الاساسية للمجتمع.

ثانيا: النتائج الخاصة بسلوكيات الافراد تجاه البيئة:

كشفت الدراسة الميدانية عن مجموعة من السلوكيات الضارة بالبيئة التى يقدم عليها افراد عينة الدراسة وذلك كما توضحه الجداول التالية:

أ- اوضحت اجابات المبحوثين عند سؤالهم عن مدى قيامهم بتنظيف حجرات نومهم (وهى البيئة الخاصة جدا بالنسبة لهم) جاءت اجاباتهم على النحو الذى يوضحه الجدولان التاليان:

جدول رقم (١٥)

هل تنظف جرة نومك	النسبة
نعم	٥٤٪
احيانا	٣٤٪
لا	١٢٪
	١٠٠٪

جدول رقم (١٦)

هـل تنظـف حجـرة نومك	النسبة
نعم	٦٢٪
احيانا	٢٧٪
لا	١١٪
	١٠٠٪

وتوضح بيانات الجداول (١٥) ان ٣٤٪ مـن طـلاب عينـة الجامعـة الامريكية يقومون احيانا بتنظيف حجرات نومهم. فى حين لا يقوم ١٢٪ منهـم بذلك العمل على الاطلاق. وهو سلوك بالغ الضرر بالانسان نفسه وبيئته شـديدة الخصوصية بالنسبه له.

كما توضح بيانات الجداول (١٦) ان ٢٧٪ من طلاب جامعـة القـاهرة يقومون احيانا بتنظيف حجرات نومهم. بينما ١١٪ منهم لا يقومون بهذا العمـل على الأطلاق.

الفروق النسبية هنا بين عينة طلاب جامعة القاهرة وهينة طلاب الجامعة الامريكية قد يرجع الى ان العينة الاخيرة ربما يوجد شغالات يقمن بـامر هـذا العمل.

ب- كشفت اجابات المبحوثين عن سلوك بالغ الضرر بالبيئة وذلك عند سـؤالهم عن كيفية تخلصهم من مخلفات منازلهم. وجاءت اجاباتهم علـى النحـو الـذى توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (١٧)

كيف تتخلص من مخلفات منزلك	النسبة
جامع القمامة	٤٦٪
فى صندوق القمامة	٤٢٪
فى الشارع	٤٪
لا يجيب	٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (١٨)

كيف تتخلص من مخلفات منزلك	النسبة
جامع القمامة	٢٦٪
فى صندوق القمامة	٥٥٪
فى الشارع	١٣٪
لا يجيب	٦٪
	١٠٠٪

ويوضح الجدول (١٧) ان عينة الدراسة من طلاب الجامعة الامريكية يتخلصون من مخلفات منازلهم ٤٦٪ عن طريق جامعى القمامة و٤٢٪ عن طريق صناديق القمامة و٤٪ يلقونها فى الشارع.

ويوضح الجدول (١٨) ان عينة الدراسة من طلاب جامعة القاهرة يتخلصون من مخلفات منزلهم بنسبة ٢٦٪ عن طريق جامعى القمامة و٥٥٪ عن طريق القائها فى مقالب القمامة الموجودة عادة فى الشوارع و١٣٪ منهم يلقون هذه المخلفات فى الشارع مباشرة.

وتبرز هنا قضية البيئة باعتبارها قضية اجتماعية بالدرجة الاولى فطلاب الجامعة الامريكية الذين يعيشون فى احياء سكنية راقية بعض الشئ يجدون جامع قمامة وصناديق للقمامة وبنسب معقولة ٤٦٪ و٤٢٪. بينما عينة الدراسة من طلاب جامعة القاهرة الذين يعيشون فى مناطق سكنية شعبية وعشوائية لا يجدون جامع للقمامة الا بنسبة ٢٦٪ فقط ومن ثم تجد مخلفات منازل ٧٤٪ طريقها الى الشارع وتصبح من اخطر ما يمكن على البيئة.

ج- وكشفت اجابات المبحوثين عن سلوك اخر من السلوكيات الضارة بالبيئة لدى طلاب العينة وذلك عند سؤالهم عما يعملون حين يروا "الزبالة" فى الشارع. وجاءت اجاباتهم كما يلى:

جدول رقم (١٩)

ماذا تعمل حين ترى الزبالة فى الشارع	النسبة
لا شئ	٣٨٪
اشعر بالضيق والحسرة	٤٦٪
العن المجتمع	٦٪
لم يجيب	٥٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٢٠)

ماذا تعمل حين ترى الزبالة في الشارع	النسبة
لاشئ	٤٢٪
اشعر بالضيق والحسرة	٤١٪
العن المجتمع	٩٪
لم يجيب	٨٪
	١٠٠٪

اتفقت اجابات عينتى الطلاب على عدم فعل شئ عند رؤيتهم للزبالة فى الشارع اللهم الا الشعور بالضيق والحزن بنسب مختلفة بينهم. وتوجيه السباب واللعنات للناس والحكومة. وهو ما يكشف عن سلبية خطيرة فى سلوك المجتمع تجاه البيئة.

د- كشفت الدراسة عن سلوكيات بالغة الضرر بالبيئة بل وبصمة الافراد انفسهم وذلك عن سؤالهم عما يفعلون اذا عرفوا ان ماء الشرب ملوثا فجاءت اجاباتهم على النحو الذى وتوضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٢١)

ماذا تعمل اذا كان ماء الشرب ملوثا	النسبة
لا اشرب منه	٣٢٪
اشرب منه	١٠٪
انظفه	٢٤٪
اشرب مياه معدنية	٣٠٪
اخرى	٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٢٢)

ماذا تعمل اذا كان ماء الشرب ملوثا	النسبة
لا اشرب منه	٢٠٪
اشرب منه	٣٦٪
انظفه	١٦٪
اشرب مياه معدنية	٧٪
اخرى	٢١٪
	١٠٠٪

يوضح الجدول (٢١) ان ١٠٪ من عينة طلاب جامعة القاهرة يمكن ان يشربوا الماء مع علمهم بانه ملوث وقال ٢٤٪ منهم انهم سيقومون بتنظيفه عن طريق تركيب فلاتر او إلى الماء او وضع منظفات فيه. بينما قال ٣٢٪ انهم لن يشربوا الماء وقال ٣٠٪ منهم انهم سيشربون مياه معدنية.

ويوضح الجدول (٢٢) ان ٣٦٪ من عينة طلاب جامعة القــاهرة علــى استعداد لشرب الماء ملوثا. وان ٢٠٪ قالوا انهم لن يشربوا منه فى حين قال ١٦ انهم سيقومون بتنظيفه اولا.

بمقارنة النسبة بين العينتين وخصوصا نسبة المستعدين لشرب الماء ملوثا فى العينتين نجد فرقا كبيرا فى نسبة ١٠٪ فى العينة الاولى و٣٦٪ فــى العينــة الثانية. وهو ما يؤكد على ان قضايا البيئة هى قضايا اجتماعية بالدرجة الاولى.

هـــ- كشفت الدراسة عن استعداد نسبة لا باس بها على الموافقة على زيادة نسبة الخارصين فى بنزين السيارات وهو ما يتم عن عدم وعى بالمخاطر التى تهـــدد البيئة والانسان على السواء وذلك كما يوضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٢٣)

هل توافق علي زيادة الخارصين فى البنزين	النسبة
نعم	٢٦٪
لا	٧٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٢٤)

هل توافق على زيادة الخارصين في البنزين	النسبة
نعم	٢٨٪
لا	٧٢٪
	١٠٠٪

يوضح الجدولين عن تقارب فى النسب بين الذين لا يوافقون على زيادة نسبة الخارصين فى بنزين السيارات رغم خطورته الكبيرة على البيئة وعلى الصحة العامة للافراد نظرا لدرجة سميته العالية.

و- كشفت الدراسة عن سلوك معتاد ولكنه مدمر للبيئة وهو استخدام المبيدات الحشرية فى المنازل والجداول التالية توضح اجابات المبحوثين عن مدى استخدامهم للمبيدات الحشرية فى منازلهم.

جدول رقم (٢٥)

هل تستخدم المبيدات في المنزل	النسبة
دائما	٦٠٪
احيانا	٣٢٪
لا	٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٢٦)

هل تستخدم المبيدات في المنزل	النسبة
دائما	٣٦٪
احيانا	٥١٪
لا	١٣٪
	١٠٠٪

ومن الجدولين يتضح ان ٩٢٪ من عينة طلاب الجامعة الامريكية يستخدمون المبيدات الحشرية فى منازلهم وان ٨٧٪ من عينة طلاب جامعة القاهرة يستخدمون المبيدات الحشرية فى منازلهم والفروق النسبية بين العنيتين ربما ترجع لاسباب اقتصادية وليس بسبب وعى بخطورة المبيدات الحشرية على البيئة.

ز- كشفت الدراسة عن موافقة نسبة لا يستهان بها من المبحوثين علـــى صيـد الحيوانات البرية فى مصر. وهو امر فى منتهى الخطورة على التوازن الطبيعى فى مكونات البيئة. وجاءت اجابات المبحوثين كما يلى:

جدول رقم (٢٧)

هل توافق علي صيد الحيوانات البرية	النسبة
نعم	٢٨٪
لا	٧٢٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٢٨)

هل توافق علي صيد الحيوانات البرية	النسبة
نعم	٣٢٪
لا	٦٨٪
	١٠٠٪

يوضح الجدولان ان هناك تقارب بين نســب الموافقتيــن علــى صيـد الحيوانات البرية فى مصر بين عينتى الدراسة وهذه النسبة تدل على عدم وعـــى بمكونات البيئة وخطورة الاخلال بتوازنها الطبيعى لدى طلاب العينة.

ثالثا: النتائج الخاصة بعنصر الوعى بالقضايا والمشكلات الاجتماعية:

أ- كشفت الدراسة عن ضعف فى الوعى يصل الى درجة الغياب الكامل حول ابسط الحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية وذلك كما توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٢٩)

عدد الاحزاب السياسية	النسبة
اجابات صحيحة	٤٪
اجابات صحيحة لحد ما	١٣٪
اجابات خاطئة	٢٩٪
لايعرف	٥٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٣٠)

عدد الاحزاب السياسية	النسبة
اجابات صحيحة	٤٪
اجابات صحيحة لحد ما	٤٪
اجابات خاطئة	٣٢٪
لا يعرف	٦٠٪
	١٠٠٪

ويكشف الجدولان السابقان عن ان ٤٪ من طلاب الجامعة الامريكية يعرفون عدد الاحزاب السياسية فى مصر وان ١٣٪ فقط يعرفون عددا قريبا من العدد الصحيح بينما ٨٣٪ منهم لا يعرفون عدد الاحزاب السياسية فى مصر.

وكذلك نجد ان ٤٪ ايضا من طلاب جامعة القاهرة هم اللذين يعرفون عدد الاحزاب فى مصر. بينما ٩٢٪ منهم لا يعرفون عدد الاحزاب.

وبمقارنة النسب بين الجدولين يتضح ان طلاب الجامعة الامريكية يعرف من بينهم نسبة ١٧٪ اجابات صحيحة من عدد الاحزاب بينما نجد هذه النسبة فى الجدول الاخر هى ٨٪ فقط.

ب- وتؤكد هذه الحقيقة بيانات الجدول التالية:

جدول رقم (٣١)

اسماء الاحزاب	النسبة
لا يعرف	٤٦٪
ذكر اقل من ٥	٣٦٪
ذكر ٥ فاكثر	١٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٣٢)

اسماء الاحزاب	النسبة
لا يعرف	٥٤٪
ذكر اقل من ٥	٣٢٪
ذكر ٥ فاكثر	١٤٪
	١٠٠٪

ومن الجدولين يتضح ان النسبة الغالبة من طلاب الجامعـــة الامريكيـــة ٤٦٪ منهم لا يعرفون اسماء الاحزاب السياسية. بينما ٣٦٪ منهم تذكر اســــماء خمسة احزاب فاقل فى حين تذكر ١٨٪ منهم اسماء خمسة احزاب فاكثر.

ونلمح من الجدول (٣٢) ان نسبة من لا يعرفون اسماء الاحزاب من بين طلاب جامعة القاهرة اكبر منها من طلاب الجامعة الامريكية. حيث لا يعـــرف ٥٤٪ منهم اسماء اى حزب سياسى فى مصر. وذكر ٣٢٪ اسماء خمسة احزاب فاقل وذكر ١٤٪ فقط اسماء خمسة احزاب فاكثر.

كشفت اجابات الطلاب على سؤال اسماء الاحزاب خلطا كبيرا بين اسماء الاحزاب واسماء الصحف وكذلك خلطا بين اسماء الاحزاب فى مصر واســـماء الاحزاب فى دول اخرى وخاصة اسماء الاحزاب فى كل من انجلـــترا وفرنســـا وامريكا.

ج- كشفت الدراسة عن عدم وعى بابسط الحقائق الاقتصادية للمجتمع المصرى قبل متوسط دخل الفرد السنوى وذلك كما توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٣٣)

متوسط الدخل السنوى	النسبة
لا اعرف	٤٦٪
اجابات صحيحة	١٦٪
اجابات صحيحة لحد ما	١٠٪
اجابات خاطئة	٢٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٣٤)

متوسط الدخل السنوى	النسبة
لا اعرف	٤٠٪
اجابات صحيحة	١٣٪
اجابات صحيحة لحد ما	١٤٪
اجابات خاطئة	٣٣٪
	١٠٠٪

ومن الجداول يتضح عدم معرفة الطلاب ٤٦٪ من الجامعة الامريكية و٤٠٪ من طلاب جامعة القاهرة بمتوسط الدخل السنوى للفرد فى مصر، وان من يعرفون متوسط الدخل السنوى للفرد فى مصر هم ١٦٪ من الجامعة الامريكية و١٤٪ من جامعة القاهرة وتبدو الفروق الطفيفة بين طلاب العينتين.

د- كشفت الدراسة عن عدم الوعى بالقضايا الاجتماعية وذلك كما هو واضح فى الجدولين التالين:

جدول رقم (٣٥)

متوسط سن الزواج	النسبة
لا اعرف	٢٢٪
اجابات صحيحة	٢٢٪
اجابات صحيحة لحد ما	١٦٪
اجابات خاطئة	٤٠٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٣٦)

متوسط سن الزواج	النسبة
لا اعرف	١٥٪
اجابات صحيحة	١٥٪
اجابات صحيحة لحد ما	٣٧٪
اجابات خاطئة	٢٣٪
	١٠٠٪

ويتضح من الجدول (٣٥) ان ٢٢٪ من طلاب الجامعة الامريكية لا يعرفون متوسط سن الزواج بين الشباب المصرى. وان ٢٢٪ منهم هم الذين يعرفون ذلك. بينما ٤٠٪ ذكروا اجابات عن هذا السؤال.

ومن الجدول (٣٦) يتضح طلاب جامعة القاهرة اكثر ادراكا لهذه المشكلة ربما لمعايشتهم الظروف الاجتماعية بشكل اكبر من طلاب الجامعة الامريكية حيث ذكر ١٥٪ اجابات صحيحة عند سؤالهم عن متوسط سن الزواج بين الشباب المصرى وكذلك ذكر ٣٧٪ منهم اجابات قريبة من الاجابة الصحيحة. فى حين لم يدلى باجابات ٢٣٪ منهم مقارنة بنسبة ٤٠٪ من طلاب الجامعة الامريكية.

هـ- كشفت الدراسة عن مظهر من مظاهر فقدان الذاكرة التاريخية لدى طلاب العينة وذلك كما يوضحه الجدولين التاليين:

جدول رقم (٣٧)

اخر حكام مصر من اسرة محمد علي	النسبة
لا اعرف	١٦٪
اجابات صحيحة	١٤٪
اجابات خاطئة	٧٠٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٣٨)

اخر حكام مصر من اسرة محمد علي	النسبة
لا اعرف	١٧٪
اجابات صحيحة	١١٪
اجابات خاطئة	٧٢٪
	١٠٠٪

ومن الجدولين يتضح ان ١٦٪ من طلاب الجامعة الامريكية لا يعرفون اخر حكام مصر من اسرة محمد على فى مقابل ١٧٪ من طلاب جامعة القاهرة. وان ١٤٪ فقط يعرفون اخر حكام مصر من اسرة محمد على من طلاب الجامعة الامريكية فى مقابل ١١٪ من طلاب جامعة القاهرة. بينما ٧٠٪ من طلاب الجامعة الامريكية اجابوا اجابات خاطئة فى حين اجاب ٧٢٪ من طلاب جامعة القاهرة اجابات خاطئة.

وكانت الاجابات الخاطئة تكشف عن جهل تام يصل الى حد فقدان تام للذاكرة التاريخية لدى افراد العينة فقد ذكر اعداد كثيرة من افراد العينة ان سيعد وتوفيق واسماعيل وتوفيق وفؤاد هم اخر حكام اسرة محمد على.

ز- كشفت الدراسة عن ضعف كبير فى حصيلة المعلومات الثقافية العامة لدى عينة الدراسة وذلك كما يوضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٣٩)

متي حصل نجيب محفوظ علي جائزة نوبل	النسبة
لا اعرف	٦٪
اجابات صحيحة	٤٠٪
اجابات خاطئة	٥٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٤٠)

متي حصل نجيب محفوظ علي جائزة نوبل	النسبة
لا اعرف	١١٪
اجابات صحيحة	٢٧٪
اجابات خاطئة	٦٢٪
	١٠٠٪

ويوضح الجدول (٣٩) ان ٦٪ من طلاب الجامعة الامريكية لا يعرفون متى حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل للاداب وان ٤٠٪ فقط يعرفون ذلك بينما ٥٤٪ من الطلاب اجابوا اجابات خاطئة كانت تكشف عن جهل عام بالقضايا الثقافية والمعلومات العامة.

ويوضح الجدول (٤٠) ان ٧٢٪ من طلاب جامعة القاهرة لا يعرفون متى حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل للاداب بينما يعرف ذلك ٢٧٪ فقط من الطلاب عينة الدراسة.

وعند مقارنة نسب الجداول يتضح بعض الفروق بين طلاب الجامعة الامريكية وطلاب جامعة القاهرة.

ح- كشفت الدراسة عن عدم وعى طلاب عينة الدراسة بابسط المشكلات البيئة وذلك كما يوضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٤١)

هل الضوضاء من ملوثات البيئة	النسبة
نعم	٩١٪
لا	٩٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٤٢)

هل الضوضاء من ملوثات البيئة	النسبة
نعم	٨٧٪
لا	١٣٪
	١٠٠٪

وتؤكد نسب الجدولين على جهل نسبة ٩٪ من طلاب الجامعة الامريكية و١٣٪ من طلاب جامعة القاهرة باحد البديهيات وهى ان الضوضاء من اخطـــر ملوثات البيئة السمعية للانسان.

وتتضح ايضا الفروق النسبية بين طلاب العينة مـــن جامعـــة القـــاهرة وطلاب الجامعة الامريكية.

ط- ومن البديهيات التى تجهلها نسبة من الطلاب عينـــة الدراســـة. ان عـــادم السيارات ضار بالصحة وذلك كما توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٤٣)

هل عادم السيارات ضار بالصحة	النسبة
ضار جدا	٨٦٪
ضار	١٠٪
غير ضار	٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٤٤)

هل عادم السيارات ضار بالصحة	النسبة
ضار جدا	٨٢٪
ضار	١٢٪
غير ضار	٦٪
	١٠٠٪

وتؤكد نسب الجدول ان ٤٪ من طلاب الجامعة الامريكية يرون ان عادم السيارات غير ضار بالصحة وكذلك ٦٪ من طلاب جامعة القـــاهرة، ويلاحـــظ ايضا الفروق النسبية بين العينتين.

رابعا: نتائج خاصة بالتناول الاعلامي:

قامت الدراسة بمحاولة تحديد مدى وصول وسائل الاعلام الجمـــاهيرى من صحافة واذاعة وتليفزيون بقضايا البيئة الى جمهور المبحوثين وجاءت نتائج ذلك على النحو التالى.

أ- كشفت الدراسة ان هناك افراد وان كانوا يمثلون نسبة قليلة لم يعرفوا شيئا عن ثقب الازون وذلك على النحو التالى:

جدول رقم (٤٥)

هل عرفت حكاية ثقب الاوزون	النسبة
نعم	٩٦٪
لا	٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٤٦)

هل عرفت حكاية ثقب الاوزون	النسبة
نعم	٩٤٪
لا	٦٪
	١٠٠٪

تشير النسب فى الجدول الى ان ٤٪ من عينة طلاب الجامعة الامريكيـــة لم يعرفوا نسبا عن ثقب الازون وهذه النسبة وان كانت قليلة الا انها تمثل مؤشرا على بعض التقصير من جانب وسائل الاعلام فى التعريف بقضيتها مـــن ثقـــب الازون.

ب- كشفت الدراسة عن ترتيب مصادر المعلومات حول البيئة على النحو الـــذى توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٤٧)

مصادر المعلومات عن البيئة	النسبة
الصحف	٤٢٪
الاذاعة	٢٢٪
التليفزيون	٥٪
الكتب	١٥٪
اخرى	١٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٤٨)

مصادر المعلومات عن البيئة	النسبة
الصحف	٤٦٪
الاذاعة	٢٦٪
التليفزيون	٣٪
الكتب	١٠٪
اخرى	١٥٪
	١٠٠٪

كشفت الدراسة وبنفس الترتيب عن مصادر المعلومات حول البيئة وجاءت الصحف فى الترتيب الاول ثم الاذاعة ثم التليفزيون ثم الكتب ثم جاءت مصادر اخرى مثل الكتب المدرسية الندوات والمناقشات والمدرسين والاصدقاء.

ج- اوضحت الدراسة ان وسائل الاعلام التى حصل المبحوثين منها على معلومات حول ثقب الاذون لم تستطيع توصيل المفاهيم الاساسية لهذه القضية ومن ثم جاءت اجاباتهم عن سؤال ماذا تعرف عن ثقب الاذون على النحو التالى:

جدول رقم (٤٩)

ماذا تعرف عن ثقب الاوزون	النسبة
اجابة صحيحة	٧٪
صحيحة الى حد ما	٣٥٪
لم يجيب	٣٨٪
	٢٠٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٥٠)

ماذا تعرف عن ثقب الازون	النسبة
اجابة صحيحة	٦٪
صحيحة الى حد ما	٣٤٪
غير صحيحة	٤٩٪
لم يجيب	١١٪
	١٠٠٪

تشير ارقام الجدولين الى ان نسبة كبيرة من المبحوثين فى عينتى الدراسة حاولت تحديد معرفتها حول ثقب الاذون ولكن نسبة كبيرة منهم لم تكن اجاباتهم صحيحة ونسبة كبيرة ايضا كانت اجاباتهم صحيحة الى حد ما. وربما يرجع ذلك الى تصور وسائل الاعلام فى تبسيط قضايا البيئة.

د- كشفت الدراسة عن حقيقة اعلامية هامة وذلك حين جاءت اجابات المبحوثين لتؤكد ان معظمهم لا يقرأ صفحه البيئة فى جريدة الاهرام وهى الصفحة الوحيدة المتخصصة فى البيئة فى الصحافة المصرية وجاءت اجاباتهم كما يلى:

جدول رقم (٥١)

هل تقرأ صفحة البيئة في الاهرام	النسبة
نعم	٦٪
لا	٩٤٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٥٢)

هل تقرأ صفحه البيئة في الاهرام	النسبة
نعم	٩٪
لا	٩١٪
	١٠٠٪

وتؤكد نسب الجدول ان اكثر من ٩٠ بالمائة من طلاب العينة لم يقرأ صفحه البيئة فى جريدة الاهرام.

وكذلك عند سؤال النسبة القليلة التى تقرأ هذه الصفحه عن موعد صدورها ذكر الجداول التالية:

هـ- اوضحت الدراسة ان برامج البيئة المتخصصة فى الاذاعة غير مسموعة وذلك كما توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٥٣)

هل تسمع برنامج عالم واحد بالاذاعة	النسبة
نعم	٨٪
لا	٩٢٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٥٤)

هل تسمع برنامج عالم واحد بالاذاعة	النسبه
نعم	١١٪
لا	٨٩٪
	١٠٠٪

تؤكد نسب الجدولين على ان برامج الاذاعة المتخصصة بالبيئة في الاذاعة غير مسموعة بنسبة تتعدى التسعين بالمائة.

كما ان النسبة القليلة التى تسمع هذا البرنامج لم تعرف موعد اذاعته عند سؤالها عن ذلك وهو ما يكشف عن نوعية الاستماع لهذه البرامج.

و- كشفت الدراسة عن حقيقة اعلامية اخرى خاصة باستخدام التليفزيون في قضايا البيئة وذلك عند سؤال المبحوثين عن مدى مشاهدتهم لبرامج النوعية البيئية فى التليفزيون وجاءت اجاباتهم على النحو التالى:

جدول رقم (٥٥)

هل شاهدت برامج التوعية البيئية في التليفزيون	النسبه
نعم	٣٨٪
لا	٦٢٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٥٦)

هل شاهدت برامج التوعية البيئية فى التليفزيون	النسبه
نعم	٤٨٪
لا	٤٢٪
	١٠٠٪

رغم ان نسبة كبيرة قالت انها شاهدت برامج التوعية البيئية فى التليفزيون الا انه يصعب من قيمة الاجاة مجموعة حقائق هى:-

(١) ان نسب اقل عدت التليفزيون من مصادر المعلومات عن البيئة.
(٢) انه عند سؤال المبحوثين ذكر برنامج التوعية فى التليفزيون لم يستطيع سوى نسبة قليلة جدا ذكر اسماء برامج صحيحة.

ز- كشفت الدراسة عن ان وسائل الاعلام اهتمت بقضية تلوث ماء النيل اهتماما خاصا وذلك كما توضحه اجابات المبحوثين على النحو التالى:

جدول رقم (٥٧)

هل سمعت عن تلوث ماء النيل فى الاذاعة	النسبة
نعم	٦٠٪
لا	٤٠٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٥٨)

هل سمعت عن تلوث ماء النيل فى الاذاعة	النسبة
نعم	٧٦٪
لا	٢٤٪
	١٠٠٪

تشير الجداول الى ان ٤٠٪ من طلاب الجامعة الامريكية لم يسمعموا شيئا فى الاذاعة عن تلوث ماء النيل. وان ٢٤٪ من طلاب جامعة القاهرة لم

يسمعوا شيئا عن تلوث ماء النيل ويعتبر ذلك قصورا من جانب الاذاعة فى تناول قضية تلوث ماء النيل لتصل الى الجميع.

ح- اكدت الدراسة ان الصحف مصدر مهم من مصادر المعلومات عن البيئة وجاءت اجابات المبحوثين هنا لتؤكد ذلك من خلال اجاباتهم عن سؤال عل قرأت فى الصحف المصرية عن تلوث ماء النيل؟

جدول رقم (٥٩)

هل قرات في الصحف المصرية عن تلوث ماء النيل	النسبة
نعم لا	٧٢٪ ٢٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٦٠)

هل قرات في الصحف المصرية عن تلوث ماء النيل	النسبة
نعم لا	٧٥٪ ٢٥٪
	١٠٠٪

على الرغم من ان نسبة من قرأوا عن تلوث ماء النيل فى الصحف اكبر من نسبة من سمعوا عن ذلك فى الاذاعة، الا ان نسبة من لم يقرأوا عن تلوث ماء النيل فى الصحف بلغت ٢٨٪ من عينة الجامعة الامريكية ونسبة ٢٥٪ من عينة طلاب جامعة القاهرة تعتبر نسب كبيرة الى حد ما.

ك- كشفت الدراسة عن ان التليفزيون اهتم بقضية تلوث ماء النيل ولكن نسبة ليست قليلة من المشاهدين لم تشاهد شيئا عن تلوث ماء النيل وذلك كما توضحه الجداول التالية:

جدول رقم (٦١)

هل شاهدت في التليفزيون شيئا عن تلوث ماء النيل	النسبة
نعم لا	٦٢٪ ٣٨٪
	١٠٠٪

جدول رقم (٦٢)

هل شاهدت في التليفزيون شيئا عن تلوث ماء النيل	النسبه
نعم	٧٨٪
لا	٢٢٪
	١٠٠٪

<u>خامسا: نتائج خاصة بالبيانات الاساسية للمبحوثين:</u>

كشفت الدراسة عن مجموعة حقائق تتعلق بالبيانات الاساسية للمبحوثين من سن ومحل الاقامة والدخل وتكتسب هذه الحقائق دلالتها من مقارنتها بالنتائج التى تم الحصول عليها وذلك على النحو التالى:-

أ- ان الطلاب عينة الدراسة تتراوح اعمارهم بين ثمانية عشر عاما واربعة وعشرون عاما. وهو طلاب جامعتين كبيرتين ونتظر لهم قيادة هذا المجتمع في المستقبل. فاذا كان هؤلاء الشباب لا ينتمون الى احزاب سياسية ويعيشون تحت ظلال خلل اقتصادى واجتماعى وثقافى وان درجة وعيهم بالقضايا السياسية

والاقتصادية والاجتماعية ولابيئية على النحو الذى كشف عنه الدراسة. فان ذلك ينذر بالقلق على مستقبل هذا المجتمع.

ب- كشف بيان محل الاقامة للاطلاب الذين يمثلون عينتى الدراسة عن حقيقة هامة تؤكد على ان قضايا اجتماعية بالدرجة الاولى. بمعنى انه كلما ارتفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للفرد كلما كان اكثر وعيا بقضايا البيئة واكثر استعدادا للسلوك بشكل لا يضر بالبيئة.

وقد اكدت نتائج الدراسة ذلك من خلال الفروق النسبية بين عينتى الدراسة من جانبى الوعى والسلوك تجاه البيئة.

وجاء متغير محل الاقامة ليوضح ذلك، فقد تبين ان افراد العينة الاولى من طلاب الجامعة الامريكية يعيشون فى الاحياء الاتيه:

١- مصر الجديدة.
٢- المعادى.
٣- المهندسين.
٤- قصر النيل.
٥- الزمالك.
٦- الجيزة.

٧- جاردن سيتى.
٨- مدينة نصر.
٩- الدقى.

وهذه الاحياء معروفة بتميزها الحضارى. ومن المركد ان للاقامة بهـــا دور فى الفروق النسبية التى تحققت فى متغيرات الوعى بالقضايا البيئية والسلوك نحوها لصالح طلاب هذه العينة.

ج- كما تبين ان افراد العينة الثانية من طلاب جامعة القاهرة يعيشون فى الاحياء التالية:

١- بولاق الدكرور.
٢- السيدة زينب.
٣- الهرم.
٤- مصر القديمة.
٥- بين السريات.
٦- الوراق.
٧- الامام الشافعى.
٨- شبرا.
٩- حدائق القبة.
١٠- حلوان.
١١- الملك الصالح.
١٢- المقطم.
١٣- الدرب الاحمر.

وهذه الاحياء مما يعرف بالاحياء الشعبية والمؤكد ايضا لهـــا دور فـــى تشكيل الوعى بالبيئة والسلوك نحوهما كما كشفت عنه اجابـــات الطـــلاب فـــى الدراسةالميدانية.

د- كان المتغير الاخير من المتغيرات الاساسية للمبحوثين هو متغير الدخل. وقد لوحظ عدم اجابة نسبة كبيرة من هذا المتغير مما قلل من الدلالات التى يمكن ان نحصل عليها من هذا لمتغير.

وربما يشير عدم الاجابة عن هذا المتغير الىظاهرة اجتماعية هى عـــدم الادلاء ببيانات صحيحة حول الدخل الحقيقى للفرد فى المجتمع المصرى بشـــكل عام. كما يشير ذلك ايضا الى عدم الثقة التى يبديها ابناء الشعب المصرى للبحث العلمى. وخطورة ذلك تاتى من انه يصدر من طلاب جامعتين كبيرتين ينبغى ان يكونوا على قدر من الوعى باهمية البحوث العلمية.

ثانيا: النتائج العامة:

١- كشفت الدراسة عن قصور واضـــح فـــى مقومـــات المجتمـــع الاساســـية: الاجتماعية والاقتصادية ولاسياسية والثقافية. وعن تهالك البنية الاساســـية لـــه، وذلك على النحو التالى:

أ- هناك فجوة كبيرة بين شباب الجامعات وهو قطاع هام من قطاعات المجتمع والاحزاب السياسية فى هذاالمجتمع. وحتى ان نسبة كبيرة من الشباب عينة البحث لا تعرف عدد الاحزاب السياسية فى مصر ولا تتركز حتى اسماء هذه الاحزاب.

ب- هناك خلل اقتصادى يعيش شباب المجتمع تحت ظلاله يجعلهم يشعرون بالعجز التام فى مواجهته.

ج- هناك مشكلات اجتماعية واسرية كثيرة كشفت الدراسة عن جانب من جوانبها وهو ان الاسرر الاقل عددا. وكذلك تعيش نسب كبيرة من الاسر ذات العدد الكبير فى شقق سكنية صغيرة وفى احياء شعبية فقيرة واماكن عشوائية تفتقر الى ابسط مقومات الحياة.

د- ان الخدمات والمرافق العامة فى حالة من العجز التام ولا تقوم بدورها المطلوب فى خدمة قطاعات المجتمع واوضحت الدراسة نموذجا صارخا هو المكتبات العامة التى يريدها الطلاب ولا يجدونها واذا وجدت فليس هناك ما يقرأ فيها.

٢- كشفت الدراسة عن مجموعة من السلوكيات الضارة بالبيئة يقدم عليها عينة الدراسة ربما نتيجة مظاهر الخلل فى النواحى الاجتماعية الاخرى وذلك على النحو التالى:

أ- فهناك نسب كبيرة من الشباب - عينة الدراسة - لا يقوموا بتنظيف حجرات نومهم التى تمثل البيئة الخاصة جدا بالنسبة لهم.

ب- ان نسب كبيرة من الشباب عينة الدراسة يلقون مخلفات منازلهم فى الشارع العام ومقالب القمامة. التى تعد من اخطر ملوثات البيئة فى المدن.

ج- كما ان نسب تتعدى ٤٥٪ من الشباب لا يفعلون شيئا عند رؤية المخلفات فى الشوارع والنسبة الباقية تكتفى بالشعور بالضيق والحسرة وتوجيه السباب الى المجتمع.

د- ان نسبة كبيرة من الشباب لا يفعلون شيئا اذا علموا ان ماء الشرب ملوثا. بل الاخطر ان نسبة ٣٦٪ منهم على استعداد للشرب منه وهو ملوث. ونسب اخرى قالوا انهم سيشربون مياه معدنية. وربما يذكر هذا بحكاية مارى انطونيس.

هـ- وكذلك نسبة تتعدى ٩٠٪ يستخدمون المبيدات الحشرية فى المنازل دون معرفة مدى خطورة هذه المبيدات على الصحة العامة للفرد والبيئة.

٣- كشفت الدراسة عن ضعف فى الوعى يصل الى درجة الغياب الكامل حول ابسط الحقائق السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية لدى شباب الجامعات الذين ما يزالون على صلة بمصادر المعلومات وفى قمة نشاطهم العقلى وذلك على النحو التالى:

أ- ان نسبة من يعرفون عدد الاحزاب السياسية فى مصر هى ٤٪ فقط من بين شباب جامعتى القاهرة والجامعة الامريكية. بينما النسبة الباقية ٩٦٪ لا يعرفون ذلك.
ب- ان ١٦٪ فقط من الشباب هم الذين يعرفون متوسط الدخل السنوى للفرد فى مصر وان ٨٤٪ منهم لايعرفون ذلك.
ج- ان ٧٨٪ من الشباب متوسط سن الزواج بين الشباب المصرى.
د- ان ٨٤٪ من الشباب لا يعرفون من هو اخر حكام مصر من اسرة محمد على.
هـ- ان نسبة لا باس بها لا تعتبر الضوضاء من ملوثات البيئة. وان نسبة ١٤٪ منهم لا يعتبرون عادم السيارات ضار بالصحة.

٤- كشفت الدراسة عن جوانب عديدة من القصور فى التناول الاعلامى لقضايا البيئة، تمثلت هذه الجوانب على النحو التالى:

أ- هناك نسبة من المبحوثين لا تعرف شيئا عن ثقب الازون وهو موضوع عرفه القاصى والدانى بفضل وسائل الاعلام.
ب- ان الوسائل الجماهيرية كالتليفزيون والاذاعة جاءت فى ترتيب متاخر بين مصادر الحصول على معلومات عن البيئة. وذلك يعنى حرمان قطاعات كبيرة من الجمهور التى تتعامل مع هذه الوسائل بشكل اساسى ولا تتعرض للوسائل الاخرى من معرفة القضايا البيئية.
ج- ان تناول وسائل الاعلام لقضايا البيئة هو تناول معقد لا يصل الى الجمهور بالشكل المطلوب. والدليل على ذلك ان نسبة ٣٥٪ من الشباب اجابوا اجابات مشوهة او ناقصة عن سؤالهم عن معرفتهم بثقب الازون.
د- ان الفصحات المخصصه للبيئة فى الصحف لا تقرأ وان البرامج المخصصة للبيئة فى الاذاعة لا تسمع. كما ان برامج التوعية البيئية فى التليفزيون لم يشاهدها ٦٢٪ من الشباب. وان ما شاهد هذه البرامج لا يتذكر اسماء هذه

البرامج فضلا عما تبثه من افكار ومعلومات عن البيئة وذلك فشل زريع في توصيل المعلومة الى الجمهور.

هـ- كشفت الدراسة عن مظهر من مظاهر التناول الاعلامى لقضايا البيئة وهو التنازل الجزئى للقضايا. بمعنى تناول القضايا المشهورة فقط واهمال القضايا الاخرى بل ان الامر اقتصر على اسماء معينة من المهتمين بالبيئة.

ويؤكد ذلك النسب المرتفعة التى اقرت انها فى الصحف وسمعت فى الاذاعة وشاهدت فى التليفزيون عن تلوث ماء النيل. وهى قضية هامة وخطيره ولكنها ليست الوحيدة التى ينبغى التركيز عليها فى وسائل الاعلام.

فروض الدراسة ومدى صحتها:

بعد عرض النتائج بشكل تفصيلى وبشكل عام يمكن القول ان فروض الدراسة تعتبر فروض صحيحة الى حد كبير ويمكن التدليل على صحتها على النحو التالى:

* **الفرض الاول:**

١- ان تهالك البنية الاساسية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا الذى تم رصد بعض مظاهره دفع افراد المجتمع الى سلوكيات ضارة ومدمرة للبيئة بل ومدمرة لصحة الافراد انفسهم.

ويؤكد ذلك الفروق النسبية [٦٠] واغلب جزئيات الدراسة بين طلاب الجامعة الامريكية الذين يعيشون فى احياء تتوفر فيها قدر كافى من مقومات الحياة الاساسية وفى اوساط اجتماعية واقتصادية مرتفعة. وطلاب جامعة القاهرة الذين يعيش اغلبهم فى احياء شعبية لاتتوافر فيها مقومات الحياة بشكل كافى.

٢- ان سلوكيات المجتمع تجاه البيئة تؤدى كذلك الى مزيد من القصور فى المقومات الاساسية للمجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ايضا.

* **الفرض الثانى:**

١- ان التناول الاعلامى القاصر لقضايا البيئة فى وسائل الاعلام يؤدى الى غياب الوعى بهذه القضايا ويؤكد ذلك كل مظاهر القصور السابق رصدها فى

---

[٦٠] راجع هذه الفروق فى جداول النتائج التفصيلية.

التناول الاعلامى لقضايا البيئة من كونه تناول جزئى مبتور ومعقد ومشـــوه ولا يقرأ او يسمع او يشاهد من الجماهير.

وكذلك يؤكد مظاهر الضعف العام فى الوعـــى بالقضايـــا الاجتماعيـــة والاقتصادية والسياسية والبيئية ايضا التى تم رصد مظاهره ايضا.

٢- ان غياب الوعى بالقضايا الاجتماعية والاقتصاديـــة والسياســية والثقافيــة ولابيئية يؤدى الى تناول اعلامى قاصر ايضا لهذه القضايا. وتؤكد النتائج التـــى توصلت اليها الدراسة فى هذين المجالين على ذلك اوضح تاكيد.

ماذا يترتب على صحة هذه الفروض؟

١- مراجعة الفهم الحالى لقضايا البيئة.

٢- معالجة قضايا البيئة فى اطار علاج شامل لقضايـــا المجتمـــع الاقتصاديـــة والاجتماعية والثقافية والسياسية.

٣- تنمية الوعى بقضايا البيئة عن طريق تنمية الوعى الثقافى العام للشعب بكافة افراده ومستوياته.

٤- تناول قضايا البيئة فى وسائل الاعلام بشكل متكامل من كل قضايا البيئة ومع كل قضايا المجتمع وعلى مستويات اجتماعية مختلفة وبوسائل اعلامية تناسب كل مستوى وبمضامين اعلامية تحقق الهدف منها وهو الوعى بقضايا البيئة والدفاع عنها وحمايتها.

سادسا- الخاتمة:

الاعلام وقضايا البيئة

ازمة الوعي والتكوين

مما سبق يمكن التأكيد على ان قضايا الاعـــلام هـــى قضايـــا الوعـــى والقصور الوظيفى لهياكل البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.
ولعل الاشكالية الرئيسية للاعلام تنتج عن تغييب الوعـــى الاجتمـــاعى بمظاهرة وانعكاساته السلوكية نتيجة لتداخل القضايا وتشابكها، وكما اشرنا فانه لا

يمكن فصل العملية الاعلامية فى المجتمع عن بقية الهياكل الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية، فان اشكالية الاعلام الاساسية تنحصر فى عدم قدرته كنظام اجتماعى وثقافى يرتبط بالهياكل الاجتماعية الاخرى ويعمل على تحقيق الادوار التنموية بطريقة فعالة، اما لعدم قدرته وعجزه على طرح بعض هذه القضايا القومية بطريقة فعالة او لعدم قدرة المتلقى على التفاعل والاندماج كوحدة هامة اجتماعية وثقافية لها دور رئيسى فى تحقيق ايجابية العملية الاعلامية والثقافية وكجزء من نظام اجتماعى وثقافى ومعرفى، فهو جزء من ثقافة الاتصال والثقافة العامة للمجتمع. ونرجع هذاالقصور الى العديد من الاعتبارات والشروط الموضوعية، والشروط الذاتية.

- اما الشروط الموضوعية:

فهى ترتبط بالبنى الاساسية فى المجتمع فهى التى تحدد وتكمل وعى الفرد تجاه النظام البيئى، فتحديد مدى صلاحية هياكل البنى الاجتماعية ولاتعليمية ولاتربوية والمرافق العامة الاساسية، انما يحدد فى واقع قدرات الانسان المهارية والادراكية والثقافية وتقيس وعيه الاجتماعى والبيئى. فهى اذا الشروط الهامة فى تحديد علاقة الفرد ودرجة وعيه بعناصر النظام البيئى والنظام الاجتماعى والاقتصادى والثقافى بشكل متكامل. ويمكن قياس تلك الشروط وحصرها من خلال السلوك والممارسات التى يصدرُها الافراد داخل وحدة القياس والتحليل اى داخل الاحياء المعينة. فتحديد العلاقة بين مقومات "الى" الهيكلية ولاتكوينية من مرافق اساسية وخدمات عامة واقتصادية وثقافية وتربوية وتعليمية ستحدد نوع السلوك والممارسات التى قد تفرضها تلك المقومات الهيكلية.

الشروط الذاتية:

وهى تلك الشروط التى تنمى قدراتالانسان المعرفية المرتبطة اساسا بالتربية والتعليم والهياكل المعرفية ولاثقافية الاخرى. ويدخل الاعلام والاتصال الجماهيرى طرفا وعاملا اساسيا فى تلك البنية المعرفية والثقافية للانسان. فهو من الشروط الذاتية المكملة لعناصر الوعى الاجتماعى، بما تحتويه من امكانيات هائلة للتاثير، والتغيير وفرض انماط خاصة من السلوك والاقناع والتعليم.

ولا يجب ان ناخذ عناصر هذه الشروط الذاتية كالتعليم ولاتربية والنظام الاعلامى ولاثقافى، كعوامل مرجحة ومطلقة فى عملية رقــــى الوعــى البيئـــى والاجتماعى بصفة عامة، بل ناخذها كعوامل ومقومات هامة تتحرك وتتفاعل في اطار اجتماعى واقتصادى وسياسى وثقافى، تهيئ له القيـــام بـــالادوار الثقافيـــة والتربويةوالاعلامية الفعالة.

فالتربية والتعليم والاعلام والاتصال الجماهيرى، جزء مــن كــل فهـــى انظمة فرعية من نظام كلى شامل، ولا تقوى وحدها على الاضطلاع بمهام تنمية الوعى الاجتماعى بصفة عامة والبيئى بصفة خاصة. وهذا لايعنى عدم البدء فى دراسة ووضع استراتيجية اعلام للتنمية الثقافية والاجتماعيـــة وفقـــا لمتطلبـــات اولويات المجتمع بقطاعاته المتعددة.

والاعلام لا يمكنه بوسائله المتعددة القيام بهذاالدور الفعال دون التـــاكيد وعرض الحقائق الواقعية بكل جوانبها وابعادها. فالمخرج الحقيقى لازمة الاعلام يكمن فى تخطى المحن والعوائق الحضارية والاجتماعية والاقتصادية واستغلال المقومات الايجابية الكامنة فى المجتمع من ثقافةوفنية، لتحقيق قدر من التفـــاعل بين القضايا ولافكر والقاعدة العريضة من افراد المجتمع. والتخاذل وا لابتعـــاد عن القضايا وعدم تحليلها وعرضها بموضوعية وصدق، سيؤدى الــــى قصـــور الوعى الاجتماعى والثقافى وثباته فى مراحله البدائية، فتتفاقم العديد من القضايا، كقضايا البيئة والصراع الاجتمعى والارهاب الفكرى.

ان المصلحة العامة تقتضى صحورة الاعلام العربى وخاصة المصـــرى لما يمتلكه من امكانيات وخبرات واسعة ثقافية وابداعية وفنية وفكريـــة متعـــددة المجالات والمداخل.وفى ضوء هذا يمكن التأكيد عاى ان مهام الاعلام تتحصـــر على الاقل فى الفترة الحالية فى التركيز على اثارة الراى العام للقضايا المتعددة وخاصة البيئية والتلوث.

وذلك بعرضها بموضوعية واتقان وصدق، لقد حضرنا الابعاد المتعـــددة التـــى تدخل فى صميم قضايانا البيئيـــة، خاصـــة مداخلهـــا اجتماعيـــة والاقتصاديـــة والانسانية. فعلى الاعلام تاكيد واثارة تلك المداخل والقضايا المتعددة.

ومن الملاحظ انه حتى اليوم وهذا مثبط للهمم مثبـــط للهمـــم ان تلـــك المشاكل والقضايا الحضرية المتعددة الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بـــالوعى البيئى لم تصبح بعد قضايا عامة، ليس فقط فى مصر ولكن فـــى معظـــم العـــالم العربى. اى لم تثر بالشكل اللائق لجذب انتباه المواطنيـــن، وطبقـــات المجتمـــع المتعددة.

فالدخول فى اعماق القضايا والجدل المستمر بشأنها وخاصة من خـــلال الوسائل المتعددة للاعلام والاتصال الجماهيرى هو لصالح التقدم الثقافى والفكرى والاجتماعى.
والتباعد عن عرض الحقائق سيكون لصالح مزيد من القصور والاحباط وستظل تلك الاشكاليات تتداول فى الخفاء بدلا من تداولها كقضايا عامة تهز الراى العام، فتجند امكانات المجتمع حينئذ المتعددة لتصحيح ما يلزم من اجراءات.

قائمة
لاهم المراجع العربية والاجنبية

اولا: الكتب العربية:

١- هنرى لوفيفر، الثورة العمرانية، ترجمة صلاح الدين برمدا، دمشق - وزارة الثقافة السورية ١٩٨٣، ص ٢٢١.

٢- د. سعد الدين ابراهيم النظام الاجتماعي العربى الجديد، دراسة عن الاثار الاجتماعية للثورة التنظيمية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٢، ص ١٨٦ - ١٨٧.

٣- د. محمد محمود الجوهرى، د. سعاد عثمان، الانثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية فى ١٩٩١.

٤- ممدوح الولى، سكان العشش والعشوائيات، القاهرة، مطابع روزاليوسف، نقابة المهندسين ١٩٩٢.

٥- منى البرادعى، الاقتصاد المصرى وتحدى التنمية فى التسعينات، المؤتمر السنوى الثالث للبحوث السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩١.

٦- د. عبد الوهاب ابراهيم: البناء الطبقى فى مدينة اقليمية، دار النهضة العربية ١٩٩١.

ثانيا: الكتب الاجنبية:

1- ROCHERGUY, INTRODUCTION ALA SOCIALOGIE. LE SEUIL. PARIS 1970.

2- JEAN STOETZEL, FONCTIONS DE LI INFORMATION, ETUDES DE PRESSE.

3- G. BALANDIER. SENS ET PUISSANCE, LES DYNAMOQUES SOCIALES PRESUNIV. FRANCE, 1981.

4- THOMAS MALTHUS, PARADIGME DE L'EQUILBRE ENTRE TERRE ET HOMMES. PRESSES UNIV. 1980.

5- HENRI MENDRAS, M.TORESE, M.TOESE, LE CHAN GEMENT SOCIAL. A. COLIN. 1983.

6- JOLLIVET .M,MENDRAS H, LES COLLECTIVIES RUALES . ARMAND COLIN . 1971.

7- DUBY GEORGES , " LECONOMIE RURALE DANS LES CAMPAGNES " , AUBIER , PARIS 1962

8- STALL, HENRI , " LES ANCIENNES COMMUNAUTES VILLAGEOISES ROUMAINES " BUCAREST , PARIS , CNRS , 1962

ثالثا: اهم المقالات والدراسات العربية والاجنبية:
١- ادريس الضحاك، "حول انحرافات السباب والقصر والتكدس العمراني" ، الجمعية النسائية دمشق. ١٩٩٣.
٢- شكرى النجار "الاسلوب الانتروبولوجى لدراسة المجتمع، الفكر العربى - العدد ٣٨ - ١٩٨٥.
٣- نسمة احمد البطريق، "الاعلام والبيئة فى عصر الازمات العالمية" مجلة النيل - الهيئة العامة للاستعلامات - العدد (٤٠) - ١٩٩٠ صورة لورقة عمل قدمت فى مؤتمر دولى اقامة معهد الدراسات الاجتماعية بمدينة فاستيروس - السويد سبتمبر ١٩٩٠.
٤- "ادراك المخاطر والمشكلات البيئية لسكان حى شعبى بمدينة القاهرة الكبرى" منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٩١.
٥- ابراهيم محمود، مراة المدنية العربية المعاصرة/ المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٠ - ١٩٩٢.
٦- نادر فرجانى، "الهجرة داخل الوطن العربى "المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية العدد (٥٦) ١٩٨٣.
٧- سمير خلف، "بعض المظاهر البارزة في التحضر فى العالم العربى "الفكر العربى" الفكر العربى - العدد ٤٣.

رابعا: المقالات الاجنبية:
1- DANIEL LERNER, SYST. DE COMM. ET SYSTEMES SOCIOUX IN SOCIALOGIE LAROUSSE 1975.
2- CHAZFL BOUD, LAZARSFELD DE PROCFSSUS SOCIAUX. IN, CANGEMENT SOCIAL OP. CIT.
3- MERTON ROBERT ELEMENTS DE THEORIE ET DE METHODES SOCIOLOGIGES PARIS, PLON 1965. NOTAMMENT CHAP,9.
4- BODI GUEL, MAY IVONNE, LES PAYSANS FACE AU PROGRES, PARIS, PRESSES DE LA FONDATION NATIONALE PRESS SCIENCES POLITI QUES. 1975.
5- BROVARD - JANINE. CHANGEMENT SOCIAL DANS UN VILLAGA FRANCAIS, PARIS, UNIVERSNTE DE NANTERRE. 1978.

الفصل الثامن:

سيوسيولوجية الاتصال الشخصي والدور الخاص في دول العالم النامي

الفصل الثامن:

سيوسيولوجية الاتصال الشخصي والدور الخاص في دول العالم النامي

مقدمة:

أصبحت قضايا الثقافة والهوية وتحديث القيم والمعتقدات، والتصدى لعمليات تلوث البيئة بالعديد من الأمراض الاجتماعية، محورا من المحاور الرئيسية التي ينشغل بها الباحثون فى مجالات الاتصال والاجتماع والتربية والتعليم والسياسة والاقتصاد في دول العالم الثالث، خاصة تلك الدول ذات الثقافات والحضارات القديمة والعريقة، كمصر والهند.... حيث تأخذ تلك القضايا أشكالا مميزة وفريدة، نظرا لتعقد بنائها الاجتماعي وتشابكه والتصدع في هياكل بنيتها الأساسية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.*

والانخفاض نسب التعليم وسوء توزيع الدخل القومي واتساع الفجوة بين قلة تمتلك الكثير وأغلبية عظمى تعيش على الكفاف، ولارتفاع الكثافة السكانية داخل المدن ولتفاقم قضايا التحضر والهجرة السافرة من الرّيف إلى الحضر وتغير السمات الحضارية في المدن الكبيرة والعواصم، وما يمكن أن يترتب عليه من قضايا ومشكلات اجتماعية متعددة، ولعل من أخطرها قضايا الطفولة والشباب وعدم قدرة الدولة على توفير الظروف الاجتماعية والاقتصادية المواتية لاستيعاب تلك الأعداد المتزايدة من السكان عام بعد عام، وما يترتب عليه من تشرد وبطالة...

ففي تلك البيئة الاجتماعية فقط، تظهر النماذج الاجتماعية الطفيلية الضارة بالمجتمع، كالقوادين والوسطاء وتجار المخدرات ورفاق السوء ومخربي العقول بالأفكار البالية والمغلوطة، والسلوكيات الهدامة والحاقدين والمشاغبين....، .... وكل الظواهر الاجتماعية الضارة الناتجة من تقابل عناصر

* دراسة نشرت فى "مجلة النيل" – الهيئة العامة للاستعلامات – القاهرة ١٩٩٠

التخلف من تشرد وفقر وجوع،... وتلاقيها مع الطموح الكاذب والاستفزاز والتطلع الطبقي...

ويلعب الاتصال الشخصي دورا خاصا في تلك الظروف الاجتماعية في حياة الأفراد وترتبط تلك الخصوصية بازدواجية وتعدد وتشابك وتعقد السمات الاجتماعية داخل كل فئة أو جماعة. ولتعدد تلك السمات تتعدد وتتفاوت الأفكار والقيم المتداولة داخل تلك الجماعات والفئات، وفى مقابلة تلك الأفكار والقيم تتفاوت السلوكيات والأنشطة والاتجاهات المختلفة داخل الجماعات والفئات. وتختلف أدوار الاتصال الشخصي باختلاف نوع وخصوصية الهدف وحتى نوضح هذا الدور الخاص يجب أن نفرق بين الاتصال الشخصي الرسمي الذي يتحقق من خلال الأجهزة والقنوات الرسمية وهو اتصال يقوم على أسس محددة ومبادئ معينة صيغت ووضعت وفقا لخطة تحكمها أهداف التنمية المختلفة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتربوية والأيديولوجية السائدة في الدولة، وبين الاتصال الشخصي غير الرسمي، وهذا النوع الأخير من الاتصال لا ينقل بالضرورة فكر المجتمع ولا يتخذ المعلومات الصحيحة محورا لمادته، بل قد تكون تلك المادة بعيدة كل البعد عن أهداف المجتمع الفكرية والثقافية والتنموية، هذا النوع من الاتصال قد يتم بطريقة عشوائية وغير واعية بين جماعات أمية غير قادرة على التحليل وأدراك واستنتاج الفكر الحديث وجوهره وموقفه من القيم والمعتقدات الأصيلة في المجتمع.*

ولما كانت مادة الاتصال الشخصي تتم من خلال شخص إلى شخص أخر أو من خلال شخص إلى مجموعة أو جماعة من الأشخاص بطريقة مباشرة (أو غير مباشرة) – فيمكن القول أن الاتصال الشخصي هو اتصال الجماعات أو الفئات الصغيرة. وهو على عكس الاتصال الجماهيري الذي تتم فيه نقل الأفكار والمعلومات – بطريقة غير مباشرة – من خلال وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري إلى جمهور عريض تتسع رقعته على مسافات بعيدة قد تتعدى الحدود القومية للدولة وذلك وفقا لدرجة التطور التكنولوجي والعلمي فيها.

ومن هنا تتضح أهمية دراسة سيوسيولوجيا الاتصال الشخصي في دول العالم النامي وخاصة غير الرسمي. والذي هو موضع اهتمامنا في هذا البحث

---

* مجلة الدراسات الاعلامية

للعديد من الأسباب لعل أهمها أن المجتمعات النامية والتقليدية ذات الكثافة السكانية العالية ولانتشار الأمية في الريف والمدن وتهالك هياكل البنية الأساسية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خاصة في مجالات التعليم والتربية والرياضة، وعدم قدرة وسائل الاتصال والأعلام الجماهيري على مواجهة تلك القضايا والمشكلات الاجتماعية للعديد من الأسباب التى تخرج عن إطار اهتمامنا في هذا البحث، وقد يلعب الاتصال الشخصي غير الرسمي دورا معرقلا لسياسات التنمية الاجتماعية حيث تنتقل المعتقدات والقيم الخاطئة والسلوكيات الضارة داخل الجماعات الصغيرة، كالجلسات الخاصة فى الريف والحضر، وبداخل الأسر من خلال ما تنقله المرأة والأم من معتقدات وسلوكيات لعدم إدراكها لمبادئ التربية الصحيحة وجوهر القيم. كما قد تنتقل تلك المعتقدات الخاطئة والهدامة بين الشباب والأطفال داخل المدرسة وتجمعات الضياع والملل فيما بينهم.

هذا العرض السابق يقطع بوجود اكثر من قضية تعيشها مجتمعات العالم النامي، وخاصة المجتمعات العربية، وتؤكد على ضرورة دراسة الاتصال الشخصي دراسة سيوسيولوجية لحصر دوره الخاص في تلك الدول وموقفه من تلك القضايا الاجتماعية المتعددة.

فالاتصال الشخصي (غير الرسمي) له أدوار وابعاد تساهم مساهمة فعالة في تفاقم القضايا الاجتماعية والثقافية والتربوية فى تلك المجتمعات.

فدراسة تلك العملية إذا هي ضرورة بحثية يجب ان نضع العديد من الأدوات والوسائل المنهجية لتوضيح أبعادها وحصر خصوصيتها، وديناميتها داخل الجماعات والفئات فى المجتمع المعين.

ولما كانت العلوم الاجتماعية نشأت وتطورت أصلا لرسم إطار منهجي لتحليل ودراسة المجتمع في ديناميته للوقوف على نوعية وخصوصية ومسببات تلك القضايا، من خلال دراسة الفرد والبناء الاجتماعى والثقافة، فيمكن إذا التأكيد على أهمية الدراسات السيوسيولوجية كمدخل هام وحيوي يمكنه الإشارة إلى الحلول، خاصة ونحن في تلك المرحلة من مراحل التطور التاريخى والحضاري وما قد يصيبنا من عدم يقين ووضوح الرؤية، وعدم القدرة على توضيح موقف الفكر الأصيل من الثقافات الإنسانية المتعددة.

أن مهمتنا في ضوء هذا العرض السابق المترامي الأبعاد تنحصر في هدفين يشكلا مراكز ونقاط للانطلاق في البحث والتحليل:

أولاً: حصر طبيعة عملية الاتصال الشخصي داخل الجماعات وبين الأفراد في دول العالم النامي. تلك النقطة أو هذا الهدف لن يتحقق إلا من خلال دراسة عاملين:

١- دراسة طبيعة مادة الاتصال الشخصي.
٢- دراسة دينامية الفرد والجماعة في تلك المجتمعات النامية.

ثانيا: حصر طبيعة المناهج الاجتماعية والتأكيد على أهميتها في رسم إطار نظري يقوم بتحليل وتفسير القضايا التي يمكن أن تثار حول عملية الاتصال الشخصي في دول العالم النامي.

أولا: طبيعة عملية الاتصال الشخصي في دول العالم النامي

يمكن التأكيد على أن الاتصال الشخصي هو عملية ترتبط اشد الارتباط بالجوانب الفكرية والثقافية من طرف والدينامية الاجتماعية من طرف أخر. تلك الحقيقة لم تتأكد إلا بعد أن تطورت مناهج البحث وتأكدت ووضحت معالمها الخاصة بالتحليل وتفسير ميكانيزم عملية الاتصال الشخصي منه والجماهيري.

وفي هذا المجال نؤكد على أهمية بصمة "لازارسفيلد" في مناهج البحث الخاصة بعنصر التأثير فلقد ابرز كيفية انتقال الفكر والمعلومات مؤكدا على دور قادة الرأي والجماعات الأساسية في عملية التأثير والإقناع.

هذا الدور الخاص يؤكد على طبيعة الجماعات الإنسانية التي تنقسم فيما بينها إلى مجموعات وفئات مختلفة. فتلك الخصوصية هي التي توضح وتؤكد على الدور الخاص لقادة الرأي والجماعات الأساسية في نقل المعارف والمعلومات بين تلك الفئات الاجتماعية المختلفة وما يقومون به من سلوك وانعاكسات مختلفة.

فمن خلال دراسة هذا النوع من انتقال الفكر والسلوك والمعارف في حدود ضيقة بين جماعات وفئات اجتماعية يعيش بعضها، أن لم يكن أكثرها، على هامش المدنية الحديثة، يمكن حصر العديد من القضايا، وتنقسم إلى نوعين:
(أ) قضايا فكرية: ترتبط بمضمون هذا النوع من الاتصال.
ب- قضايا هيكلية: وترتبط اشد الارتباط بهياكل البنية الأساسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.
(أ) قضايا فكرية وترتبط بمضمون مادة الاتصال الشخصي:

ففى الدول النامية يلعب الاتصال الشخصى دورا خاصا ومميزا فى نقــل الفكر والمعلومات والقيم بين أفراد وجماعات وفئات فى مجتمع كثرت به القضايا والمشكلات الاجتماعية وتعددت مظاهرها وتشابكت.

ففى تلك البيئة الاجتماعية تتضح إذا أهمية التعرف على كيفيـــة تنــاول الفكر الأصيل والثقافات والمعلومات المختلفة فيما بين تلك الجماعات والأفـــراد والفئات الأقل حظا من التعليم والثقافة والوضع الاجتماعي والاقتصادي، أي فيما بين تلك الجماعات والأفراد التى لم يتطور اطارها المعرفى إلا فى حدود ضيقة، وربما لم يتطور هذا الإطار على الإطلاق نتيجة لمشكلات اجتماعية واقتصاديـــة وحضارية يعانى منها المجتمع الذي يعيشون فيه.

بهذا المفهوم يمكن وضع منهجا لدراسة تلك القضايا الفكرية من خـــلال حصر أهم العناصر التي تحدد فكر وثقافة تلك الفئات والجماعات من الداخل أي تأثير للعوامل الداخلية التي تؤثر على تكوين هذا الفكر وسماته. ومن الخارج أي تأثير العوامل الخارجية على مضمون هذا الفكر.

أن دراسة تلك الأفكار والمعتقدات من الداخل والتى تشكل فعلا مضمون مادة الاتصال الشخصى لها فائدة وأهمية كبيرة لاعتبارات متعددة لعل أهمهـــا ازدياد المعتقدات الخاطئة الدخيلة على المجتمع العربى نتيجة للتفســير الخــاطئ لبعض القيم ولبعض أجزاء الفكر الأصيل، راح يروج لهـــا سماســـرة الأفكــار الهدامة، كما ساعدت وسائل الأعلام والثقافة في المجتمع حتى يداخل المضمون الاعلامى للبرامج الاذاعية والتليفزيونية والفقرات العربية، وذلك لأسباب يخـــرج تحليلها والإشارة إلى أسبابها عن إطار هذا البحث.

لقد اصبح إذا مضمون الاتصال الشخصى خاصة غير الرسمى متعـــدد النزعة والاتجاه والأهداف، وقد يفرض سلوكيات تضاعف من المظاهر المعاكسة لمشروعات التنمية الاجتماعية والفكرية ولإمكانيات تطبيقها.

وهناك العديد من المناهج تقوم بدراسة وتحليل مضمون مادة الاتصـــال من الداخل. ولعل أهم تلك المناهج هي التي تضع أسس علمية لدراســـة كيفيـــة تطور الفكر من معتقدات وقيم أصيلة في المجتمع داخل تلك الجماعات والفئـــات الاجتماعية ودراسة مظاهر هذا الفكـــر وحصـــر انعكاســـاته أي حصـــر أهـــم السلوكيات التى تتصف بها تلك الجماعات المختلفة.

وفى هذا المجال نشير الى اهمية النظرية الاجتماعية للفعل الاجتماعى، تلك النظرية تؤكد على اهمية تحليل المعانى والافكار، فهى من الاسباب الرئيسية للفعل والسلوك الاجتماعى فالفعل الاجتماعى هو انعكاس للمعنى، اى ان المعنى هو العنصر المحرك للفعل الاجتماعى.

وفى هذا المجال نؤكد على تلك النظرية، لانها ترتبط اشد الارتباط بجوهر وموضوع بحثنا. على اعتبار ان موضوع ومادة الاتصال الشخصى والذى يدور حول موضوع او موضوعات معينة ويشكل مضمون ومادة الاتصال فهو يشكل بالضرورة عناصر الفعل والسلوك الاجتماعى. (*)

أما دراسة الفكر من الخارج، يمكن أن يتحقق من خلال تحديد وحصر المقومات والعوامل المتعددة. المرتبطة بمسيرة المجتمع ككل وعلاقة تلك المسيرة الحضارية بالفكر والثقافة والقيم، أي تحديد العوامل التي ساعدت على تطور الفكر الاجتماعي وحصر الثغرات الاجتماعية والحضارية التي تعوق تطوره ومسيرته لمواجهة التطور الحضارى.

ومن خلال هذا المنطلق يمكن القول أن تحديد مضمون مادة الاتصال الشخصى وقياسها لن يتحقق إلا من خلال التعرف على ما هيأت له العملية الاجتماعية والحضارية والثقافية والتكنولوجية من معتقدات وما ساهمت به من تطوير في مفهوم القيم التقليدية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تحليل ودراسة سلوكيات الأفراد والجماعات للتعرف على نمط حياتهم اليومية وتحديد العوامل التي ساعدت وهيأت إلى تطوير المعاني والأفكار في أذهانهم فلا زالت هناك العديد من المعاني التي لم تتطور في فكر الأفراد والجماعات نتيجة لعدم تطور الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. ويساهم الاتصال الشخصى المنغلق والصادر من قادة للرأى غير واعين بجوهر القيم والفكر في مضاعفة قضايا التطور الفكري والاجتماعى.

من خلال هذا المنظور البحثي يمكننا تحديد خطوات منهجية لدراسة مضمون مادة الاتصال الشخصى.

(*) انظر فى ذلك

- Y. Duvignaud. Sociologie. de la Connaissance. Payot. Paris 1979.

ايضا

- E Morin Sociologie. Fayard, Paris. 1984.

١- حصر ودراسة فكر قادة الرأى.
٢- حصر ودراسة السلوك الفعلى للأفراد والجماعات في الأحيـــاء والمنــاطق المنغلقة.

إذا يمكن القول أن ملامح الثقافة غير الرسمية أو الثقافة الجانبية والتـــي تظهر في صورة انعكاسات سلوكية تتحدد وفقا للعلاقات الجدليـــة بيــن الطبقــة المروجة للفكر أو قادة الرأي وبيـــن الطبقــات الاجتماعيـــة وخاصـــة الفئــات والجماعات الأمية التي لا تزال تتحرك من خلال منطلق سمعي أي تزال تحـــت تأثير الشكل الشفوي لنقل المعرفة.

فالانطلاق مثلا من دراسة الظواهـــر الاجتماعيـــة الضـــارة بـــالمجتمع كظاهرة التشرد والسرقة والتسول والإدمان والضيـــاع... وبعـــض الســلوكيات والعادات الضارة بالمجتمع في الريف والمدن تمكننا الوقوف على التأثير الضار للاتصال الشخصى فى بعض المناطق المنغلقة.

ونؤكد مع رواد المدرسة الفرنسية لعلوم الاجتماع فى هـــذا الصـــدد أن الأفراد والجماعات والفئات فى المجتمع الذين يعيشون الواقع الاجتماعي بنمـــط واحد من الممارسات الاجتماعية ينطلق إدراكهم للقيم والعادات والتقاليد من خلال محددات ومقومات اجتماعية واقتصادية وفكرية واحدة. غير أن التعليـــم ومحـــو الأمية الفكرية يمكنه من تحجيم أضرار الاتصال الشخصي غير السوى.

وحتى نزيد في توضيح أهمية هذه المناهج التي تـــدرس وتحلـــل مـــادة ومضمون الاتصال الشخصي، نضع ثلاثة مستويات للتحليل والدراسة:

المستوى الأول:
حصر المفاهيم المختلفة بداخل الجماعات الطفيلية: أي تلـــك الجماعـــات والفئات التي تعيش على هامش الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في المجتمع.

فمن المفيد مثلا تحليل ودراسة تلك الإحياء المغلقة مثلا كحي البساتين بالقاهرة ... والقيام بالدراسات الاجتماعية المتعددة من خلال دراسة فكـــر قـــادة الرأي حتى يمكن الوصول إلى تلك المفاهيم المختلفة التى تنتشر بداخل الجماعات ويتبادلها الأفراد فى تلك اللقاءات الخاصة بالمقاهي، كما يمكن حصر فكر المرأة

والأم من خلال دراسة موقفها من بعض القضايا الاجتماعية المختلفة من تربوية وعقائدية...

المستوى الثانى: دراسة الانعكاس والسلوك

ويمكن تحديد مضمون مادة الاتصال الشخصي (غير الرسمي) من خلال حصر أهم السلوكيات والاتجاهات الاجتماعية داخل تلك الجماعات المغلقة، وذلك عن طريق دراسات الانعكاس "Reflexions" أى ردود الأفعال تجاه القضايا والمفاهيم المختلفة في صورة سلوك واقعي محسوس.

ويبدو أهمية دراسة الانعكاس من خلال تعريف "بافلوف" في نظريته عن الإحساس إذ يؤكد على دور الانعكاس الذاتي للواقع الموضوعي والذي يتحدد من خلال تلك الصلة المباشرة بين الوعى والعالم الخارجى.

فإحساسنا بالعالم الخارجي مثلا لا يمكن أن يتم إلا من خلال توافر عنصر الانعكاس أو بمعنى أخر السلوك الواقعي للفرد. وفى غياب هذا العنصر لا يمكن التأكيد على أن هناك استيعاب وفهم كامل للأفكار والمعارف والمعلومات.

فمراقبة إذا سلوكيات الام مثلا فى تلك الأحياء المعزولة عن المدينة يمكن أن تفيد الباحث اكثر إفادة للوقوف على نوع وجوهر المعتقدات والفكر الذي يشكل إحساسها وسلوكها.

المستوى الثالث:

دراسة ديناميكية النشاط الإنسانى داخل الجماعات والفئات في تلك الأحياء والمناطق المختلفة في المدن والريف. ويتحقق هذا المستوى من الدراسة من خلال تحديد العناصر الداخلة في ديناميكية النشاط الإنساني المنتج منه وغير المنتج.

فتحديد كيفية تعامل الفرد مع رصيد حياته اليومية الذي ينقسم ما بين أوقات للعمل المنتج، وأوقات أو فترات للفراغ والراحة، ففي المجتمعات المتقدمة وذلك على عكس الدول النامية ونتيجة لما تهيئة الدولة لإقامة بيئة اجتماعية صالحة، يمكن اعتبار أوقات الفراغ من العناصر الداخلة في تشكيل النشاط الإنساني المنتج. ولن نطيل في تحليل تلك النقطة حيث فسحنا لها مجال في بحث متسع أخر.

ويمكن الإشارة السريعة إلي أن تحديد كيفية تعامل الفرد مع رصيد حياته اليومية المنتج منه وغير المنتج، إنما تحدد في واقع الأمر كيفية اسـتغلاله لهـذا الرصيد.

فالقاعدة العامة تشير إلى انه كلما طفى النشاط الإنساني غير المنتج فـي بيئة اجتماعية غير مواتية كلما كانت هناك إمكانية لاستغلاله بطريقة عشـوائية، وفى اغلب الأحيان بطريقة ضارة بالمجتمع ككـل، أي كلمـا زادت احتمـالات الانحراف والتشرد والتسول وابتكار الخطط الضارة بالمجتمع ومؤسساته.

ومن هنا أصبحت دراسة حياة الأفراد وكيفية تقسيمها لميزانيـة النشـاط اليومي المنتج منه وغير المنتج أي دراسة وتحليل السلوك الإنساني داخل أوقات الفراغ، وقياس ما ينفقه من ساعات وأيام داخل المقهى والنادى أن وجد ومعاشرة أهل السوء وما ينتج عنه من سلوك اجتماعي يضر بالمجتمع ككـل، كـل هـذه العوامل إنما تقدم وسائل هامة لتطويق الظواهر الاجتماعية الضـارة بـالمجتمع وبالفكر والقيم.

ولكن لا يمكن أن تكتمل دراستنا عن دينامية النشـاط الإنسـاني المنتج منه وغير المنتج بدون دراسة لهياكل البنية الأساسية الاجتماعية والثقافية والرياضية والإعلامية... والتعليمية والتربويـة.. الـخ وفقـا لمنـاهج البحـث الاجتماعية الموضوعية فتشكل تلك المعطيات ضرورة بحثية لا يمكن تجاهلها.
فتحديد وحصر عامل المنافسه بين تلك الوسائل والمؤسسـات الثقافيـة والتربوية والتعليمية... والاقتصادية.. تحدد وتشير في واقع الأمر إلى الإمكانيات المتاحة فعلا في المجتمع للترفيه والتثقيف،... هذا المنطلق التحليلي يضيـف إذا بعدا بحثيا هاما لدراسة الاتصال الشخصي والجمـاهيري، تلـك النقـاط قمنـا بتوضيحها بمزيد من التحليل في بحث أخر.

إذا لا يمكن إغفال وتجاهل العامل الاجتماعي في التحليل وتفسير ديناميه الجماعة والأفراد وتحديد موقف الاتصال الشخصي من تلك الدينامية الاجتماعية.
ومن هنا كانت أهمية دراسة هياكل البنية الأساسية الاجتماعية والثقافيـة والاقتصادية والسياسية في المجتمعات النامية.

ثانيا: طبيعة العلوم الاجتماعية وأهمية مناهجها
أن دراسة طبيعة العلوم الاجتماعية ومناهجها المختلفة تمثـل ضـرورة بحثية لحصر أهمية المداخل السيوسيولوجية لعملية الاتصال الجمـاهيري منـه

والشخصي، وللتأكيد على جانبين، الأول، ضرورة القيام بهذه الدراسات المختلفة خاصة في دول العالم النامي والثاني لحصر خصائص عملية الاتصال والعوامل المتعددة التي تحدد سلبيات وإيجابيات تلك العملية والتي هي في واقع الأمر عملية اجتماعية.

فالمجتمع يشكل الأساس الذي يبنى عليه كل شئ، فمن خلال تحليل بنية المجتمع يمكن حصر أهم خصائص عملية الاتصال وفاعليتها، وذلك لارتباطها ارتباطا عضويا بالبناء الاجتماعي. تلك الرؤية التحليلية هي وحدها القادرة على تفسير وتحليل الأدوار الوظيفية والاجتماعية المتعددة.

فنحن في تلك المرحلة من مراحل التطوّر الاجتماعي والتغير في بناء المجتمع العربي وخصائصه العامة، في اشد الحاجة إلى علوم الاجتماع لحصر ودراسة القضايا والإشكاليات المتعددة.

فالبحث الاجتماعي يحلل المجتمع من خلال تغيره وتطوره ويحلل عواقب هذا التغير على الفرد والبناء الاجتماعي والثقافي.

ولما كان الاتصال الجماهيري منه والشخصي يرتبط ارتباطا عضويا بالبناء الاجتماعي والثقافي، فهو عملية متطورة ومتغيرة أي عملية ديناميكية وليست استاتيكية.

فكما أشرنا من قبل ونحن بصدد تحليل طبيعة عملية الاتصال الشخصي، انه من خلال تحليل مقومات مضمون الفكر ومادة الاتصال يمكننا تحديد فكر قادة الرأي واتجاهاته، كما يمكننا من خلال تحليل ودراسة دينامية النشاط الإنساني وهياكل البنية الأساسية في المجتمع. وتحديد الانعكاس أو ردود الأفعال الفعلية يمكننا تطويق أهم المقومات والعوامل التي تتدخل في تحديد مادة ومضمون الاتصال الشخصي، واهم السلوكيات والقيم الضارة بالمجتمع.

تلك العناصر السابقة تدخل في صميم الدراسات الاجتماعية ومن هنا كان اهتمامنا بدراسة طبيعية تلك العلوم لأهميتها في تقديم مناهج صالحة تفيد كثيرا في الدراسات الإعلامية ودراسات الاتصال بصفة عامة.

وذلك من خلال المراحل التالية:
أولا: الإشارة إلى موضوع وطبيعة علم الاجتماع.
ثانيا: الإشارة إلى موضوع وطبيعة الانثروبولوجيا.
ثالثا: الإشارة إلى طبيعة وموضوع علم اجتماع المعرفة.

أن الفكر والنشاط العلمي يتطور مع تطور الحاجة إلى فـروض جديـدة تعيد دراسة اللاتوازنات الاجتماعية التي تحدثها عملية التغير في موازين القـوى بين الطبقات والفئات الاجتماعية المتعددة، فكل خلل يحدث في التوازن القائم في البنية الاجتماعية يؤدى إلى نشاط علمي وفكـري محاولـة لتطويـق سـلبيات ومسببات هذا الخلل.

ولأهمية البحوث الاجتماعية في مجالات الاتصال نضيف نبذة عن أهـم التيارات العلمية التي ساعدت على إبراز أهمية تلـك العلـوم وسـاعدت علـى انطلاقها من الصبغة الفلسفية الخالصة إلى الصبغة العلميـة التحليليـة. واولـى مدارس الفكر الأوروبي في هذا المجال كانت المدرسة الفرنسية.

إذ كان لفكر "اوجست كونت" و "ايميل دوركهايم" فضل في تأسيس تلـك المدرسة الفكرية واهم ما يمكن الإشارة اليه هو أن هذا الاتجاه الفكـري ارتبـط بالجانب التنظيرى الأكاديمي، فلها الفضل الأكبر في تطبيـق المنهـج العلمـي وتنظير العلم بعد أن كانت الدراسات السائدة دراسات فلسفية.

تلك البصمة اعتبرت نقلة كبيرة في الفكر الأوروبي. فكان لفكر "كونـت" و"دوركهايم" اكبر الأثر في تحرير العلوم الاجتماعية من العلوم الأدبية.

اما المدرسة الأمريكية (التي يتبع مناهجها اغلب الباحثين العـرب فـي التحليل والدراسة)، فكان لها اتجاها مغايرا للمدرسة السابقة، إذا لم ترتكز علـى هذا الجانب التنظيرى بل ركزت على تلك الجوانب الميدانية، رغبة من علمـاء الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية في إثارة الاهتمام بدراسة البيئة والسلوك بعد الحرب العالمية الأولى ولقد اتصفت تلك الدراسات بالطابع الصحفي اكثر منه بالطابع الأكاديمي التنظيرى.

فأصبحت منذ ذلك الحين طرق البحث الميداني من أهم الطرق المستغلة في الولايات المتحدة.

أما مدرسة السوفيتية الاشتراكية فلقد تباينت أهمية تلك العلوم في المجتمع الاشتراكي بتباين وتغير السلطة السياسية فلقد حوربت العلوم الاجتماعية مثلا في عهد "ستالين" إذا اعتبرت السلطة السياسية تلك العلوم الاجتماعية علوما هامشية تناسب الطبقة البورجوازية الصغيرة فهي علوم بلا فائدة.

ولكن وبعد ذلك تغيرت النظرة إلى تلك العلوم واتضحت أهميتهـا فـي الاتحاد السوفيتي وانشئ أول معهد للعلوم الاجتماعية في سنه ١٩٦٨.

تلك اللمحة السريعة عن أهم المدارس الرائدة في مجالات العلوم الاجتماعية قدمت إلى جانب المدرسة الألمانية، العديد من المفاهيم التي أصبحت محاور ومناهج ومتطلبات ووسائل للبحث العلمي الموضوعي في المجالات الاجتماعية المختلفة.

ولما كانت دراسات الاتصال كما رأينا هي دراسات في حد ذاتها دراسات متصلة اتصالا وثيقا بمناهج البحث الاجتماعي، فنحن في هذا الصدد نجمل بعضها وذلك من خلال الإشارة إلى بعض المفاهيم الخاصة بتلك العلوم، ولأهميتها في رسم إطار منهجي لدراسة سيوسيولوجية الاتصال الشخصي في دول العالم النامي.

ومن الجدير بالذكر أن أهم صفة تميز الدراسات الاجتماعية هي الدراسات "الماكرو" (MACRO) والدراسات "الميكرو" (MICRO) ومن المفيد الإشارة إلى تلك الدراسات وتوضيح الفروق فيما بينهما.

فالدراسات الاجتماعية هي دراسات تهدف إلى تحليل ودراسة الفرد والبناء الاجتماعي والثقافة أي تدرس مثلا تأثير الشروط الفردية على ردود الإنتاج الكلى، ولا يمكن دراسة هذا الجزء دون الرجوع إلى الكل أي الرجوع إلى المجتمع وبنيته.

فمهمة الدراسة الاجتماعية إذا هي الكشف عن بنية هذا النظام فيجب على علماء الاجتماع اللجوء إلى الدراسات الشاملة الكلية والدراسات الضيقة الخاصة بقطاع من القطاعات الاجتماعية كأساس للتحليل والدراسة وذلك للكشف عن بنية هذا النظام والذي هو انعكاس لواقع اجتماعي معين.

ولتبسيط وجهة نظرنا نقوم في هذا المجال بالإشارة إلى ما نعنيه بالدراسة الماكرو والدراسة الميكرو أو دراسة دينامية الجماعة.

(أ) الدراسة الميكرو MICRO – ويقصد به وضع مجموعة من المجموعات الاجتماعية تحت التحليل والدراسة المنهجية لمعرفة القوانين الداخلية التي تحكمها، ويمكن النظر إلى تلك القوانين الداخلية على أنها تنظم الممارسات والسلوك الاجتماعي الداخلي إي السلوك والممارسات الاجتماعية داخل الجماعة كالممارسات الاقتصادية والدينية، والثقافية، والرياضية ... الخ ...

فالجماعة ما هي إلا مجموعة من الأشخاص تجمعهم دوافع مختلفة ومتغيرة كالحياة العائلية والسياسية...

ولقد أطلق كيرت ليفن على تلك الممارسات والنشاطات الاجتماعية تعبير دينامية الجماعة، فدراسة دينامية الجماعة التي تخضع للتحليل النظامي يمكن من خلالها معرفة مقومات ودوافع وخصائص تلك الممارسات والنشاطات المختلفة داخل الجماعة.

ولقد أشرنا من قبل إلى مفهوم دينامية النشاط الإنساني والذي يتكون من النشاط الإنساني المنتج وغير المنتج لتحديد كيفية تعامل الفرد مع الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ... الخ.

ولا يجب النظر إلى تلك الجماعات الميكرو على أنها منفصلة عن المجتمع ككل، فهناك مقومات اجتماعية وثقافية واقتصادية تخضع لها البنية الاجتماعية.

فالدراسة الميكرو تخضع إذا للدراسة الماكرو.

(ب) الدراسات الاجتماعية الشاملة:
وهى دراسات تعتمد على الملاحظة الكلية وتعتمد على ثوابت الحياة الاجتماعية. تلك الدراسات تتصل بعلوم اجتماعية متعددة كالانثروبولوجيا والاثنولوجيا...

فهي دراسات هامة لوصف المجتمعات والشعوب بصفة شاملة ولقد اهتم الباحثين في الغرب بتلك الدراسات منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

أما الدراسات الاجتماعية الشاملة الحديثة فهي تقوم علي ربط الانظمة الاجتماعية المختلفة بالبناء الاجتماعي بقصد تحليله ودراسته وتحديد وحصر علاقة هذا النظام بالنظم الاجتماعية الأخرى.

والى جانب هذين النوعين من المناهج هناك الدراسة المعرفية المتصلة بالثقافة والمعرفة بصفة عامة.
تلك النظم المعرفية ترتبط اشد الارتباط بالتطور الثقافي والاجتماعي والعلمي.

فمضمون عملية الاتصال يمكن النظر إليه واعتباره نتاج اجتماعي وثقافي وظاهرة اجتماعية مرتبطة بالنظام المعرفي والتطور العلمي والحضاري في المجتمع.

ويمكن القول أن دراسة تلك العلاقة له مداخل متعددة، فقد نقوم بدراستها من خلال تأثير تلك النتاجات الفكرية على المتلقي الفرد أو الجماعة، كما قد نقوم بدراستها أي دراسة علاقة هذه النتاجات الفكرية والثقافية بالواقع الفكري والاجتماعي لمجتمع بعينه، أو قد نقوم بدراسة علاقة وطرق تناقل الفكر أو المعرفة ومضمونها بالنتاجات الفكرية والثقافية. إذا تدخل تلك الدراسات في صميم علم اجتماع المعرفة.

فمن خلال العرض السابق الشديد الانتقائية يتضح أمامنا إذا أهمية المنطلقات الاجتماعية لدراسة الاتصال الشخصي.

ونؤكد في ختام هذا البحث على ضرورة البحوث الاجتماعية وأهميتها في تلك المرحلة من مراحل التطور الاجتماعي والثقافي والحضاري ونحن مطالبون في دول العالم العربي بالقيام بالدراسات الاجتماعية ووضع استراتيجية قومية لتلك الدراسات التي يجب أن تتبناها مراكز البحوث الاجتماعية المنتشرة في تلك الدول لحصر أهم المقومات الاجتماعية لتحليل ودراسة البنية الاجتماعية والغوص في أغوارها، للكشف عن أدق الخصائص ومعرفة جوهر الحقائق حتى يمكن تحديد الموقف الاجتماعي والثقافي والسياسي الحديث من الفكر والقيم العربية الأصيلة – هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تحليل ودراسة العلاقات السائدة داخل الجماعات والفئات المختلفة في الريف والحضر حتى نحصر بدقة أهم السلبيات التي تعترض مسيرة المجتمع العربي في العصر الحديث.

هذا المشروع القومي سوف يفيد كثيرا في مجالات متعددة كالتربية والتعليم والثقافة والأعلام والاتصال والسياسة والاقتصاد.

الخاتمة:

فى ختام هذه الدراسات يمكن التاكيد على نقطتين اساسـيتين توضحـان اهمية العناية بالاعلام التليفزيونى العربي كقوة تستطيع ان تساهم فى حل قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية الفكرية.

النقطة الاولى: الربط بين الاتصال واللغة العربية الوسيطة:

يتضح مما قمنا بتحليلة وعرضه اهمية الربط بين اللغة العربية الوسيطة التى تكون ثقافة الاتصال، الجماهيرى وحفظ التراث الفكرى العربى.
فاللغة العربية الوسيطة التى هى نتاج مجهود ثقافى متواصل هى القادرة

على توصيل المعلومة الجامدة فى شكل صحفى او ادبى او درامـى اذاعـى او تليفزيونى بسيط يمكن ان يتفهمه المستقبل فبعد ان كـانت الثقافـة فـى شـكلها الكلاسيكى التقليدى من شعر، ونثر، وتاريخ وتراث معرفى لا يستطيع ان يتفهمه الجميع، اصبحت فى متناول جمهور عريـض، جمهـور الصحافـة المكتوبـة وجمهور القصة الحديثة والسينما والاذاعة والتليفزيون - هذه الادوات الاعلامية والصحافية بصفة خاصة استطاعت من خلال مجهودات طائلة ان تكثف الاحداث وتنقلها فى شكل يتناسب مع تلك الادوات الاعلامية والثقافية الحديثة من خـلال لغة اعلامية وسيطة.

يتضح مما قمنا بتحليله وعرضه اهمية اللغة العربية الوسيطة ونؤكد فى هذا المجال ما ساهمت به مصر من دور رائد منذ نهضتها الثقافية فى (منتصف القرن التاسع عشر). وما قدمته من اسهامات فكرية ومعرفية فى مجالات العلوم والتربية والتعليم والادب شعرا ونثرا وصحافة ومضمون موسيقى وغنائى راحت الاذاعة المصرية كأول اذاعة فى الوطن العربي تقوم بنقل هذا المضمـون الـى الملايين المتناثرة فى الوطن العربي وقد ساعد هذا الانتشار على نشأة المسـرح والسينما والتليفزيون فيما بعد.

فبدون هذا المجهود الفكرى أولا الذى ساعد على انتشار تلك اللغة فـى جميع انحاء الوطن العربى وتقبلها واستساغتها من الفئات الاجتماعيـة العربيـة المختلفة لما استطعنا التنبوء بدورها الاساسى فى حفظ التراث فيكفى ان نشير فى

هذا الصدد الى رواج الاغنية والفيلم والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية العربية وهى كلها تستغل لغة وسيطة يتفهما الجميع.

هذا العامل الهام وهو سيادة اللغة الاعلامية فى وسائل الاعلام الجماهيرى خاصة المرئى المسموع على اعتبار سهولة انتشارها وتاثيرها لما اقدمنا على التأكيد على اهمية انتاج مضمون اعلامى متنوع ثقافى واخبارى ودرامى يتناول التراث والقضايا التى يعيشها المواطن العربي اى سيساعد على انتاج مضمون ثقافة الاتصال الجماهيرى وسيساعد بالتاكيد على تحجيم خطورة مضمون برامج التليفزيون الدولى والفيلم السينمائى الغربى.

لقد استغلت القوى السياسية والاقتصادية فى الدول المتقدمة فى الغرب صناعة الثقافة التليفزيونية كوسيلة حديثة للنفاذ الاقتصادى وتسويق الافكار - لسهولتها فى التاثير من خلال اللون والحركة وعمليات الابهار والموسيقى ... الخ. فتحول من الاستعمار الكلاسيكى الى استعمار جديد قوامه تكنولوجيا المعلومات والانتاج الثقافى.

ولتلك الاغراض والاهداف الاستعمارية وضعت الحركة الصهيونية منذ نشأتها استراتيجية للاعلام تقوم على اسس تنسجم فيها واهداف تلك الحركة ومصالحها. فوظفت لهذا الغرض مختلف الادوات الادبية من شعر وقصة وقصيدة ورواية وافلام سينمائية وتليفزيونيةمتعدده لتغذية مضمون وسائل الاعلام الجماهيرى بصفة عامة وبصفة خاصة المرئى والمسموع منه من (فيلم سينمائى ودراما تليفزيونية بل، عملت على اعادة كتابة التاريخ العربى بطريقة تسهل تحقيق اغراضها واهدافها البعيدة الاجل والقريبة بهدف تشكيك الشباب العربى فى تاريخه وتراثه وقيمه.

ويتضح مما تقدم اهمية اللغة الاعلامية العربية كوسيلة واداة لنقل القيم العربية والاسلامية وايضا لنقل تراثنا وتاريخنا وللاعلام المضاد عن طريق الثقافة التليفزيونية اى عن طريق تسويق افكار تاريخية وحقائق مضاده للادعاءات الكاذبة والتى تسوقها بعض الدول المغرضة..

فلدينا ثقافتنا العربية التى تزخر بالمعرفة والعلم يجب العمل على اخراجها من اطارها وشكلها اللغوى الجامد ونعنى العمل على اعادة صياغتها باستعمال اللغة الاعلامية التليفزيونية. واستغلالها فى تغذية محتوى الوسائل الاعلامية المرئية والمسموعة.

انها من وجهة نظرنا وسيلة لتحجيم قضايا التطور فى تكنولوجيا الاعلام والاتصال الجماهيرى وايضا وسيلة لحصر اشكاليات وقضايا التبعية الاعلامية والثقافية والتصدى لمحاولة تشويه وجهنا الحضارى والثقافى.

النقطة الثانية: اهمية التعليم لتنمية قدرات الجمهور التليفزيونى:

اتضح مما تقدم ان المبدا الذى تقوم عليه لغة الصورة المتحركة هو: ارتكازها على قاعدة فكرية وثقافية اساسها الكلمة المكتوبة القادرة على عملية الايضاح والتفسير للظواهر الاجتماعية والانسانية المختلفة.

فبدون فهم للاحداث بتفاصيلها عن طريق الفكر المكتوب من خلال الصحيفة والكتاب، لايمكن فهم عمليات الابداع والتعبير من خلال الصورة التليفزيونية التى تقوم بالتجريد والتكثيف، فهى عملية ابداعية عن طريق كتابة السيناريو والاخراج والمونتاج اى تجريد الكلمات الى لقطات وصفية وحسية للواقع والاحداث ووفقا للمستوى الثقافى والفكرى والاجتماعى لعدد من المثقفين والمفكرين الذين يقومون بتلك العمليات الفكرية والثقافية فى المجتمع.

تلك الخصوصيات تفترض حدا من الممارسات المنطقية لدى المستقبل الاعلامى، (الجمهور التليفزيونى) ولايمكن توافرها بدون التعليم، تعليم القراءة والكتابة، اى المرور بحضارة الفكر المكتوب الذى من شأنه تنمية القدرات والمهارات الانسانية.

ان الكلمة المكتوبة اذا هى اساس المعرفة التكنولوجية الحديثة وتمثل ايضا اساس الادراك الحسي والمنطقي وهو ما يمكن استخلاصه من دراسات علماء النفس والتربية، امثال بياجيه، وروز، وبوب ساميز ودافيد جاليه .. الخ. لقد اوضحت هذه الدراسات اهمية القراءة والكتابة والعمليات الحسابية كاساس للمهارات والقدرات فى الترتيب المنطقى. فالفرد لا يمكنه المساهمة الايجابية فى العملية الثقافية والاعلامية الا بعد سيطرته على تلك المهارات الثلاث. ولا نقصد هنا ان التعليم شرط اساسي للتعرض الى برامج التليفزيون المتعددة. فليس هناك ما يمنع المتلقى الامى من التعرض الى اكثر البرامج تعقيدا. ان القضية الاساسية التى نود ابرازها هى قدرة الفرد على اختيار النافع، ورفض كل ما يضر

ويتعارض مع قيم وتقاليد المجتمع. ان تلك النظرة النقدية ان تتحقـق الا بتوافـر الشروط الاجتماعية والثقافية اللازمة.

يقودنا هذا التحليل الى ادراك سلبيات البيئة الاعلامية العربية وتخلفهـا، خاصة فيما يتعلق بنسب التعليم المنخفضه. فمن خلال الاحصائيات المختلفة التى قدمت فى اواخر التسعينات والتى تشير الى ان اعداد الذيـن يعرفـون القـراءة والكتابة، فى نصف الدول العربية تصل فى بعض الاحيان الى الى اقل من ٢٥٪ . فلا تزال الاقطار العربية المختلفة تعـانى مـن تلـك الظـاهرة الاجتماعيـة والتعليمية.

ونحن لانقصد بالتعليم هو مجرد الالمام باصول اللغة ومعرفة قراءتها وكتابتهـا انما قصدنا من التعليم كاداة لنقل الثقافة المكتوبة وواسطة لاكتشـافها والاطـلاع عليها.

ان مجرد معرفة الكتابة والقراءة لاتضف الكثير الى القدرات الانسانية ما لم توظف الى تنمية القدرات والانفتاح على الثقافة والمعرفة. واذا طبقنـا هـذه المناهج جميعا فى دراسة مقومات البيئة الاعلامية الجديـدة، لادركنـا التبـاعد والهوة العميقة التى تفصل بيئتنا العربية للاعلام والاتصال الجماهيرى وبيئـات العالم الغربى الصناعى المتقدم من حيث كثافة التعليم وادوات الثقافة والاعـلام المكتوبِ وتعدد اشكاله وادواته. ولعل اهـم تلـك الادوات الصحفيـة والكتـاب والتوسع فى نشر هذه الادوات بطرق ديمقراطية وتشجيع قراءتهـا. ولا ادعـى غياب الكتاب والصحيفة العربية كلية عن حياتنا الثقافية ولكـن غيـاب الوعـى الثقافى والاعلامى الذى يتمثل فى ضالة نسب الاطلاع والقراءة واتخاذها عـادة ونمطا يوميا للسلوك.

ان اهمية القراءة والاطلاع، وعلاقتهما برقى الحياة الانسانية وتطورهما وتعددهما، ولعل اهمهما تجنب الانقياد الى الوسائل الترفيهية السهلة التى تسـاهم الى حد بعيد فى تحطيم وتهديم الارادة البشرية. ان مجرد المشاهدة العابرة فـى عواصم ومدن الاقطار العربية العديدة بجانب الملاحظة الدقيقة تؤكد لنـا اوجـة الفراغ الثقافى الذى يعيشه شباب العالم العربى وهو يحاول جاهدا ملاه بوسـائل التسلية السهلة، ولعل اكثر تلك الوسائل انتشارا نوادى الفيديو المخصصـة لبيـع وتاجير افلام وشرائط قد تبث افكارا من شانها تحطيم الشخصية وعرقلة نموها.

وتفوق اعداد هذه النوادى اعداد المكاتب المخصصه لبيع الكتب، كما تفوق ايضا اعداد صالات العرض السينمائى التى غالبا ما تعرض افلاما مرت بين ايدى الرقابة الوطنية.

ان هدفنا من اثارة تلك الملاحظات هو التاكيد على ضرورة اهمية دراسة هذه الجوانب دراسة اجتماعية دقيقة. وتحليل البيئة الاعلامية العربية تحليلا علميا يستند الى المناهج المتعددة من ميدانية ووصفية.

ونتساءل عن كيفية وضع نظرية عربية للاتصال والاعلام الجماهيرى، ونحن لم نحلل بعد المداخل الاجتماعية والثقافية، ولم نقم بدراسات تحدد نظم العلاقات الاجتماعية وتحديد سلوكيات الجمهور المستقبلة للوسائل الاعلامية المختلفة. وتحليل مضمون تلك الوسائل واستكشاف التداخل بين النظم اللغوية المتعددة ومقوماتها وبصفة عامة حصر المعلومات والدراسات العلمية الكافية لتحديد مقومات وعناصر البيئة الاعلامية، وخاصة ونحن على مشارف اتصالات الفضاء.

لابد من وجهة نظرنا ان يتجه علماء الاتصال والاعلام الجماهيرى العرب الى دراسة هذه النقاط والتى تشكل مقدمة ضرورية تسبق نظرية عربية تستمد فروضها من واقع بيئتنا وقضايانا.

انطلاقا مما سبق يمكن التاكيد على اهمية العامل الثقافى والمعرفى بصفة عامة كعنصر مرجع لتحجيم قضايا تكنولوجيا العالم النامى فى مواجهة التليفزيون وقنواته الفضائية وحتى نوضح هذه النتيجة الهامة نقوم بالتاكيد على اهمية الثقافة المكتوبة او النظم الخطية كاساس فى تحديد قدر ت ومهارات الجمهور المستقبل للثقافة التكنولوجية الحديثة.

انطلاقا مما سبق يمكن وضع نقاط تحصر تصورنا لمنهاجية عربية - على اعتبار ان العالم العربى جزء من دول العالم النامى - للعمل التكنولوجى المرئى المسموع للتصدى لمخاطر تكنولوجيا الاعلام الغربى.

اولا: وضع استراتيجية عربية موحدة للاعلام العربى، وتطبيق معايير محددة لا يجب تجاوزها فى النصوص المعدة للعرض السينمائى والتليفزيونى من شأنها الحفاظ على سمات الشخصية الاسلامية والقيم العربية.

ثانيا: حصر تاريخ الادب القصصى والمسرحى ووضع تصور لكيفية الاستفادة من تلك المعارف وتوظيفها فى تغذية البرامج الثقافية بصفة عامة والبرامج الدرامية بصفة خاصة.

يمكن من خلال العرض التحليلي والميدانى السابق فى الدراسات السابقةالتأكيد على ابعاد ثلاثة يمكن ان تقدم تصورا لكيفية التصدى لهذه التحديات التى سبق الاشارة اليها:

اولا: على المستوى القومى العربى:

يمكن وضع نقاط تحصر تصورنا لمنهاجية عربية للعمل الاعلامى المرئى المسموع المشترك للتصدى لمخاطر تكنولوجيا الاعلام الغربى، وتتلخص فى الاتى:

١- وضع استراتيجية عربية موحدة للاعلام العربى من خلال معايير محددة وواضحة جديدة يكون محورها الدقة والوضوح والاتقان فى تناول سمات الشخصية الاسلامية والقيم العربية فى ضوء المتغيرات الحديثة الاجتماعية والسياسية.

٢- تقديم ملامح من التاريخ الادبى والقصصى والتراث الفكرى بكل ما يحمله من ابداع ليكون محورا لبرامج متعددة تليفزيونية واذاعية تبث عبر القنوات الفضائية العربية.

وخاصة ولسد احتياجات القنوات الفضائية التى تطلب الى اكثر من ٤٣٠ الف ساعة بث يوميا لمواجهة احتياجات الشعوب العربية من المعرفة والالمام بالاحداث الجارية، وتقديم واقعة الثقافى والابداعى الحقيقى.

ثانيا: على المستوى المحلى:

١- تشجيع الابداع الفكرى والفنى وتوجيهه لمعالجة القضايا الحقيقية للمجتمع المصرى حتى يرى الفرد المشاهد واقعه بصورة دقيقة وواضحة - وبالتالى لا يلجأ للغير ليفسر له هذا الواقع.

٢- الاخذ بعين الاعتبار نتائج البحوث والدراسات الواعدة التى تقدم فى مجالات الاعلام والاتصال الجماهيرى والثقافة والفكر والابداع وقضايا المجتمع الحقيقية ، حتى تصبح محورا لاستراتيجية العمل الاعلامى فى مصر.

٣- مراقبة الاعمال الدرامية والبرامج الثقافية التى تبثها القنوات الفضائية والعمل على وضع خطة للاعلام التليفزيونى المضاد، يكون مهمته الرد على الاداعاءات والاشاعات التى تروج من قبل اجهزة الاعلام ووسائل ثقافة الاتصال الجماهيرى الغربية، وبصفة خاصة داخل الحدود الوطنية حتى يشعر الفرد ان هنـــاك مـــن يتصدى لهذه الافكار والاداعاءات الكاذبة. فيزداد ثقة فى وسائل اعلامه الوطنى.

انها امال نترقب تحقيقها خاصة ونحن على مشـــارف القـــرن الحـــادى والعشرين.

المحتويات

المؤلفه فى سطور



- حصلت على دكتوراه الفلسفة والاداب فى الاعلام والاتصال الجماهيرى من جامعة بروكسل - بلجيكا. ١٩٧٩.
- حصلت على درجة الاجريجاسيون فى الاعلام والاتصال الجماهيرى - جامعة بروكسيل - بلجيكا - ١٩٧٥.
- حصلت على درجة الليسانس فى الاعلام والاتصال الجماهيرى من جامعة بروكسيل - بيلجيكا - ١٩٧٣.
- حصلت على بكالوريوس التجارة قسم الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة الاسكندرية - ١٩٦٨.
- تعمل حاليا استاذ الاعلام التليفزيونى والمدخل الاجتماعى للاعلام فى كلية الاعلام - جامعة القاهرة.
- مديرا لمركز بحوث ودراسات المراة والاعلام - كلية الاعلام - جامعة القاهرة.
- شغلت مدير لقسم الاعلام - المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم - الرباط - المغرب ١٩٨٣ - ١٩٨٥.
- خبيرا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- شاركت فى العديد من المؤتمرات لمناقشة قضايا الهوية الثقافية والمراة فى -- فرنسا - بلجيكا - اسبانيا. -
- عضو فى لجان الترقيه للجامعات فى بروكسيل بلجيكا وجامعات دمشق بسوريا والملك عبد العزيز.
- لها العديد من البحوث والدراسات عن الهوية الثقافية والاعلام عبر القنوات الفضائية.وقضايا البيئة - وقضايا المراة والاعلام.
- عضو اللجان القومية المتخصصة التابع لمجلس الوزراء - وعضو المجلس الاعلى للثقافة. لجنة السينما. وزارة الثقافة.
- عضو مؤسس لجامعة الفرنكوفونية بمصر.
- عضو للعديد من الجمعيات الدولية والوطنية. فى مجالات الاعلام والمراة وبحوث الاتصال الجماهيرى.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٨٦٣٠

I S.B.N 977 - 01 - 6159 - 4



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل ـ للشاب ـ للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع
للطفل ـ للشاب ـ للأسرة

١٩٩٩

٢٠٠ قرش